رامي حمدي

رواية

فيليا

الفؤاد للنشر والتوزيع

رواية

فيليا

رامي حمدي

الفؤاد للنشر والتوزيع

لمزيد من الكتب الحصرية
زوروا موقع عصير الكتب
www.bookjuices.com

fb.com/groups/Book.juice

ننتظر رأيك ومناقشتك للكتاب
على جروب عصير الكتب
facebook.com/groups/Book.juice/

Philia

فيليا

رامي حمدي

الكتـــــاب	فيليـــــا
النـــوعيـــة	روايـــــة
اسـم المؤلــف	رامي حمدي
تصميم الغلاف	إسلام مجاهد
تنسيق داخلي	هبـــة خليـــل
لوجـــو الكاتب	رسم يدوي: مهند حمدي
	جـــرافيـك : هيثم سعودي
الطبـعـــــــة	الأولى (نوفمبر ٢٠١٧)
رقـــم الإيـداع	2017/19917
الترقيم الدولي	978-977-6534-35-3
إشراف عام	رباب الشهاوي
لطلب الكتاب	01022897649 - 01126652278

ويمكن طلبه عن طريق موقع جوميا من Elfoad Publishing Marketplace

جميع الحقوق محفوظة

للكاتب ودار الفؤاد للنشـر والتوزيع، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشـر أي جزء من هذا العمل، سواء إلكترونيا أو فوتوغرافيا أو أي شكل آخر دون تصـريح كتابي موثق من الناشر، يعرض مرتكبه للمساءلة القانونية.

هذا الكتاب يحمل رأي ورؤية الكاتب وحده، ولا يمثل الدار أو أي من العاملين بها.

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing

فيليا

رامي حمدي

الفؤاد
للنشر و التوزيع

إهـــــداء

كنت أتمنى أن تكوني معي في هذه اللحظة.. وأن يكون هذا الإهداء لكِ في الحياة الد نيا، وليس بعد أن انتقلتِ للحياة الأخرى.. ولكن عزائي أنكِ قرأتِ الرواية قبل موتكِ.

شكراً لكِ على كل اللحظات السعيدة والحزينة.. فمن اللحظات السعيدة تأتي الذكرى، ومن اللحظات الحزينة تأتي العَـبْـرَة..

كنتِ مقاتلة شرسة في الحياة وفي المرض، في حقوقنا نحن أبنائك وفي حرية أفكارك المتدينة، الراقية، المحبة للخير، والحب، والحياة..

كنت أشاركِ كل اللحظات.. كل الكتب والروايات.. منك تعلمت السفر بالقراءة، والتحليق بأفكاري وفلسفتي بالكتابة..

أحبكِ كثيراً وأفتقدكِ أكثر أمي الغالية..

وحتى نلتقي رحمكِ الله رحمة واسعة..

إلى من عشقتها فألهمتني..

كل شخصيات الرواية من وحي خيال المؤلف..

وأي تشابه بين الأحداث أو الأحاسيس وبين الواقع فهو ليس من قبيل الصدفة..

وإنما تعكس قسوة الواقع..

لذا وجب التنويـــــه..

قبل البداية

هذه الرواية فقط لمن يستطيع أن يشعر..

لمن يمتلك هذا الشعور المسمى إحساس..

لمن لديه قدرة الغوص في الأحداث بقلبه قبل عقله وعينه..

عندها فقط سوف يفهم..

فيـــــــليا..

الفصل الاول

الصـــــــدمة

انهيار تام هو ما تشعر به (علا) في تلك اللحظة، لم تكفها كل هذه الأمطار المنهمرة، لتمسح دموعها الأكثر غزارة في تلك الليلة الباردة من ليالي يناير، تمشي متعثرة في خطواتها، وهي تسحب أقدامها التي تعاند إرادتها بالمشي سحبًا حتى تصل إلى المنزل..

لماذا يحدث لها كل ذلك؟

ظل هذا السؤال يتردد في عقلها دون إجابة..

استعاد عقلها تلك اللحظة، فازدادت سَحُب الدموع كثافة، حتى أن رؤيتها للأفق تكاد أن تكون انعدمت، فتجاوزت منزلها قبل أن تفطن إلى ذلك، لتعود أدراجها في تخبط وارتباك..

جرجرت قدميها إلى مدخل المنزل، تريد أن تختبئ من كل ما حولها..

كررت محاولتها البائسة لتفتح باب المنزل، لا تدري بسبب رجفة يدها، أم بسبب انعدام الرؤية نتيجة أمطار عينيها، وهي تبكي بصوت يبدو أنه وصل لمسامع أمها بالداخل، لتتفاجأ بالباب يُفْتَحُ وأمها تسألـها بذعر:

ـ "مالك يا حبيبتي؟ في إيــه!؟"

لينهار حاجز تماسكها، وتغرق في الظلام الدامس مصحوبًا بصرخة أمها المذعورة، ولتهرب تلك الحلقة الفضية العريضة ذات النقوش البارزة من قبضة يديها، معلنة تخلي وعيها عنها!!

رفعت (داليا) هاتفها لتتصل بخطيبها، وفي ذهنها ارتسمت ملامحه الوسيمة بتلك الغمازتين اللتين تذوب فيهما عشقًا.

تعشقه بجنون، رغم علمها بأنها في تحدٍ فريد بالنسبة لها..

- "أللـــو!"

قاطع صوته الرجولي حبل أفكارها المسترسل، لترد عليه بلهفة:

- "إيه يا حبيبي؟ انت فين؟"

- "شغـال.."

"لماذا تتصاعد نبرة الفتور في صوته!!؟"، هكذا سألت نفسها..

- "طيب يا حبيبي مش حعطلك، أنا قلت أطمن عليك بس.. ابقى اسأل عليا، ده أنا في مقام خطيبتك.."

- "طيب، سلام دلوقت لأني مش فاضي"

- "ســـــلام.."

هكذا أنهت المكالمة لتجلس غارقة كالعادة (في الآونة الأخيرة) مستسلمة لأفكارها، وحيرتـها..

■■■■■■■■■

الظلام، ثم الظلام..

ولا شيء، غير الظلام..تمشي في نفق مظلم، بحثًا عن نقطة منيرة، تبدد هذا السواد الحالك..

يلوح لها الضوء من بعيد، ولكنها خائفة!

تنادي على اسمه بصوت خافت، تكاد تسمعه روحها بصعوبة؛ بسبب ذلك الصفير المنتظم المزعج..

تحاول المشي إليه، ولكنها لا تستطيع، لتفاجأ بأن الضوء يتصاعد بسرعة غريبة، متجهًا ناحيتها..

حاولت أن تحمي نفسها، لتصطدم به بمنتهى العنف..

وفتحت عينيها!!

ـ "حمدًا لله على السلامة يا حبيبتي!"

نظرت (علا) ناحية الصوت في ضعف، لتلمح أمها وهي تنظر، وبجانبها صديقة عمرها (إيمان)، وفي عين كلتيهما دموع متحجرة.

ـ "هو إيه اللي حصل!!؟"

قالتها في ضعف، لترد عليها (ايمان) بحزن:

ـ "الحمد لله، جت سليمة.."

عادت (علا) لتتأمل ما حولها، العديد من الأسلاك خارجة من أجهزة، وموصولة بها، ويبدو أنها في مستشفى.. نعم إنها مستشفى!

عادت لتسأل أمها بنظرة رجاء:

ـ "حد يقولي إيه اللي حصل!؟ ثم انهارت في البكاء.."

ربتت أمها عليها، وهي تأخذ رأسها في أحضانها:

ـ "مفيش يا حبيبتي، كنتي حتروحي مننا بس الحمد لله الإسعاف جه، وقلبك ما وقفش كتير.."

نظرت لها بحيرة، ثم انتفضت قائلة لـ(ايمان):

ـ "الدبلة فين؟ أنا عايزة الدبلة الفضة اللي كانت في إيدي.."

هدأتها (ايمان)، وهي تقول لها:

ـ "اهدي بس، أنا جبتهالك معايا.. أهي.."

انقضت (علا) على الدبلة، ثم وضعتها في يدها اليمنى فوق تلك الدبلة الذهبية التي تزين إصبعها، ثم استقرت على السرير في استرخاء، لتسألها أمها في حنان حزين:

ـ "هو إيه اللي حصل يا حبيبتي!؟"

نظرت لها (علا) في صمت، ثم نظرت ليدها اليمنى، وانهارت دموعها من جديـد..

■■■■■■■■■■

#ويك_إند_إستاتس

كم نعشق الحديث إلى النفس في شدة الحزن، وشدة الفرح..

وتعشق النفس الحديث لنا في شدة الحيرة!

#عتـــاب_سعيـــد

#برنامج_حكاوينا

■■■■■■■■■■

الفصل الثاني

أزمـــــــة هويـــــــــة

ـ المكان: الإسكندريـــة

ـ الزمان: عصر أحد أيام أكتوبر

جلس (رامز) على حافة الحاجز الصخري المواجه للبحر، وهو يراقب غروب الشمس في استمتاع.. ترك لعقله وذكرياته العنان، ليذهب في رحلة بين ماضيه، وتخيلات مستقبله.

أخذ شهيقًا عميقًا، ليملأ رئتيه بهواء البحر العليل، ثم أخرج زفيراً بطيئًا، محملًا بكل ما يعتريه من قلق وتوتر.. وحيرة!

(رامز أيــمن) شاب عاش طفولته في إحدى دول الخليج. وقدم إلى مصر للدراسة، ثم العمل بعد تخرجه، وهو يقاوم باستماتة كل محاولات والده، وفرص العمل المغرية التي يقدمها له للعمل بالخارج.

كان يحمل -وقتها- في أعماقه إرادة جعلته يعشق المشي عكس التيار، وهو مؤمن بأن النجاح العملي في مصر -رغم صعوبته- له طعم خاص.

تسللت ابتسامة هادئة مقتحمة سكوت شفتيه، يغوص عميقًا بأفكاره، وهو يتأمل قرص الشمس قبل أن يبتلعه البحر، معلنًا رحيله ليوم آخر.

هل هو استثناء للقاعدة؟ أم أن أزمته هي أزمة جيله بالكامل؟

لماذا يجد صعوبة في فهم نفسه، وفهم تجاربه، رغم نضج عقله؟

هل أصبح النجاح في الحياة الشخصية والعملية معًا -في مصر- ضربًا من الخيال!؟ هل أصبح أضغاث أحلام!؟

تلفت حوله من جديد، لينظر لاتساع البحر في نشوة..

كم يعشق البحر! متسعًا كأفكاره، عميقًا كروحه وأسراره، هادئ الموج كامتصاصه لصدماته المتوالية، وأحيانًا ثائر الموج كطموحه، وتمرده على ثوابت المجتمع التي دومًا يراها هزيلة، بالية، بائسة..

انتزعته من شروده رنة هاتفه المحمول، ليرد على المتصل:

- "ألـو!"

- "انت فين يا صديقي الصدوق؟"

تسللت الابتسامة إلى شفتيه، وهو يقول:

- "هو إنتي بتعملي فيا كده ليه يا (عتـاب)؟"

ردت قائلة في مرح:

- "إيه يا ابني هو أنا جيت جنبك؟ فينك برضه؟"

أجابها قائلًا بسخرية:

- "بتضحّكيني، عامة أنا في إسكندريــة"

أطلقت صفيراً قصيراً، ثم قالت:

- "يا عيني على الرومانسية! يا بخت إسكندرية بيك! طالما رحت هناك يبقى هربان كالعادة"

أطلق ضحكة عالية، وهو يقول:

- "محدش فاهمني أدك، ده أنا لو عندي أخت مش حتعمل زيك"

ضحكت برقة، وهي تقول:

- "وهربان من إيه إن شاء الله؟ خطيبتك كالعــادة!؟"

رد عليها ساخرًا:

ـ "ما تفتكريلنا حاجة كويسة! عامة أيوة يا ستي غرقان في الأفكار، قلت آجي أغرّق الأفكار في البحر، وأرجع تاني من غيرها.."

ضحكت قائلة:

ـ "يا خوفي لتغرق انت في بحر أفكارك وما تقبّش.. بقولك إيه.."

رد عليها ساخرًا:

ـ "قولي وأنا سامعك، ولو عايزة حاجة فيها فلوس أنا سداد من جنيه لعشرة، أكتر من كده ولا أعرفك.."

ضحكت قائلة:

ـ "بطل لماضة، طالما بتتريق كده بزيادة يبقى انت زهقان، آخد فيك ثواب بأة. فيه فرح بعد بكرة حروحه أنا وإخواتي، ما تجيب خطيبتك ومامتك، وتيجي معايا"

رد بسخريته المعهودة:

ـ "لو العرض ده من غير خطيبتي، أنا ممكن آجي، وأديكي الثواب.."

ضحكت قائلة:

ـ "عنيد، وعارفاك.. عامة انت حر، لما ترجع من إسكندرية طمني عليك، وإن شاء الله نتقابل هناك على خير، وحسمعك كالعادة، ما أنا عارفة أفلامك ما بتخلصش.."

رد عليها بضحكة ساخرة:

ـ "ماشي يا (عتاب) لما أشوفك، معلش بأة اعصري على نفسك لمونة، ما إنتي عارفة إني قدرك.."

ضحكت برقة، وهي ترد:

ـ "أما انت صاحب رخم صحيح، ماشي يا أخويا اللمض، حاقفل أنا علشان عندي شغل، خلي بالك من نفسك، وطمني لما ترجع"

رد عليها ساخرًا:

ـ "شغل مين يا بنتي؟ هو شغل الإذاعة الأونلاين ده شغل!؟ لا تكوني صدقتي إنك مذيعة فعلًا!"

ردت عليه بغضب مرح:

ـ "بس يا بابا.. إيش فهمك انت في شغل الإذاعة!؟ وبعدين أنا بعمل برنامج في إذاعة موجهة للبنات بس، وناجحة، ومعروفة جدًا، خليك في حالك انت، سلام.."

رد عليها ساخرًا:

ـ "إحنا آسفين يا صلاح، لما نتقابل نبقى نتكلم.. سلام"

وضع هاتفه في جيبه، ثم عاد يتأمل البحر مستسلمًا لأحلامه..

وذكرياتـه..

■■■■■■■■■■

ما أسوأ إحساس الفــراغ!

شهران مضيا بأيام تتشابه منذ تلك الليلة..

مازالت (علا) تحتفظ بدبلتها ودبلته، لتطمئن لوجودهما معًا في إصبعها كل يوم.

كيف استطاع أن ينهي كل هذا بهذه القوة؟

كيف تركها وحيدة، تواجه مجتمعًا لا يفعل شيئًا غير الكلام؟

شهران لم تجد الشجاعة لتخرج إلى الشارع لتستأنف حياتها من جديد.. انهمرت الدموع من عينيها غزيرة، وهي تتأمل الدبلتين، وتلمسهما في شغف وحنين.

تذكرت لهجته القوية، في تلك الليلة، حين قال لها بعد سنة ونصف من السعادة:

ـ "بصي يا (علا)، أنا مش لاقي نفسي معاكي، وحاسس إني مش حعرف أسعدك أكتر من كده.."

كم أحست بفقدان التوازن وقتها، وهي تقول له في دهشة:

ـ "بس أنا فرحانة، وما اشتكتش منك!"

تذكرت حين كان يهرب بعينيه، وهو يقول لها:

ـ "بس أنا مش فرحان، فيه إحساس ناقص مش لاقيه! بصي يا (علا)، إحنا حنتجوز كمان ٣ شهور، بس أنا خايف من الإحساس ده، مش عايز أتجوزك وبعدين ألاقي نفسي قاعد هربان على القهوة لأني مش فرحان!! مش عايز أحس بالمسؤولية من ناحيتك وبسد، فأحاول أسعدك بحكم الواجب وخلاص، ونعيش أنا في وادي وإنتي عايشة في العسل في وادي تاني.."

قاطعته -وقتها- بعدم تصديق، وهي تقول:

ـ "انت أكيــد بتهــزر!!؟"

دوى صوت الرعد عاليًا في الخارج، وكأنه يضفي المزيد من الكآبة على الموقف.تتذكر كيف سمعت منه كل مبرراته بلا أي إصغاء، وهي تشعر بالضياع التام.

تتذكر ارتجافة شفتيها الصغيرتين، وهي تسأله بصوت مضطرب:

ـ "طب أنا ممكن أتغير إزاي علشانك؟"

توقف شريط ذكرياتها، والدموع تجري من مقلتَي عينيها السوداوين.

كانت تعرفه جيدًا، حين يقرر يفعل، وهو في تلك اللحظة وقتها- لم يكن يبحث عن التغيير، ولكنه كان فقط يبلغها بقراره وبلا رجعه.

تتذكر كيف خلع دبلته، لتنخلع روحها معها، وهو يضعها أمامها على الطاولة في ذلك المطعم الشهير.

حياتها كلها توقفت في تلك اللحظة، حاملة مرارة دموعها التي خنقت صوتها، لتوقف كل الكلمات التي تبغي قولها، ورائحة فنجان القهوة المشبعة بنكهة البندق الذي كان يرتشفه، وكأنه يخبئ توتره بين هذه الرشفات، تملأ روحها لتضغط على هشاشتها النفسية بقوة وعنف.

كل ما أحبته فيه الآن تحول ضدها، قدرته على الخوض في قراراته بشجاعة التي كانت تثق فيها الآن هي السهم الذي اخترق قلبها، منهيًا سنة ونصف من ضحكاتها وسعادتها.

رجولته التي كانت تحتمي بها كالدرع، الآن أصبحت مضطرة للحياة بدون هذا الدرع.

لكن أكثر ما يسيطر عليها الآن هو الخـوف..

كيف ستواجه مجتمعًا يرى الأنثى بعد فشل خطوبتها، كأنها تستحق الشفقة، وهي النظرة الكفيلة بقتل البقية الباقية من مشاعرها؟

الكارثة هنا هي أنها كانت تكبره بثلاث سنوات كاملة، وتكاد تقترب من المرحلة العمرية التي تخشاها كل أنثى في مصر..

مرحلة العنوسة..

ألا يكفي أنها بلا أب، تحتمي به في هذه الظروف، بعد وفاته منذ حوالي ثماني سنوات!؟

والأهم كيف سترتق ثقوب مشاعرها، وقلبها الذي يحمل اسمه، وصورته، وحبه الذي كان يرويه بحنانه طوال سنة ونصف من عمرها!؟

كيف ستهرب من ذكرياته!؟

أين بداية الطريق!؟

امتدت يدها الصغيرة المرتجفة إلى هاتفها المحمول لتتصل بأول رقم على لائحة الاتصال، وظلت تستمع إلى رنة الاتصال، حتى سمعت صوت صديقتها (إيمان)، وهي تسألها بسعادة عن أحوالها.

انتزعت صوتها بصعوبة من بين عبراتها، وهي تقول لها:

ـ "(إيمان)، مش عارفة أبدأ منين؟ أنا بمـوت من غيره.."

ثم انخرطت في بكاء يحمل وجعًا لا نهاية له، وفي ذهنها شيء واحد فقط يملأ روحها وكيانها..

صورته..

■■■■■■■■■

الفصل الثالث

فتـــــــاتان

جلست (ملك) أمام التلفاز، وهي تلتهم قطعة الكعكة المليئة بالشيكولاتة في استمتاع، مغلقة عينيها في تلذذ، في حين ضحكت (لميس)، وهي تنظر لآثار الشيكولاتة على وجهها وأصابعها، وهي تقول:

ـ "ده إنتي قدام الشيكولاتة ولا كإنك طفلة في ابتدائي!"

بادلتها (ملك) الضحك، وهي تقول:

ـ "عادي بأة، قاعدة في بيتي وبراحتي، وبعدين مش إنتي عازماني حلاوة العمولة، ولا عينك فيها؟"

داعبتها (لميس) بتحية عسكرية، ثم أردفت قائلة:

ـ "نجاحي كله بفضل توجيهاتك يا ريس، ممكن بأة تسيبيني أستمتع زيك شوية؟"

ردت (ملك) بمرح:

ـ "خدي راحتك على الآخر.."

ثم انقضت (لميس) على قطعتها في نهم.

علاقة غريبة ومميزة تجمع الفتاتين ببعضهما، جمعتهما شركة واحدة في مجال الدواء، (ملك) التي تكبر (لميس) بثلاث سنوات هي مديرة الأخيرة في العمل، خريجة كلية العلوم جامعة طنطا، بيضاء، متوسطة الطول، لها عينان خضراوان،

ورثتهما عن أمها المتوفاة لبنانية الجنسية، مكتنزة الخدين والشفتين، ولها شعر بلون الليل الحالك في ليلة غاب فيها القمر، ورثت لونه عن أبيها مصري الهوى والهوية. تعيش مع أبيها بعد زواج أخويها الأكبر منها، لينتقل كل أخ منشغلًا في حياته مع زوجته، وتبقى هي لرعاية والدها الذي أصبح يمثل لها الدنيا وما فيها.

أما (لميس) فهي مندوبتها النشيطة، من مستوى اجتماعي متوسط، لأب يملك ورشة صغيرة للحدادة، وأم أخذت على عاتقها تربية أبنائها بكل أعبائهم ومشاكلهم. خفيفة الظل، ذات عيون بنية ذات بريق ساحر، بيضاء، متوسطة الطول، تملك قوامًا فاتنًا رشيقًا تعتز به كثيرًا، خدودها مشوبة بحمرة طبيعية بلون شفاهها المكتنزة، كثمرة فراولة ناضجة تنتظر من يقطفها، مما أضاف لجمالها حُسنًا وروعة. طموحة حتى السماء، ولعل ذلك هو ما جعلها تنال تقديرًا مرتفعًا من كلية الصيدلة عند تخرجها.

ولعل ما جعل الاثنتين صديقتين هو تشابه طباعهما كما لو كانتا توأمين متماثلين! نفس النشاط، وقوة الشخصية، تخرجتا من نفس الجامعة مع اختلاف الكليات، تملكان حضورًا طاغيًا، جعل منهما ناجحتين في مجال شرس كتجارة الأدوية في مصر، لتصل (ملك) إلى مرتبة مديرة دعاية خلال ثلاث سنوات فحسب، بينما تنتظر (لميس) ترقية استثنائية لتصبح أصغر من يترقى في شركتها، بعد توصية من مديرتها (ملك) بالطبع.

قالت (ملك) لصديقتها (لميس):

- "إنتي عارفة إيه اللي مخليكي ناجحة كده؟"

رسمت (لميس) على وجهها علامة استغراب مرحة، وهي ترد قائلة:

- "إيه بأة يا دكتورة؟ اشجيني.."

- "ثقتك بنفسك، رغم إنها بتوديني كمديرتك في ستين داهية، بس اوعي من الغـــرور"

نظرت لها (لميس) في خبث قائلة:

ـ "متقلقيش، مش حبدأ أتغر إلا لما آخد مكانك، زيك بالضبط.."

كانت (ملك) تعلم أنها تلمح بلطف إلى تعاملها المغرور مع من حولها، خصوصًا الذكور منهم.

تملك (ملك) فلسفتها الخاصة عن الذكور، ترى دومًا أنها ملكة لن تتنازل عن عرش مملكتها، لتذهب إلى أخرى تتخذ فيه دور الأميرة فقط، بلا تدخل في أمور المملكة والحكم.

«مش هما بييجوا يتجوزونا علشان يتمنظروا بينا وبجمالنا؟ خليهم يتعبوا لحد ما يوصلولنا..» ، هكذا كانت تقول دائمًا لكل من حولها عمومًا، ولصديقتها (لميس) خصوصًا.

بينما ترى (لميس) أن المرأة لا ينبغي أن تُرِيَ ضعفها لأحد أيًا كان، تناصر قضايا المرأة وتحررها بشكل لا جدال فيه، ألا يكفي أننا قبلنا العيش في مجتمع ذكوري بحت!؟ فلكي نأخذ حقوقنا لابد من القوة والحيلة معًا. ورغم هذا تحمل الاثنتان طفولة تمثلت في أزهى صورها أمام قطعة من كعك الشيكولاتة!

قرعات خفيفة على باب الغرفة قاطعت انهماكهما في الأكل لترد (ملك) قائلة:

ـ "ادخل يا بابا، مفيش حد غريب، دي (لميس)"

دخل والد (ملك)، وعلى شفتيه ابتسامة ودود، وهو يقول:

ـ "منورة يا دكـتورة.."

ثم نظر إلى كعكة الشيكولاتة الموضوعة على الطاولة، وهو يقول مازحًا:

ـ "دي خطوبة مين فيكم؟"

ضحكت الفتاتان في مرح، وهما تتغامزان لترد (ملك) في فرح:

ـ "أصل (لميس) قبضت عمولة تحقيق من الشركة النهاردة، فقلنا نحتفل.."

قال لها والدها موجهًا كلامه لـ(لميس) في أبوة:

ـ "مبروك يا بنتي، عقبال تورتة الجواز ليكو انتو الاتنين إن شاء الله!"

نظرت الفتاتين لبعضهما في صمت، ثم انفجرتا في الضحك، وهما تقولان بنفس واحد:

ـ "تاني!؟ ارحمنـا بأة يا عم الحاج!"

نظر والد (ملك) لهما، ثم قال في استغراب:

ـ "ده أنا لو مخلف توأم مش حيعملوا كده، أنا حنسحب بأة.."

ثم خرج مغلقًا الباب وراءه، تاركًا الصديقتين تضعان خطة عمل الشهر الجديد، وهما غارقتان في بحر عائم من السعادة، ونشوة نصر تحقيق (التارجت).. والشيكولاتة..

■■■■■■■■■

شرود تام سيطر على (داليا)، وهي جالسة في مدرج كليتها في ذلك النهار الخانق الحار الذي يميز شهر أغسطس. لم تكن تسمع ما يقال حولها، وهي ممسكةً بهاتفها المحمول متأملة صورة خطيبها في هيام حزين، لم تشعر حتى بحرارة الجو من شدة حرارة الأفكار السوداء التي تتدفق إلى عقلها، منهمرة غزيرة، تكاد تغرقها بالكامل.

تعلم أنها باندفاعها وضعت نفسها في موقف لا تحسد عليه حين وافقت على هذه الخطبة، ولكن ما يحرق قلبها بحق هو أنها هي من دفعته إلى هذه الخطوة، وهي تعلم بوضوح حجم التحدي الذي سيواجهها بعد هذه المرحلة.

لقد كانا صديقين، يغلف ذلك صلة قرابة بعيدة تربطهما، ويكبرها بحوالي أربع سنوات، ولكنها انبهرت بلباقته، وأناقته، وحسن معاملته، واحترامه للأنثى بشكل أصبح قليلًا في مجتمع أصبح عنوانه الوقاحة في التعامل بين الشباب معهن، أو بين بعضهم على السواء، وأصبحت سمته مع الإناث المعاكسات القبيحة في

الشوارع، أو التلاعب بعواطفهن كلعبة مسلية، أو حتى الوصول إلى التحرش فعلًا وقولًا في وباء استشرى وتفشى في مجتمع متدين بطبعه -كما يقال- بلا ضابط أو رابط.

احترمتْ جدية حديثه، ونضجه حين صارحها -بعد أن سلكت كل السبل لتقربه منها- بأنه رجل لن يستطيع إسعادها، قال لها ذلك بكل رجولة، لأنه رأى أنها تتعلق به يومًا بعد يوم، ولهذا حاول إيقافها بقوله هذا!

لكنها قررت تحدي نفسها، وتحديه بأنها ستستطيع أن تكون سعيدة معه، واستفزته كثيرًا حتى تعرف سبب قوله وظنه هذا.

تنهدت (داليا) تنهيدة طويلة، وهي تقلب صور خطوبتهما متأملة عينيه، فأطالت النظر محاولة الغوص في أعماقها قليلًا.

حتى في صور الخطوبة ظلت عيناه تحملان تلك النظرة الحزينة المختبئة خلف ملامح وجهه رجولي الملامح، وابتسامته الساحرة. تتذكر كيف قال لها بأن قلبه ينزف دمًا، نتيجه قصة حب استنزفته بالكامل، بعد محاولاته العديدة للوصول لهذا الشعور الرائع.

رفض إخبارها بالتفاصيل، بل وحتى لم ينطق اسمها، ولكنها شعرت بالغيرة من مجرد نظرة عينيه الساهمة العاشقة، حين يتحدث عنها في حب كموج بحر جارف.

وقتها قررت أن تستأثر به لنفسها أيًا، كانت الطريقة التي ستقتضيها معطيات الأمور حتى تتسلل إلى قلبه. استغلت توهانه وتخبط قلبه من جهة، وحاجته للحنان والعاطفة من جهة أخرى، فأحاطته برعايتها، وسؤالها عليه بشكل أصبح جزءًا من نشاطه اليومي، حتى جاءت اللحظة التي لمحت تسلل الدموع من عينيه أثناء جلوسهما في أحد المطاعم الشهيرة، وهي تتحدث معه عن إعطائها

فرصتها لتمسح آلامه. وحين سألته عن سبب تلك الدموع التي تسللت ليمسحها سريعًا، قال لها بأنه رآهـــا!

رآها بمصادفة عجيبة من تدبير القدر في نفس المكان الذي يجلسان به، وهو ما فتح جرحه من جديد..

وقتها أحست بأن فرصتها الآن لتملكه أصبحت أفضل، لا تدري أتشكرها لتواجدها في هذه اللحظة، أم تشكر الظروف التي وضعتها بقربه في وقت صدمته، لتتلقف قلبه وضعفه، فتسيطر عليه حتى تحصل على فارس أحلامها الذي تمنته كثيرًا.

فاجأها بموافقته على إعطائها فرصة، ولأنه كان جادًا، ولم يرد أن يجعلها تشعر بالذنب، وللاعتبارات العائلية فقد تقدم لخطبتها بعدها مباشرة، ولم يكتمل الأسبوعان إلا وكانت تزين إصبع يدها اليمنى دبلته الذهبية البراقة.

ـ "الحلو سرحان، وبيفكر في إيه!؟"

انتفضت (داليا) مذعورة، والتفتت لتجد صديقتها (منـة) تضحك بسعادة على ذعرها، فلكزتها في كتفها وهي تقول:

ـ "خضيتـيني يا غبية.."

فردت (منة) قائلة:

ـ "وأنا جيت جنبك؟ إنتي اللي كنتي سرحانة لدرجة إنك محسيتيش إن المحاضرة خلصت!"

ثم أردفت قائلة بنظرة، ونبرة جادة هذه المرة:

ـ "مالك؟ لسه حاسة إن في حاجة ناقصة مع خطيبك برضه؟"

أغلقت (داليا) هاتفها، وهي تقول لصديقتها في حزن:

ـ "مش عارفة يا (منة) بس أنا حاسة إن البنت دي كانت مالية مركزها، ومكانها، وأنا أصغر من المكان ده بكتيير.."

مالت إليها (منة) بوجهها، وقد ارتسمت معالم الاهتمام عليه قائلة:

ـ "طب وليه بتقولي كده؟ ما تعرفي منه التفاصيل اللي كانت ما بينهم"

ردت (داليا) بصوت عالٍ، وفي حنق:

"هو بينطق!؟ كل ما أسأله يقولي مينفعش أتكلم في سيرة بنت تانية وهي مش موجودة، ويغير الموضوع، أقوله ده حقي إني أعرف علشان أعرف أملك قلبك، يرد عليا بكل هدوء مستفز، ويقولي حاولي تملكيني بشخصيتك، مش بشخصيتها، لأنك لو عرفتي حتحاولي تعملي زيها، وأنا مش عايز نسخة من حد.."

هرشت (منة) رأسها في تفكير، وهي تقول:

ـ "بس هو عنده حق، إنتي بس التحدي والعند اللي جواكي مخلييينك رافضة تعترفي بالفشل.."

نظرت لها (داليا) نظرة حارقة، وهي تقول لها:

"أنا مش حخلي حد ياخده مني ولا حفشل، أنا لازم أعرف كانت بتعمله إيه علشان تسيطر عليه بالشكل ده. تخيلي يا (منة) واحد فضل مستني واحدة سنتين بحالهم، ورايح جاي بيحاول يرجعلها وعمره ما يئس رغم إنه مش غلطان، وهي اللي استهبلت، وسابته، ورغم كده عمره ما فقد الأمل!"

ردت (منة) في تعجب، واستغراب:

"الناس دي يا بنتي بنشوفهم في الأفلام القديمة، أو المسلسلات التركي وبس. دول انقرضوا.. طب إنتي ناوية على إيه؟"

أطرقت (داليا) برأسها قائلة في حيرة:

"مش عارفة. حفكر وأشغل الشيطان اللي جوايا بس لازم أعرف إيه اللي كانت بتعمله! دي لو بتسحرله مش حيبقى كده. أنا بحبه جدًا ومش حسيب قلبه ده مهما حصل.."

ثم نظرت نظرة متحدية مليئة بالعزم، والحسم لصديقتها، وهي تقول لها، وكأنها تطمئن نفسها:

ـ "أيوة.. مش حسيبه مهما حصل.."

■■■■■■■■■■

#ويك_إند_إستاتس

مغرورة أنا بك.. ومتمادية..

وأعلنها لكل النساء..

ليست امرأة من لم تعرفك..

وليست أنثى من لم تسكنك..

لو كنتُ متسامحةً قليلًا كنت تركت بعضًا منك لهم..

ليحصلوا على القليل من السعادة..

ولكني أحبك حد التطرف..

ولا أسمح لأي كانت أن تشاركني فيك..

حتى نسمات الهواء..

#عتاب_سعيد

#برنامج_حكاوينا

#طنطاوية_أونلاين

الفصل الرابع

خمـــراكولوفـــــــــا

جلست (تاتيانا خمراكولوفا) تتأمل ملامح وجهها العذب في سعادة بالغة. لِمَ لا؟ فهي قد فعلت أغرب شيء ممكن بعد سنوات معاناتها الطويلة.

لقد قبّلتْه!!

ولم تكن تدري أنها ستشعر بكل هذه السعادة بسبب قبلـــة!!

تنهدت تنهيدة طويلة، وهي تلامس أطراف شعرها الأشقر الطويل، وتتأمل ملامحها من جديد..

شقراء فاتنة هي بحق. تحمل عينين ساحرتين بلون البحر الصافي، وينافس بياض بشرتها شدة بياض ثلوج روسـيا بلدها الأم، تملك رقة خجل منها ورد الياسمين، وقوامًا فاتنًا مثيرًا، انحنى له القمر احترامًا، وزاد سطوعه انبهارًا بهذا الجمال الغض الباعث على التفاؤل والأمل. إنها أروع من أي فتاة أحلام، رسمها أي شاب لنفسه على وجه الأرض.

استطاعت (تاتيانا) النجاة من كل عقبات الحياة القاسية التي عاشتها لتخرج بقلب نقي طاهر برئ.

فهي عانت من تفكك أوصال أسرتها، أب انفصل عن أمها الأوزباكية، ليعيشا منفصلين هو في موسكو، وتختار الأم العودة إلى أوزباكستان بصحبة طفلتها، بينما مكث أخوها الأكبر (سيرجي) مع والده.

ثم قررت أمها بعد فترة تركها مع جدتها، لتشد الرحال بغرض العمل، إلى دبـــي، حيث حظيت بالحب هناك، فتزوجت، واستقرت من جديد.

وعندما بلغت (تاتيانا) سن الرشد، وعبرت بوابة العشرين ربيعًا عادت أمها لتفرض عليها الزواج من أحد أبناء صديقاتها، غير عابئة بأنها تحب آخر يذوب فيها عشقًا!

بكل قسوة أجبرتها، مصحوبة بالويل والوعيد تارة، وبالترغيب تارة أخرى، حاكمة على قلبها أن يتذوق لوعة الفراق في هذه المرحلة العمرية المبكرة.

وهكذا فقد وجدت ألا مفر من هذه الزيجة، بعد أن أُكْرِهَتْ عليها، لتنتقل معه للعيش في أحد أحياء موسكو الفقيرة، بقلب كسير حزين. وهناك ظهر لها وجه زوجها القبيح !

لقد كان سكيراً فظًا غليظًا، يجمع أمواله من فروج النساء، ممتهنًا مهنة من أقذر مهن البشرية قاطبة. ولأنها مازالت تحمل صفات ريف أوزباكستان الطيبة، فهي لم تتحمل هذه الحياة، فحاولت أن تصلح من حال زوجها بشتى الطرق، وهنا أراها قسوة أشد من برودة الجو القارس في موسكو.

لا تدري كم مرة بكت من كثرة الضرب، توقفت عن عد الركلات التي كان يكيلها لجسدها البض الرقيق. وتعودت على إهانات لا تنضب، وبعد أن كانت تسمع حكايات بعض صديقاتها عن العنف الأسري، أصبحت تعيشه واقعًا يوميًا، تتمنى الخلاص منه ركلًا بعيدًا عنها بأي ثمن.

وما زاد الطين بلة، وجعلها تخاف على نفسها أكثر، أنها علمت بأنها حامــل!

كانت موقنة بأن جنينها لا يعني لأبيه الكثير، ولكنه بالنسبة لها أصبح يحمل لها الأمل، خاصة بعدما علمت بأنه ذكــر.

ومتسترة بليل موسكو الحالك في تلك الليلة هربت منه، لتذهب إلى والدها، آملة منه تحملها حتى تلد صغيرها، وترتب أمورها، بعد أن طفح كيلها أخيراً، وقررت طلب الطلاق.

وبعد نزاع قضائي، نالت حريتها، وحضانة الطفل قبل ولادته في ضربة مزدوجة، رقص قلبها لها طرباً. ثم بدأت تستعد لاستقبال أميرها الصغير الذي يحمل لها أملًا في غد أفضل.

قاطع استرسال أفكارها طفلها (ستيبان)، وهو يطبع قبلة على يدها من شفاهه الصغيرة.

قامت باحتضانه بكل حب الدنيا، وحنانها المتدفق، والذي تغلغل إلى قلبه الصغير، مما جعله يزيد من احتضانه هو الآخر، بقدر ما سمحت له قوته في هذا العمر الصغير الذي لا يتجاوز سنواته الخمس، ثم عاد يجري إلى غرفته، وهو يقول لأمه أنه سيعاود اللعب، لتمنحه موافقتها بابتسامة حانية.

امتدت يد (تاتيانا) لتفتح نافذة غرفتها، وتنسمت الهواء العليل، وهي تنظر إلى القمر، والذي بدا لها أنه يبادلها النظرات في رضا، وقد استحال بدراً أنار سماء دبي في تلك الليلة من ليالي فبراير.

تذكرت القبلة مرة أخرى، لتمتد يدها ملامسة شفتيها، في حركة لاإرادية، وكأنها تتمنى ملامسته من جديد.

قبلتها كانت سحر ترجمة مشاعر سامية تخرج من قلب عاشق، أمر الشفتين بالالتحام في رقة لإخبار المعشوق بها متحدثة بالفعل على شفتيه، ذائبة في طراوة مشاعر شفاه الحب. لينفجر بعدها بركان السعادة، والرغبة بالمزيد في عشق وولع.

فلتذهب إلى الجحيم ذكريات الماضي..

كل ما يهمها أنها تشعر بالسعادة أخيراً، بعد أن فارقتها منذ وقت طويل، وأنها بدأت تحلق مع نسائم الحب العليلة، بعد أن اخترق قلبها سهم كيوبيد الحبيب.

والأهم من هذا وذاك أنه .. قبلته..

دوى صوت الأغاني والزغاريد في حفل الزفاف صاخبًا، وساد الفرح والرقص الأجواء، ساعدت معها نسمات هواء عليلة، بدت وكأنها تشارك المدعوين رقصهم وضحكهم.

وهناك في شرفة علوية مطلة على القاعة المفتوحة الهواء وقف (رامز)، وبجواره صديقته (عتاب) يتأملان ما حولهما، وعلى شفتيهما ابتسامة عريضة.

كان بجوارهما باقي أعضاء أسرتيهما جالسين يتبادلون الضحك والحديث، وبالتأكيد لا يخلو الحديث من بعض الغمز، واللمز، ومتابعة أزياء البنات، وبدل الشباب في ساحة القاعة.

كان (رامز) يرتدي بدلة سوداء، وربطة عنق حمراء لامعة، أظهرت قميصه أبيض اللون، مما زاده وسامة، بينما حافظت (عتاب) على إطلالتها الهادئة، الأنيقة، الدائمة، بفستان سهرة كحلي، وحجاب أحمر اللون، بنفس لون شفاهها، مما زاد سمرتها جمالًا وجاذبية.

قاطع صمتهما (عتاب)، وهي تقول له في اهتمام:

ـ "مالك بأة يا قدري؟ فيه إيه؟"

حافظ (رامز) على نظرته، وهو يقول لها:

ـ "بس حلوة فكرة (ويك إند ستاتس) دي، اللي بتكتبيها على صفحة البرنامج بتاعك على الفيس، بس يا ترى ده إحساسك الشخصي؟"

ـ "خالص.. مش دايمًا اللي بنكتبه على الفيس بيعبر عن اللي جوانا، لأننا أوقات كتير بنخاف من المراقبة، بس عامة هي بتبقى حالة، أو كلام شفته بيعبر عن مود بناتي عام، بجمعه من الحياة، ومن احتكاكي بالبنات في المكالمات اللي بتجيلي في البرنامج.."

ـ "ماشي يا ست أسامة منير البنات إنتي.."

هكذا رد بسخرية، قبل أن تبادره (عتاب) قائلة في مرح:

ـ "خمسميت مرة قولتلك لما أكلمك ما تهربش من الموضوع. احكيلي بأة، مالك؟"

تطلع (رامز) على القاعة من جديد في شرود، ثم قال:

ـ "تعرفي إن مجتمعنا ده مليان تناقضات أكتر من عدد شعر راسنا!؟"

ضحكت (عتاب)، وهي ترد عليه بمرح مشوب بالاستغراب:

ـ "رغم إنها مش إجابة السؤال بس اشمعنى؟"

ـ "بصي مثلًا على الناس في القاعة، وإنتي تفهمي"

ثم أشار لها إلى حيث يرقص الجميع، وهو يقول:

"عندك مثلًا البنات دول، أمهم طَلَقتهم علشان يصطادوا عريس، فزي ما إنتي شايفة متدرمغين رقص، يمكن حد ياخد باله، بس لو حد قالها: (هاتي رقمك، نبقى أصحاب)، حتشتمه، أو على الأقل حتبصله بقرف، وتنفضله، لو مش مز. لكن لو قالها: (عايز أزبط معاكي، علشان أخطبك)، حتديله أرقام العيلة كلها، حتى لو كان شبه أحدب نوتردام!"

ثم أشار لها إلى مكان آخر، وهو يضيف ساخرًا:

"والشباب هناك بأة تعبانين، مقضيينها فرجة كإنهم بيتفرجوا على لحمة رخيصة، طبعًا لإنهم يا إما مستواهم مش حيخليهم يعرفوا يتجوزوا، أو مش بتوع مسؤولية أصلًا، مع العلم إن لو حد فيهم عنده أخت مش حيرضالها حد يبص عليها كده"

ثم أشار لها إلى عدد من الفتيات الأخريات، وهو يضيف:

"وعندك دول مثلًا، بتوع المهرجانات، والأغاني اللي مش أغاني دي، ولازم البنت تعرق وهي بترقص، علشان تعرف الناس إنها بترقص، بعيدًا عن العري اللي ملوش علاقة بالأناقة خالص، بس المهم إنها تطلع كبتها من أب، أو أخ، أو زوج، أو أي راجل في حياتها، وخلاص.. المهم بأة إن لو حد لمسها دلوقت وسط كل العيون اللي واكلاها دي، حتسمعي ألفاظ مستحيل تطلع من بنت، وده طبعًا لأن الولاد

برضه بيحاولوا يطلعوا الكبت، يا بلمسة مش متعمدة، يا إما بأة في الحمام على السريع، لا مؤاخذة!"

ثم نظر لها ساخرًا، وهو يستطرد قائلًا:

"وطبعًا بعد ما الليلة تخلص، تروح السنيورة بأة علشان تصلي العشاء، وتدعي ربنا يوفقها، علشان تلاقي عريس يحترمها، ويقدرها.."

نظرت له (عتاب) في ذهول، ثم ابتلعت ريقها قائلة:

ـ "إيه السواد ده يا ابني!؟ ده انت مليان على آخرك!"

"مش الفكرة، بس قرفت من المجتمع، وسلبياته، وتناقضاته اللي مبتخلصش، عارفة يا (عتاب) العلاقة هنا ما بين الولد والبنت من أعقد ما تكون. بيقعدوا يجروا ورا بعض زي القط والفار لحد ما كل واحد يصطاد التاني، وبعدها يكرهوا عيشيتهم، قوليلي ليه؟"

ـ "ليه يا عبقري زمانك؟"

"لأنهم بيتوهوا من بعض بعد كده. متوقعة إيه من ولد اتربى على إن الرومانسية في الحب محن، وسهوكة، والبنت اتربت على إنها لازم تتقل على اللي بتحبه وما تريحهوش، والنتيجة إنهم بيبقوا أبرد من التلاجة في عز الصيف"

ثم ابتلع ريقه، وهو يكمل:

ـ "وتعالي بأة لو عدا الحوار بسلام لحد الجواز، تجيلنا بأة أكبر مشكلة في حياتهم.. الجنس!"

احمر وجه (عتاب) خجلًا، وهي تقول له:

ـ "بس عيب. راعي إني أنثى برضه.."

ـ "أهو ده اللي بقوله.. العيب!"

ثم أكمل بسخرية مريرة:

"قبل الجواز لو ناموا مع بعض يبقي غلطوا مع بعض، رغم إني شايف إن مفهوم الغلطة ده بيكون للي مكملش، وما أصرش بعدها، وفي الغالب الولد هو اللي بينسحب بعد ما يشبع منها لو كان واطي. من مبدأ إني ما اتجوزش اللي سلمتني جسمها قبل الجواز رغم إن الحمار مش فاهم إن ده ثقة وحب منها، يستحقوا إنه يصر، ويتمسك أكتر، وأكتر. ولو ده محصلش، واتجوزوا، الولد بيتعامل بمبدأ (لازم أدبحلها القطة). والبنت مركزة في الخلفية النيلة بتاعة خوف الجنس بتاع أول يوم ده، من مبدأ (أعمل إيه علشان متوجعش). لكن في السرير بقى لو طلبت البنت منه حاجة معينة حتمتعها أكتر يبدأ يشك إنها شمال، ولو هو طلب منها حاجة تقوله على فكرة أنا بنت ناس مش شاقطني من الشارع!"

ثم ضحك في سخرية مريرة، وهو يتابع قائلًا:

"النتيجة بأة إنه بيروح الشارع فعلًا، لو ما انحرفش فعلى الأقل حيتكلم مع بنات، أو حينحرف مع عقله ونفسه، وترجع هيا تشتكي للحاجة طنط، وتقولها بطل يقعد في البيت، وخايفة يكون بيخوني، رغم إن الخيانة ممكن تكون في العقل، دون الفعل، وده أضعف الأنواع، وأكثرها انتشارًا عندنا في مصر!"

ـ "إيه يا ابني كل ده؟ ده انت متعقد بأة!"

"لأ، خالص، أنا صريح، وواضح حتى في الغلط، من غير ما أجمل.. وبعدين مش ده الواقع!؟ سيبك من ده، وتعالي بصي بأة على الصورة الأكبر (المجتمع المصري).."

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وهو يكمل:

"عندك شاب زيي اتولد برة، ولما جه معرفش يخش كلية عسكرية، علشان شاكين في انتمائه، مع العلم إننا لما كنا برة مع أصحابي، كان اللي يتكلم عن مصر بنص كلمة كنا بننفخه. المهم إنه قال وماله أنا أخدم بلدي في أي مكان.."

ثم تأمل السماء، والقمر الذي استحال بدرًا، وهو يتذكر قائلًا:

"أقوم مكمل كليتي، وأتخرج ألاقي الفساد محاوطني من كل حتة، ولازم واسطة علشان أشتغل في مكان محترم، فأشتغل مندوب بيع، عكس ما الكل بيقول إن الشباب عايزين يشتغلوا بهوات في مكاتب، وأهو قلت أجيب بأة النجاح بدراعي.."

ثم أكمل، وقد بدأ صوته يعلو في غضب:

"وأول ما أبقى كبير، وعندي شركة صغيرة، يقوم المصريين فجأة يفتكروا إن البلد فيها فساد، فيقرروا يثوروا، وبأعجوبة ننجح، ونغير النظام. وأبدأ أنا أفرح مع الناس اللي بان معدنهم النظيف في ١٨ يوم، وعلموا العالم معنى الرقي في الثورات، تقوم الثورة بأة عاملة فينا إيه؟ تطلع أسوأ ما فينا!"

ثم أردف قائلًا، وهو يتأمل عين (عتاب) المتعجبة:

"والأسوأ بأة إننا بعد كده، بجهل شعبي مستمر، نقوم جايبين نظام تاني أسوأ من الأول، ناس لابسة جلاليب بدل البدل على اعتبار إنهم بتوع ربنا، فالنتيجة بأة إننا شايفين أيام أسود من قرن الخروب.. بلطجة في كل حتة، وحتت من البلد خايفين لتتباع، وأسعار بتزيد، وشباب بيتهمش من تاني، وبرلمان مهزلة قسم آراء الناس بين مين صح ومين غلط، وطبقة مثقفة بدأت تهج؛ لأن البلد دي والشعب ده مينفعش فيه الديموقراطية، والحمد لله داخلين على فتنة حتدمر الأخضر واليابس"

ثم التفت إلى (عتاب)، وهو يقول لها بأسى:

ـ "ورغم كده لسه بعافر، ومش قادر أبعد برة البلد دي!"

تأملت (عتاب) القمر مثله، وهي تقول له:

ـ "طب ما انت مفكرتش برضه من وجهة النظر التانية، البنت عايزة إيه؟"

رد عليها بسخرية:

ـ "وعايزة إيه البنت إن شاء الله!؟"

"البنت بتفضل مستنية اللي حييجي يخليها سعيدة في حياتها، بتحلم بيوم فرحها، وهي لابسة الفستان الأبيض، ومعاها حبيبها، بس بتبدأ تبص على الواقع، تحس إنها متحاصرة ما بين حاجات كتيرة.."

ثم أخذت نفسًا عميقًا، وهي تكمل قائلة:

"خد عندك مثلًا، مجتمع ذكوري بيضغط على البنت من ساعة ولادتها على اعتبار إنها مهما تعمل نفسها، وتنجح، فمصيرها في الآخر لبيتها وعيالها. وأمهاتنا كل وظيفتهم في الحياة بعد ما تتخرج إنها تشوفها متجوزة، علشان متعنسش، وتقعد في أرابيزها، وكإنها حتبقي عار لو متجوزتش. وفي نفس الوقت، شباب مستهتر اتعود على إنه ميبقاش مسؤول، ولا عنده النضج، ولا الصراحة الكافية مع نفسه، ومع اللي حواليه، كذاب على طول الوقت، وشايف إن اللعب بالبنات شطارة، وفهلوة تستحق يتعمل بيها حفلات، يتفاخروا بقصصهم مع أصحابهم على القهاوي والنواصي، وفي نفس الوقت برضه طلبات ضرورية، علشان الجواز مع وضع اقتصادي زي الزفت، وبطالة خلت الشباب استسهلت، ليه يتجوز لما ممكن يعمل كل حاجة برة من غير جواز!؟"

ثم نظرت له لحظة في صمت، قبل أن تتابع قائلة:

"وده ما بمنعش إن فيه دايمًا استثناء للقاعدة من الطرفين، انت نفسك واحد منهم، بس للأسف الطرفين يستاهلوا الشفقة، لإنهم في معادلة قاسية مبترحمش، وللأسف برضه الكويس بيروح في الرجلين"

نظر (رامز) للسعادة المطلة في عيون من حوله، وكأنه يحاول اقتناص بعضًا منها له متابعًا في حزن:

- "إنتي عارفة الحل فين؟ في جملة قصيرة، وبسيطة جدًا..."

ثم قال لها في حسم، وهو ينظر لعينيها:

- "بالحـــب تكتـــمل الأشيـــاء"

أعادت (عتاب) الجملة، وكأنها تستوعبها، ثم سألته في فضول:

ـ "قصدك إيه بالجملة دي؟"

"تعالي طبقيها على حياتنا كده، الحب اللي ناقصنا علشان نفرح في بيتنا، نفرح في بلدنا، نفرح جوه نفسنا حتى، طالما في حاجة ناقصة في حياتنا يبقى محتاجين للحب اللي الكل بيتريق عليه وبشدة، وقبل كل ده محتاجين ثورة أضخم من اللي حصلت في مصر وطيرت (مبارك)، بس المرة دي محتاجينها في أخلاقنا وعاداتنا، محتاجين نبص بعين تانية بره صندوق اتحبسنا فيه من سنين وسط حياة حوالينا أسرع بكتير من دماغنا اللي اتحنطت زي مومياء الفراعنة كده"

"بس تفتكر لو الوسط اللي إحنا فيه فضل مسمم كده ممكن الحب يكمل اللي ناقص؟"

"معرفش، بس القصة هنا حتبقى على حسب الشخصيات كل واحد وقدرته، يا يعدل ده يا ياخد المبدأ في وسط تاني"

نظرت له باستغراب، وهي تقول له:

"يا ابني، انت كده حتتعب في حياتك، علشان مش كل اللي حواليك حيفهمك. بس السؤال اللي فارض نفسه على دماغي دلوقت، انت بأة اكتملت أشياؤك!؟"

نظر لها نظرة طويلة، ثم أجابها بأغرب إجابة تخيلتها ..

الصمـــــت..

■■■■■■■■■■

إليكِ..

لا أدري ماذا تخبئ الأيام لنا، لا أدري إذا ما سوف تقرأ عيناكِ كلماتي يومًا ما؟ أم ستظل حبرًا على ورق! ولكن قلبي تمرد على صاحبه، وقرر بأنه بحاجة إلى الكلام.

ما زلت أنتظر إشارة من قلبكِ الصغير تؤكد لي بأنني على صواب، ما زلت أنتظر، لكن وبصدق أقول لكِ بأن لا رجل يطيق الانتظار طويلًا..

لا تنظري بعين الفرحة إلى حياتك الحالية؛ فكل ذلك إلى زوال، فقط اخطفي فرحتكِ من نظرة حبيب باقٍ مخلص يقيم الدنيا، ولا يقعدها من أجل فرحة عينيكِ الرائعتين.

حين يكون هناك فتى فعل المستحيل من أجلكِ، وتمرد على واقعكِ وواقعه، فصدقيه؛ لأن هؤلاء (وأنا منهم) نادرون.

قد لا تكونين مهتمه بكلامي الآن، وقد لا تهتمين مطلقًا، ولكن كل هذا سيظهر يومًا ما، وسيطعن قلبكِ الصغير بلا هوادة، أو رحمة حين تكونين وحيدة؛ فلا الغرور يصلح حضنًا دافئًا في ليالي الشتاء، والحزن، والوحدة الباردة القاسية، ولا الثقة بالنفس، والقوة تصلح حين تطفو مشاعر الأنثى، وحاجتها للأمان، والاحتواء وسط ازدحام المجتمع، وصراعاته التي لا تنتهي.

فمهما طالت الحياة لابد من يوم تحتاجين لحب صادق، صاف، مفعم برائحة الإخلاص، ونكهة الأمل، ونشوة السعادة، وإحساس الأمان. ولكن السؤال هو حين يأتي الشخص الذي يعطي هذا بصدق، هل ستفهمين؟ أم ستجبركِ الدنيا على فهم هذا بطريقتها الفريدة القاسية؟

مازلتُ في انتظار هذه الإشارة، ولكنني لن أنتظر طويلًا؛ فقد بدأ صبري بالتخلي عني، وإقناعي بأن القدر يخبئ لي الأفضل، بعد أن بذلت ما في وسعي للحفاظ عليكِ، لكن حلمي وأمنيتي أن تستيقظي من غفلتكِ وغفوتكِ، لأكون لكِ هذا الأفضل.

لقد قررت أن أكون علامة في حياتكِ، سواء كتب لنا القدر أن نجتمع معًا في بيت واحد، أم لم يكتب. لكنني أرجو أن أكون في الصورة الأولى، وأرجو أن يريها الله لكِ بلا أي التباس في الصورة الثانية.

الحب نار ملتهبة، قد تدفئنا في ليالي الشتاء، أو تحرقنا في حر الصيف، ولكن الأكيد أنها بحاجة إلى وقود.. من الثقة، والصراحة، والشجاعة، والذكاء الكامل، لتتحكم جميع هذه العناصر في استمراريتها، وأنا في حياتكِ نار تتراقص في نشوة، أتعلمين لماذا!؟

لأنني، وبصدق، أنتظر وقودك الذي يزيدني اشتعالًا..

وأحـــبكِ..

إمـــــــــضاء

قـــــاهر المستحيل من أجـلكِ

ديسمـــبر ٢٠١٠

■■■■■■■■■■

الفصل الخامس

لحظـــة ألـــــــــــم

ـ "حالة تصحر وجداني، نتيجة اكتئاب حاد!"

قالها الدكتور (حسـام)، وهو يسترخي في مقعده الوثير، في عيادته النفسية التي تحتل مكانًا مميزًا، مطلًا على ميدان الساعة، أحد أشهر ميادين مدينة طنطا، موجهًا كلامه إلى (إيمان)، والتي سألته بدورها في اهتمام:

ـ "يعني إيه يا دكتــور!؟"

"ده مصطلح الأطبـاء النفسيين بيطلقوه على مجموعة من الأعراض الجسدية، والإدراكية، والعاطفية، اللي بتحصل لشخص مصـدوم عاطفيًا. الأعراض دي كتيرة، ومختلفة ما بين شخص وآخر، على حسب مدى قوة، أو هشاشة شخصيته، وطباعه اللي استمدها من الوسط اللي عايش فيه.."

ثم استطرد قائلًا:

"الأعراض دي بتبدأ من أول البكاء والكآبة، بعدها شعور باليأس والقهر، وده بيوصل لحالة من القلق الدائم، والتوتر، وبالتالي اضطراب في النوم، ممكن في الغالب يوصل لأرق كامل، لحد ما في أسوأ الحالات.. لو مسيطرناش على الحالة دي بعلاج مكثف، وجلسات طويلة لتعديل السلوك النفسي، ونبعدها عن كل المؤثرات السلبية الخارجية، ممكن توصل في قمة يأس الحالة، وانفعالها لمؤثر جديد إلى الانتحار.."

نظرت له (إيمان) بذعـر، وهي تردد في خوف:

ـ "ياه! للدرجـادي!؟"

رد عليها الدكتور (حسـام) قائلًا:

"مش كده وبس، في الغالب الحالات اللي زي دي بتعدي بثلاث مراحل: في الأول بتبدأ مرحلة (التكذيب)، ودي بتعمل في الشخص المصدوم حالة اغتراب، وانعزال لفترة معينة من الزمن، بتطول أو تقصر حسب كل واحد، وشخصيته، ونوعه. مع شك مزمن في كل اللي حواليه"

ثم داعب منظاره الطبي الأنيق، ليعدل من وضعه، وهو يكمل قائلًا:

"المرحلة التانية بأة هي (مرحلة قمة الغضب)، وفيها بيقهر الطرف المهزوم في العلاقة نفسه، وبيتعذب كتير بسبب اللي حصله، وبيسيطر عليه إحساس الوحدة، وإن محدش حيحس بحرقة القلب اللي هوه فيها. بعد كده بأة الناس اللي بتعدي الصدمة بيحصلها مرحلة (الاستقرار)، ودي بأة بتطلع كل الإيجاب اللي جوه الشخص لمجـرد إنه بيحاول يقنع نفسه إنه كسب مخسرش.."

ثم سحب نفسًا عميقًا من سيجارة أجنبية الصنع، وهو يكمل قائلًا:

"الفكرة بأة إن الفرد خلال ده بيحصله أمراض عضوية بسبب الحزن، من أول القرحة في المعدة، لحد ضعف عضلة القلـب نتيجة اضطراب ضغط الدم، وعدم انتظـام الكوليسترول، ده غير الشرخ النفسي المستمر، وعلى فكره الكلام ده كمـان بيسري على كل شخص فقد حد عزيز عليه، سواء كانوا أصدقاء أو مقربين في الأسرة، وبالتأكيد الحبيب أو الحبيبة"

ثم نظر لها نظرة طويلة، متأنية، متأملة، وهو يقول:

"بس ذكـاء منك اللي عملتيه ده، رغم إنه اتهرس في خمسميت فيلم قبل كده، هو ده اللي هي محتاجاه دلوقت فعلًا.. حد يحبـها بجد.."

أطرقت (إيـمان) رأسها في خجل، وهي تقول بصوت أقرب إلى الهمس:

"صاحبتي ومليش غيرها، ومقدرش أشوفها في الحالة دي وأسكت"

حقًا لقد تصرفت (إيمان) بذكـاء، ولم يكن بيدها أن تقف ساكنة أمام صديقتها بلا تدخل منها لإنقاذها.

ستة أشهر مضت، ولا تغيير يطرأ على (عـلا)، وهنا قررت أن وقت سكوتها كصديقة قد انتهى..

لمحت لوالدة (عـلا) فكرة أن تصحب صديقة عمرها إلى دكتور متخصص، ليخرجها من كبوتها النفسية التي تزداد تفاقمًـا. لكنها شعرت بصدمة بالغة حين أجابتها الأخيرة بالرفض في ثورة، وهي تضرب يدها على صدرها قائلة في لوعـة:

"هيا بنتي مجنونة ولا مجنونة!؟ أنا بنتي ست العاقلين، وبكرة أنا أجيبلها عريس أحسن منه يسعدها ويهنيها.."

حتى هذه الفكرة لم تجد أي استجابة، أو صدى إيجابي من (عـلا) نفسها، كل ما أظهرته هو ابتسامة ساخرة، ونظرة خاوية تخفي حزنًا دفينًا عميقًا، ثم عاودت مشاهدة التلفاز، وتجاهلت إلحاحها تمامًا وهما يتناقشان في تلك الليلة في منزل (إيمـان).

فما كان منها إلا أن طلبت استشارة طبيب شهير صديق لوالدها، الذي أرسلها إلى الدكتور (حسـام) بتوصية خطية لمساعدتـها. وهنا أقنعت (إيـمان) الدكتور بضرورة مقابلة (عـلا) خارج العيادة.. وهداها تفكيرها إلى تدبير لقاء مصطنع على الغداء، وهي تجلس مع (عـلا)، وعائلة (إيمان) في منزل الأخيرة.. ليظهر الدكتور (حسـام) وكأنه صديق للعائلة، ثم يبدأ بتجاذب أطراف الحديث بشكل عام، حتى استطاع بخبرته سبر أغوار (عـلا) الدفينة.

قطع صوت الدكتور (حسـام) استرسال حبل أفكارها، وهو يقول:

"المشكلة إن شخصية صاحبتك، وظروفها المحيطة، وسط سيئ، ومرهق نفسيًا، وعمره ما حيساعدها أبدًا"

لترد عليه (إيمـان) بحذر متسائل:

ـ "بمعنـى...!؟"

"(علا) بحكم نشأتها في وسط أقل من المتوسط بدرجة أو اثنين معرضة لتأثير كلام الناس حواليها، ضيفي على كده إنها شخصية طيبة، وحـالمة لدرجة فصلتها عن الواقع، فبالتالي لما حبت أخلصت من قلبها، بلا أي مقاومة أو شخصية.. ضيفي على كده حرمان عدم وجود أخ، ووفاة الأب حرمها من الشخص الموجه، والمنقذ في الظروف دي، وعمل عندها حالة فراغ عاطفي مقدرتش الأم تغطيه لوحدها، فعلشان كده هيا في الحالة دي"

"بص يا دكتور، الحق يتقال برضه خطيبها مكانش وِحشْ، وفعلًا كانت فوق السحاب معاه من السعادة، بس إيه اللي حصل في النص؟ هو ده اللغـز اللي محدش فاهمه لحد دلوقت.."

"كده كده موضوعنا دلوقت، إزاي نحول (علا) لشخصية إيجابية؟ أنا عارف إن الموضوع ده محتاج شغل كتير، بس حنحاول.."

ثم ارتشف رشفة من فنجان القهوة الساخن الذي أحضرته له سكرتيرته، بعد أن أنهى سيجارته دون أن يدخنها كاملة، وهو يكمل كلامه، ويفكر بعمق:

"المشكلة إن شخصيتها هشة، وضعيفة بشكل صعب جدًا، بس أعتقد إن ده مش أصلها.."

غمغمت (إيمان) في حـزن:

"ولا عمري كنت أتخيل إني أشوف صاحبتي في الموقف ده في يوم من الأيام.."

ـ "بصي، عندي فكـرة.."

قالها الدكتور (حسـام)، وهو يمسك سماعة هاتفه، وينظر إلى (إيمان) غامزًا، وأصابعه تجري بحثًا في الأسماء في سرعة، وابتسامة عريضة تزين وجهه، وهو يقول:

ـ "أنا ححطها على أول الطـريق.."

نظرت (إيمان) له، وتعلق قلبها بهاتفه، وهي تحاول أن تستحضر إحساسًا واحدًا فقط، تعلم أن صديقتها بحاجة إليه وسط كل ما تعيشه من لحظات ألم..

إنه إحساس الحياة من جديــد..

والأمــل..

■■■■■■■■■

ـ "حنعمل إيه في الشهر الغريب اللي مش باينله تحقيق تارجت ده!؟"

قالت (لميس) تلك العبارة في حنق، موجهة حديثها لمديرتها، وصديقتها المقربة (ملك)، وهما يجلسان في كافيه راقٍ بشارع سعيد.. لترد عليها (ملك)، وهي ترتشف قهوتها في شرود:

ـ "ولا أعرف، سيبيها على الله.."

"حتى البلد مش مساعدة على الشغل، حملة تمـرد شغالة في كل حتة، والإخوان بيحاربوها بإيدهم وسنانهم. وتحسي كده إن البلد محطوطة في حلة ضغط حتنفجر في أي لحظة.."

ثم نظرت إلى (ملك)، وهي تتأمل طريقتها في شرب القهوة في شرود..

تعرف صديقتها جيدًا، هذا الشرود دليل تفكير عميق في معضلة لا يعلمها إلا الله.. رغم أنهما لا يتحدثان عن حياتهما السابقة إلا فيما ندر، ولكنهما منذ أصبحتا صديقتين، وهما لا تخفيان أي سر عن بعضهما، وكأنهما اتفقتا ضمنيًا على محو الماضي، وتشاركهما في أحداث الحياة الحالية، ورسم المستقبل بشروطهما الخاصة.

وبدافع القلق أفلت السؤال من عقلها، منطلقًا إلى لسانها كالسهم، فألقته بلا تفكير:

ـ "مالك يا (مـلك)؟"

نظرة طويلة متبادلة بين عيني الفتاتين، مع صمت مطبق، مفعم برائحة القهوة أحاط المكان للحظات، ثم أجابت (مـلك) في بطء:

ـ "بـابا!"

ـ "ماله تعبان ولا إيه!؟"

ـ "لأ، خالص، هو كويس الحمد لله.."

ـ "أومال في إيــه!؟"

"نظرة بابا ليا مش مريحاني، نظرة حزيـنة طويلة دايمًا، بتستخبى ورا ضحكه ومرحه، وكإنه مخبي سر كبير عليا، وفاض بيه.."

ـ "طب ما تسأليه!"

"ما هو أنا مش فاهمة نظرته علشان أسأله، دي حاجة كده أنا حاساها، بس مش عارفة ألاقيلها مسكة.."

ثم زفرت في حنق، وهي تضيف:

"المشكلة إن النظرة دي كتير أوي بحس إنه بيبصلي بإحساس الشفقة، وساعات بحس إنه بيبصلي بلوم لما خلاني بقيت بكلم نفسي.."

قالت (لميس)، وهي تفكر بعمق:

ـ "ما يمكن عايز يتطمن عليكي ويجوزك.. حقه برضه.."

ـ "لا يختي، أنا لازم أتطمن عليكي الأول.."

قالتها (مـلك) في سخرية، ثم أضافت قائلة في جديـة:

"بصي يا (لميـس)، أسطوانة عايز أجوزك، وأتطمن عليكي إياها مبتخلصش من أي بيت مصري.. ما تنسيش إحنا مش في القاهرة، ولا إسكندرية علشان يبقى عندنا البدايل اللي عندهم ودنيتنا هنا في طنطا محدودة، أكيد عندك كمان بيشغلوها.."

ضحكت (لميس) وهي تقول:

"مبسمعش غيرها وحياتك، بس هما مشغولين بأخويا الكبير (حسين) وحواديته اللي ما بتخلصش"

ـ "ماله أخوكي كمان؟"

ـ "لأ، دي حكاية طويلة، مش وقتها دلوقت.."

ثم زفرت أنفاسها في ضيق، وهي تقول:

ـ "ياما نفسي أجوز الواد ده ببنت طيبة وتستاهله"

ـ "إن شاء الله ربنا حيرزقه ببنت تكون طيبة، وقلبها أبيض زيك.."

ـ "يا رب يا (مـلك)!"

ثم تناولت رشفة من فنجان قهوتها، وهي تقول:

"وبخصوص باباكي، سيبي الأيام توريكي.. خليكي بس ناجحة في شغلك طالما مش عايزة تتجوزي، وهو مصيره يشرحلك لوحده"

تأملتها (مـلك) في نظرة حب صادق، وهي تقول لها:

"مش عارفة يا (لميس) من غيرك كنت عملت إيه، رغم إنك أصغر مني بس دماغك بتعجبني، كل يوم بكتشف تشابه جديد ما بينا، وده بيخليني أحس بالراحة معاكي أكتر"

نظرة تأثر واضحة من (لميس)، لصديقتها (مـلك) غطت المشهد، ثم قامت لتحتضنها في حب جارف، وهي تقول لها:

"خلينا نخطف من الحياة حضن بحب، محدش عارف بكرة مخبي إيه"

ثم انطلقتا في حديث بناتي أنساهما همومهما، وتبادلتا الضحكات بصوت عالٍ فرِحْ..

بالفعل ليس بيد الفتاتين عمل أي شيء سوى انتظار حدث مؤثر في حياتهما، ينثر الحب في الأرجاء.. وحده الله يعلم وقته ومكانه.. ولن يفك طلاسم الانتظار سوى شيء واحد..

الغـــــد..

■■■■■■■■■■

«وبكده صديقاتي، وأعزائي المستمعين، بتنتهي حلقتنا النهاردة من برنامج حكاوينا، أتمنى أكون قدرت أنوّر لكم الجزء المظلم في كل مشاكلكم اللي سمعناها النهاردة، ونتقابل إن شاء الله في الحلقة الجاية على خير. كانت معاكم (عتاب سعيد)، وبرنامج حكاوينا مباشرة من إذاعة طنطاوية أونلاين، أول إذاعة من طنطا والدلتا، موجهة ليكي وبيكي.. تصبحوا على ألف خير..»

وضعت (عتاب) السماعة على الحامل، وأبعدت ميكروفون الإذاعة بعيدًا عن فمها، بعد أن أنهت حلقة الليلة، ثم قامت من على مقعدها، ململمة أغراضها، وهاتفها، وهي تلقي التحية على مهندسة الصوت، وزميلاتها في الاستديو، لتغادر بخطوات سريعة مقر الإذاعة، وهي تتلقى في طريقها التهاني والمباركات على نجاح حلقة اليوم، مما زاد من سعادتها، ورسم ابتسامة على شفتيها مغايرة لما يحمله قلبها من مشاعر متضاربة.

حين وافقت (عتاب) على المشاركة في نشأة الإذاعة منذ حوالي السنة، لم تكن تتخيل هذا النجاح المدوي، ولم تكن تدري أنها ستصبح عمودًا أساسيًا ببرنامجها، الذي أصبحت كل بنات الدلتا ومصر تقريبًا تقتطع جزءًا ليليًا من وقتها للاستماع إليه.

حتى صفحة البرنامج على الفيس بوك، شهدت حراكًا طاغيًا، وتفاعلًا غير مسبوق، أعاد لها ثقتها بنفسها من جديد، وساهم في إكسابها الكثير من الخبرات التي جعلت منها شخصية مجتمعية بصفات جديدة!

كانت الفكرة بالأساس قائمة على أن الفتيات في طنطا لا يجدن صوتًا ناطقًا متحدثًا عن مشاكلهن، وأحلامهن، وطموحاتهن، حتى في عتمة المشاكل كن يحتجن إلى بعض الفضفضة (الحريمي)، لفك طلاسم هذه المشاكل، وهو ما تفعله ببرنامجها.. وحتى الإذاعة نفسها كانت فكرة مقترحة بينها وبين صديقاتها، قبل أن تتحول البذرة إلى واقع مثمر، ساهم في تغيير الفكرة السائدة عن بنت الريف لدى بنت البندر، وأثبت للجميع أنهن متساويات فكرًا، وثقافة، وذكاء، وذوقًا عاليًا ورقيًا.. منهيين بذلك عصر الصورة النمطية لدى أهل العاصمة بأن طنطا مدينة ريفية ببنات مازلن يلبسن الجلابيب والمنديل.. بل وأصبح برنامج حكاوينا منتشرًا بين أوساط البنات في الجمهورية بأسرها، وسفيرًا جيدًا، وضع عاصمة الدلتا على خريطة الفكر والثقافة من جديد.. وساهم في ذلك أكثر أن الإذاعة لا تبث إلا عبر أثير الإنترنت ما ساعد في انتشارها، وسهولة وصول البث إلى الجميع حتى أصبحت (عتاب) نفسها أيقونة لحل المشاكل العاطفية، كنموذج مؤنث من (أسامة منيـــر) بشحمه ولحمه.

وصلت (عتـاب) إلى سيارتها، ثم جلست أمام عجلة القيادة، متجهة إلى منزلها، وهي تنفث زفيرًا ضجرًا، حاول حمل هموم قلبها إلى الخارج دون فائدة.

"يبدو أن باب النجار مخلع".. هذا ما تقوله دائمًا، ويثير ضجرها؛ فقد أثار كلام (رامـز) صديقها في تلك الليلة زوبعة الواقع الذي تهرب منه، ووضعه واضحًا جليًا أمام عينيها.

حتى هي تشعر بالتضارب، حالها حال هذا الجيل، بين ما تنصح به الفتيات في البرنامج، وبين حياتها الخاصة، وأفكارها السابحة عكس تيار المجتمع بعاداته وتقاليده!

مذعورة هي بحق من تغيير شخصيتها الجذري.. كل تجربة تحفر مبدأ، وتنتزع آخر، ومازال بحثها جاريًا عن نفسها.. وعن الحب.. وعن السعـادة.

حتى هي تبحث عن حضن ناضج، يحتوي روحها المضطربة المختفية خلف طاقة الحياة التي تشعها إينما ذهبت.. ويخلق الابتسامة على قلبها الغارق في العتمة والظلام دون أن تستطيع إنارة أي شبر فيه قدر استطاعتها أن تنير القلوب حولها، ومن أجل ذلك كسرت، وستكسر كل التابوهات أيًا كانت ماهيتها، أو ثمنها.

تزوجت، وهي خام، بلا تجارب، لصغرها في السن، ثم انتقلت للعيش في القاهرة، وهي تحمل في جعبتها أحلامها الوردية، بحياة أسرية رومانسية سعيدة.

ولكنها اكتشفت نفسها من جديد، ولم تستطع مقارعة سرعة الحياة التي لا ترحم هناك..

«أنا زي الفريك، ما بحبش شريك».. هكذا كانت تسمع من أمها، وهكذا كانت تؤمن، وهكذا كانت تفعل، وتقول لزوجها دائمًا.

اكتشفت بعد زواجها أن السعادة ليست في العثور على الشريك المناسب فحسب، فهذه نصفها فقط، ولكن النصف الآخر هو في أن يقود الزوج بمساعدة الزوجة شراع استمرارية سفينة الزواج بقيادة حكيمة، ونضج كافٍ للمحافظة عليها.. وهو ما كان يفتقده زوجها، والكثير من جيله للأسف.

وهكذا اكتشفت أنها باتت جزءًا من حياته يزاحمها عمله كمضيف جوي، وأصدقاؤه، وصديقاته الفاتنات، ما جعلها في تصادم واضح أمام كل ما زُرع فيها، وتربت، وآمنت به.

ولأنه كان يخفي عن حياته أكثر ما يظهر.. ولأنها لم تستطع هضم فكرة صداقاته، كونها حديثة العهد بهذه الفكرة.. ولكونها وحيدة بلا أصدقاء، شعرت بأنها ضلت الطريق إلى ما كانت تحلم به. وقتلتها الغيرة يومًا بعد يوم. واستمرت المشاكل

تدق مسامير في نعش علاقتهما وزواجها، الواحد تلو الآخر، حتى امتلأ التابوت عن بكرة أبيه، وآن وقت إنزاله إلى مثواه الأخير.

وتم الطــلاق..

وعادت إلى طنطا، مخفية هذا الخبر عن الجميع، ما عدا والديها وإخوتها فقط، بل واختلقت قصة مزيفة عن زوجها الذي توفي في حادث، مستغلة عدم معرفة أحد به، وزواجها في مدينة أخرى زواج صالونات تقليدي، لأنها لن تتحمل قسوة نظرة المجتمع لها، فطنطا مدينة كما يقولون (مسمعة في بعضها)، وتظل دائمًا كلمة أرملة أهون بكثير من لقب مطلقة، صحيح أن هذه الفكرة تغيرت مع الوقت منذ أن أصبح الطلاق يقام له حفلات احتفال! ولكن هذا ما كانت خلفيتها الاجتماعية وتربيتها تؤمن به وتطبقه.

وهنا قررت (عتـاب) أن تخفي هذا في دولاب أسرارها الكثيرة عن الجميع، وأن تكسر كل ما كسرها، وتجرب عكس مفاهيمها، وأفكارها تمامًا، وتمشي عكس التيار.

واكتشفت بأن هذه التجربة أطفأت الكثير مما تؤمن به من غيرة، وانفعال، وتمرد، وغضب.

وانخرطت في حياتها مرة أخرى، محاولة أن تشغل نفسها، وتحب الحياة.

فوسعت علاقاتها، وأصبح لها الكثير من الأصدقاء من الجنسين، لتغير مفهومها البالي عن معنى الصداقة، خصوصًا بين الرجل والأنثى، حتى أصبح (رامز) الصديق الأقرب لها على الإطلاق. ورغم ذلك حافظت على مسافة فاصلة في علاقاتها، وظلت تسمع فقط دون أن تفتح دولاب أسرارها لأحد.

وحتى مع كل هذا، ومع مرور الأيام والليالي، طفى إلى السطح حاجتها إلى الحب من جديد، وبدأت سلسلة من العلاقات العديدة المتلاحقة التي لم تكلل بالنجاح. وكل هذه العلاقات جمعها عاملان مشتركان. الأول، أنها كانت رد الفعل، فلم

تكن هي التي قالت كلمة الحب للطرف الآخر أولًا. والثاني، والأهم، والأغرب، أنهم كانوا جميعا متزوجــين!

يقولون أن ما يجذب الشخص في كل علاقة جديدة هو حلاوة الحب بمغامرته وجنونه، وفي نفس الوقت محاولة الشخص أن يجعله مختلفًا كليًا وجزئيًا عن كل ما مر به من تجارب؛ فكل تجربة تمر على أي فتاة، تترك أثرًا عميقًا، لا ينمحي أو ينسى.. حسنًا إن ما يقولونه صحيح مائة بالمائة.

من يحب يا سادة، يتناسى، ويستمر، لكنه لا ينسى.

ولعل رغبتها في نسف أفكارها البالية القديمة، وبحثها عن حب صادق، وناضج، ومستمر بعد الزواج جعلها تتقبل أن تنسف فكرة (أنا زي الفريك) إياها.. خصوصًا أنها لن تقبل أبدًا برجل (مرقع من بتوع اليومين دول).. ولهذا كانت تنجذب إلى المتزوجين بلا سعي منها.. وهذا أيضًا سر جديد لم ولن تبوح به لأحد.

شعرت (عتاب) بحاجتها إلى الهواء النقي، فخفضت زجاج سيارتها، مطفئة التكييف، وهي تقود بهدوء، وتراخٍ في هذا الوقت المتأخر، في شوارع طنطا العصرية، الناعسة، الحالمة.

وامتدت يدها إلى الراديو مستمعة إلى إذاعة الأغاني.. لينطلق صوت فيروز بأغنية حملت لها ذكرى بعيدة، صادقة، وحيدة، أثرت عليها بعمق.

أغنية حملت عبقه، وشجنها، وحنينها، وإسمه!

شـــــادي..

■■■■■■■■■■

ـ "تقدري تستلمي شغلك من بكرة يا آنسة (عــلا)"

ابتسمت (عـلا) في خجل، وهي تقول للدكتور (أدهم) صاحب مستشفى القلب الشهير في سعادة:

ـ "إن شاء الله أكون عند حسن ظن حضرتـك.."

"بصي يا (عـلا)، إنتي حتكوني مسؤولة عن حسابات صيدلية المستشفى، وتوفير النواقص لما نحتاج، وده محتاج منك شغل وتركيز، وأنا عارف طالما الدكتور (حسام) هو اللي باعتك يبقى إنتي أد الثقـة"

ـ "متقلقش يا دكتور، كل حاجة حتبقى تمام إن شاء الله"

ثم صافحته في حرارة، وهي تقوم من مقعدها، لتنصرف قائلة:

ـ "أستأذن أنا بأة يا دكتور"

ـ "مع السلامة يا (علا). بالتوفيق إن شاء الله"

خرجت (علا)، وأغلقت الباب خلفها، وهي تنظر لصديقتها (إيمـان) التي تنتظرها في حجرة السكرتارية في قلق، ولكنها لم تكد تلمح ابتسامة (عـلا) حتى قامت من مقعدها، لتحتضنها في سعادة، وهي تقول لها:

ـ "ياه، بقالي كتير مشفتيكيش بتضحكي. مبروك الشغل يا حبيبتي"

اغرورقت عينا (عـلا) بالدموع في سعادة، وهي تنظر إلى (إيمان)، وتقول لها في صوت خافت:

ـ "(إيـمان)، عايزة أقولك على حاجة"

ـ "قولي يا (عـلا) كل اللي نفسك فيه"

نظرت لها (عـلا) في صمت، وعينيها الدامعتين تقول لها الكثير،

ثم وكأنها لم تجد ما يقال ارتمت في أحضان صديقتها، وهي تقول في أذنها همسًا:

ـ "بحبك أوي.. وشكرًا على كل حاجة عملتيها علشاني.."

ثم ازدادت ضمتها لصديقتها في إحساس غاب عنها كثيرًا..

إحساس الأمــل في الحياة..

والفـــرح..

■■■■■■■■■

#ويك_إند_إستاتس

لو كنت أعلـــم أننـــــي ..

سأذوب عشقـــًا.. وألـــم..

لو كنت أعلـــم أننـــــي..

سأصيـــر شيئًا من عـدم..

لبقيـــــت وحـــــدي..

#فاروق_جـويدة

#برنامج_حكاوينا

#طنطاوية_أونلاين

الفصل السادس

مشـــــاعر جســـــــــد

من أين يأتي بكل هذا الحنان؟ كتلة من الرجولة الحانية هو، يعرف كيف يمنح الأنثى الحياة، والأمل، بكل أسلحته الرجولية الحبيبة إلى قلبها.. يعرف كيف يمنحها الأمان بالنظرة، بلمسة اليد الحانية، بقبلة صادقة تضع طابع الحب على جبينها، بطبطبة رجلٍ راقٍ على ظهرها..

ولهذا عَشِـقتْـهُ..

ولهذا انهارت في بكاء مرير، وحكت له كل مآسي ما سبق من حياتها، وكأنها تبحث عن أمانها فيه، وفي أحضانه، بعد أن خطفت منها الحياة هذا الأمان.

أرادت أن تحكي له، وله فقط، كي تتطهر، وتتحرر من أغلال الماضي، لتتنفس معه الحياة بحرية من جديد.

حكت له (تاتيانـا) مقدار ألمها النفسي بعد تخلصها من زوجها بالطلاق، كيف كانت تشعر بأنها ذبيحة، وتُقْتَلُ من داخلها! والغريب أن مجتمعها الروسي المنفتح على الثقافات، والعالم تتعرض فيه حوالي ٦٥٠ ألفًا من نسائه للتعنيف الزوجي، وتموت بسببه امرأة كل ٦٣ دقيقة.. وهو ما جعله أمرًا معتادًا، وجعل والدها يتلقى، ويتقبل الوضع في بساطة، حين حكت له عن كل ما مرت به.

كيف لا؛ وهي أنثى وحيدة في وسط عقلية أبوية، رجولية، مسيطرة على المجتمع الروسي، الذكوري، الخشن! حتى كل صديقاتها -على قلتهن- اكتشفت أنهن اعتدن تحمل العنف، بلا أي حفظ لحقوقهن من المجتمع، أو السلطات. ولهذا

حاولت نسيان كل هذا، والاندماج مع (ستيبان)، طفلها الحبيب، وهي تعطيه ما تبقى لديها من حب، وحنان جارف.

ولكن الأنثى بداخلها بدأت تصرخ باحثة عن الحب..

زهرة بديعة المنظر، زكية الرائحة، رقيقة، ناعمة الملمس هي، من غير ماء الحب كيف لها أن ترتوي لتعيش!؟

ولهذا حين ظهر (فيــكتور) في حياتها، لم يتوقف قلبها عن الخفقان لهذا الإحساس الذي تعلم جيدًا مدى حاجتها الشديدة له.

مفتول العضلات هو، ذو قامة فارعة، ونظرة ثاقبة، معسول الكلام، شديد الثقة بنفسه، وقد منحته ثقتها اللامحدودة، لا تدري أبسبب تعطشها للحب، وحرمانها من الحنان؟ أم بسبب ثقته بنفسه التي بدت لها كمغناطيس قوي، جر ثقتها إليه جرًا!؟

تتذكر جيدًا كيف -وعلى مدى شهر واحد فقط- جابا شوارع موسكو بعد انتهاء عملهما معًا، كان يومها سعيدًا منتظمًا، تذهب إلى عملها كسكرتيرة في شركة استيراد وتصدير متوسطة الحجم، وتلتقيه هناك كل صباح، بحكم عمله كمدير في نفس الشركة، ثم يمضي يومها بين العمل تارة، ومحاولتها خطف دقائق ثمينة، لتراه وسط انشغاله تارة أخرى. ثم عند انتهاء عملهما يخرجان للنزهة معًا، ويتناولان العشاء، ثم يوصلها لمنزل والدها، وينصرفان على ناصية الشارع، على عهد باللقاء في اليوم التالي.

وفي يوم من الأيام، قال لها بأنه ينتظر صديقةً له، يريد أن يعرفها عليها، قطعا دروب حي من أحياء موسكو، حتى أشار لها إلى بناية حديثة، صعدا معًا، وهي تشعر بالسعادة، والأمان، والابتسامة تملأ شفتيها. حين طرق الباب لم يجد أحدًا، ثم قال لها بأنها يبدو أنها ذهبت إلى مكان ما، لشراء بعض الأغراض، ثم أخرج مفتاحًا، وفتح الباب، وطلب منها أن تكون على راحتها، حتى يذهب إلى دورة

المياه. كانت شقة مؤثثة بعناية، وذوق عاليين، رغم البساطة الواضحة على الأثاث المتناثر هنا وهناك.

اختارت أريكة وثيرة، تمددت عليها، وهي تغمض عينيها، وتحلم بمستقبل باهر مع (فيكتـور) يفحمها بالأمل.

فوجئت بيد تكبل يديها، ويد كتمت فمها، حتى أنها بدأت تشعر بالاختناق، لتفتح عينها في خوف ودهشة.. وهالها ما رأت..

حسنًا.. أسمعت يومًا عن الثقة في الشخص الخطأ؟

ثم، والأهم، أسمعت يومًا عن كلمة تحملها المجتمعات في كل دول العالم قاطبة، وتتناقلها كإرث، دون حلول، تدعى اغتصاب!؟

إذن تعال لأحدثك عن مرارة تلك اللحظة، وتأثيرها في مشاعر الأنثى..

تعال لتنظر معي إلى هذين الغريبين.. حيوانان غير آدميين ثبتاني بينهما، قبل أن يشلا حركتي بيدين قويتين من جهة، ويد أخرى تكمم فمي، لتمنعني من الصراخ من جهة أخرى.

لا أستطيع أن أصف لك ألم هذه اللحظة، وأنا أشعر بأماني قد تسلل مني، مع كل قطعة ثياب تنتزع مني، ممزقة بمنتهى العنف. كل قبلة، وكل لمسة تشعرني بأنني قطعة من اللحم الرخيص، التي كانوا يشتهون أكلها، وعلى عيونهم نظرات مسعورة، مفعمة بجنون النشوة بالانتصار، وممزوجة بعفن الشهوة الحرام.

امتلأت عيناي بالدموع، التي تحجرت مع جري الألسنة على جسدي البض..

نعم ألسنة!

فقد لمحت (فيكتور)، بطرف عيني، يقرب أنفه إلى شيء ما،

يستنشقه بشراهة، قبل أن يقف مترنحًا، لينضم إلى تلك الحفلة.

الهيروين الذي حصل عليه دفع ثمنه من جسدي!

أتريد أن تشعر بما شعرت!؟ حسنـاً.. تخيل لو أن لسانًا مشقوقًا، لحية رقطاء، مس بشرة وجهك، أو حتى تخيل أنك ترى شيطانًا يخرج لسانه الطويل ليلعقك لعقًا، وأن تشتم رائحة أنفاسه الكريهة، وهي تخترق سكون أنفك في إصرار، لتنقل إشارة إلى مخك بشعور مليء بالغثيان المؤلم.. حسنًا.. من فضلك اضرب هذا الشعور في ثلاثة!

لم أعد أميز من منهم يخترقني بهذا العنف، حتى شعرت معه بأنني ولابد سوف أفقد رحمي مع آدميتي التي انتهت بالفعل.

أتعلم شعورك حين تكون في بيتك مع أسرتك، وتغلق كل أقفال المنزل، ثم تجد ثلة من اللصوص اخترقت كل هذا، ووقفوا يصوبون أسلحتهم إليك، أمام سريرك، داخل غرفتك، وهم يبتسمون لك في سخرية!؟

هذا هو ما شعرت به.. (فيكتور) الآن فوقي، وهو يرتعش مفرغًا شهوته بداخلي.. هذا الوغد السافل وصمني بجزء عفن منه، وإلى الأبد.

لن أحكي لك عن محاولتي لملمة دموعي، الممزوجة بسائل الشهوة الأبيض، على وجهي، وصدري من هؤلاء الذئاب، وأنا أحاول تغطية جسدي، وكرامتي بثيابي التي شعرت بأنها اتسخت بعار الثقة الزائفة.

ولن أحكي لك كيف نزلت معه بلا كلام، وأنا أسمع تبريراته السخيفة، بأنه أحيط بالديون، حتى كاد يغرق، نتيجة إدمانه الهيروين. وأن من يزودونه بالمخدرات، شاهدوني معه ذات يوم، وعرضوا عليه إسقاط ديونه، مع جرعة مجانية، وأكون أنا الثمن، فوافق. وأمطرني بعدها بوعود زواج لا تنتهي.

لن تشعر بي أبدًا، وأنا أترك الماء، ليحتضن جسدي في رفق، محملًا بدموعي، على مدى ساعتين من الزمن، أمضيتها في دورة المياه، وأنا أحاول غسل جسد، كان طاهرًا، قبل أن يهتك ستره وغد متعفن، قذر، حقير.

لن تعرف مهما تصورت معاناة أنثى بعد حفلة اغتصاب جماعية، وهي تشعر بأن جسدها قد أصبح قذرًا.. تكرهه، وتكره نفسها معه.. وتجلد كليهما بألف سوط، وسوط.

ولكن كل ما أذكره بعدها، كيف اختفى!

انقطع بعد ذلك عن العمل، وسمعت همسات من هنا وهناك بأنه وجد عملًا آخر. وتركني بشرخ نفسي لا يجد من يرتقه، وجسد وروح انتهيا بعد كل ما عاشاه من عنف، سواء كان باغتصاب، أو ضرب مهين.

هكذا قررت (تاتيانا) بأن لابد من الهرب من كل الذكريات التي تحملها لها شوارع موسكو، حتى وكأنها ترى وجهه على كل لافتة، مسترجعة مرارة تلك اللحظة، ومعلنة دقة ساعة نهاية ثقتها بالآخرين، وبنفسها.

سوف تسافر إلى أمها في دبـــي، تحتاج إليها الآن وبشدة، صحيح أنها لن تحكي لها ما حدث، ولكنها ترجو أن تجد في حضنها الصبر والسلوان.

وحين أنهت (تاتيـــانا) حديثها، وهي تنظر إلى فارسها أمام مياه الخليج الهادئة، في شاطئ الجميرة الذي يطل عليه برج العرب بدبـــي، كانت ترتجف كورقة أثارتها رياح الذكريات المؤلمة العاصفة.

استسلمت لضمته القوية، وهي تترك مطر حنانه يهطل مطفئًا أجيج تلك النار، وذلك الألـم، ولقطة واحدة فقط سيطرت عليها في تلك اللحظة، وهي تستعيد رائحة أنفاس (فيكتور) المخمورة التي ظلت تذكرها رغم الوقت.. إنه الأحساس بالمهانة والعجز يا سادة.

واستمر البكـــاء..

■■■■■■■■■

مرحبًا بالجنــون..

عجيب هو هذا الحب، حين يحولنا إلى مجانين في سبيله، وكيف وأنا أنثى، ويحكم طبعنا في الأصل الكثير من هذا الجنــون!؟

تعال معي لتعيش وتشاهد ما أراه..

ولكن ما يهمني هنا هو أن تعرف أسبابي، ودوافعي، وشعوري، وما قادني إلى هذا الجنــون..

لست أسعى إلى أن تتفهم موقفي، أو حتى أن تقف في صفي.. أنا لا أضع اعتبارًا لأحد حين أقرر شيئًا.. يهمني فقط أن أستغلك لتشاركني ما أنا مقبلة عليه، وتشد أزري فيه، فقط لا غير.

حاول ألا تختنق، كما أشعر أنا، في كل هذا الجو المفعم برائحة أردأ أنواع بخور مسك، خانقة من كثافتها، ورخص سعرها. غرفة متوسطة الحجم أجلس فيها على طنافيس عربية، وأمامنا مصدر كل هذا الدخان، أو ما اعتقد واضعوه خطأ أنه بخور.. مبخرة دائرية الشكل، متوسطة الحجم بين مثيلاتها، تتوسط طاولة أرضية.. وأنا أجلس مقابل أمي، وتتوسطنا من جئنا لأجلهـا!

ماذا؟ ألم تفهم بعد أين أنا!؟

كنت أظنك أذكى من هذا بكثير يا صديقي!

هذا الجو الذي تشاهده أين يمكن أن يكون، إن لم يكن عند ساحــرة!؟

لم تكن فكرتي بالتأكيد.. صحيح أنني مجنونة، ولكنني أجبن من أن أتخذ بنفسي قرارًا كهذا، أنا التي لا يحلو لي مشاهدة أفلام الرعب والسحر والعفاريت، إلا إذا كانت في وضح النهار، وأنا أضيء كل الأنوار الممكنة!

حين دخلت أمي غرفتي في ذلك اليوم، وسألتني، وهي تلاحظ شرودي:

"مالك يا (داليـا)؟ على طول قاعدة سرحانة، ومبتاكليش كويس، لحد ما جسمك ضعف جدًا، حتى خطيبك مبقاش يخرّجك زي الأول! تعالي احكيلي يا حبيبتي، دا أنا أمك برضه، وتهمني مصلحتك.."

ولأنني كنت قد بدأت أشعر بضآلتي أمام هذه المشكلة فقط، انفكت عقدة لساني، وانطلقت ليحكي كل شيء.

حكيت لها عن الماضي الذي يطارد مشاعره معي، وكيف أنني أحتاج إلى أن أعرف كل التفاصيل الخاصة بقصة حبه القديمة، دون أن أسأله، حتى أزيح عبء ماضيه الذي يكبل حياتي، لأظفر به، وللأبـد.

وبالفعل أثبتت أمي بأنها أكثر شجاعة وجرأة مني، حين أجرت بعض المكالمات، بعد تفكير عميق، وحوار معي، استمر ساعتين عن كل تفاصيل حياتنا، ثم قالت لي أنها حددت معاداً مع الحاجة (عفاف)، لكي (تفحفر في ماضيه، ومستقبلنا، وتسأل الأسياد)، على حد قولـها!

هكذا تجدني هنا مع أمي، يسبقني فضولي لسبر أغوار ماضيه الغامض المبهم..

الشيخة (عفـاف)، هكذا يناديها الجميع، تجلس واثقة من نفسها، وهي تنتظر فنجان قهوتي أن يفرغ، حتى تبدأ بقراءته، وهي تداعب حفنة من أوراق اللعب، التي قالت لي بأن اسمها (أوراق التاروت)!

وجه طيب تحمله الشيخه (عفـاف)، تذكرني بطيبة جدتي.. ولكنها تحمل عينين خبيثتين كالثعالب.. تتكلم بنبرة هادئة عميقة، لأشعر وكأن صوتها يخاطب، ويلامس روحي.. ترتدي رداءً بسيطًا من عباءة مطرزة، تداري امتلاء جسدها.. وشعر غجري تغطي قليله طرحة رأس سوداء، تلف رأسها بلامبالاة، لتضفي عليها لمسة مفعمة بروح العالم الآخـر.

قدمتُ لها فنجاني، بعد أن أنهيت قهوتي أخيراً، وغصة تخنق حلقي، لا أدري أبسبب رداءة القهوة، أم من الخوف!

قلبت فنجاني في حنكة، وهي تنظر عميقًا لروحي عبر بوابة عيني، ثم قالت لي:

"مسموحلك تسألي.. بس أنا لما أرد، مش من حقك تعرفي أكتر، حتى لو كانت ألغاز بالنسبالك.. أنا بنورلك الحاجات المستخبية بس، وإنتي تدوري على التفسير بنفسك.. دي طلبات الأسياد.."

هززت رأسي بخوف، علامة الموافقة..

عاودت النظر إلى الفنجان في عمق أكثر، ثم أغمضت عينيها، وهي تتنفس في هدوء، تدمدم بكلمات غير مفهومة، قبل أن تقول في هدوء:

"إنتي داخلة رهان خسران في حياتك.. مش شرط يكون في الحب، بس في لحظة حتيجي شيطانك حيغلب، أو حيبقى نتيجة طبيعية لعنادك!"

سألتها (داليا) في رهبة أول سؤال طرأ على عقلها المؤنث:

ـ "أنا عايزة أعرف، هي كانت حلوة؟"

ضحكت الشيخة (عـفاف) ضحكة ساخرة، ثم نظرت إلى الفنجان، ونظرت لها، وهي تمصمص شفتيها في حسرة، وتتأمل ملامح وجه (دالـيا) الهادئة الصغيرة، وجسدها القصير، والذي فقد الكثير من الوزن بسبب التفكير، ثم أجابتها قائلة:

ـ "كانت يا بنتي ولا القمــر..

نورها بيحلي الليالي في الســهر..

العيون ملكت كيانه..

شغلت حياته، ولونت كل أحلامه!"

قاطعتها (دالـيا) في غيرة واضحة، وهي تقول:

ـ "خــلاص، عرفت إنها حلوة.. بس هو إيه اللي خلاها ملكت قلبه كده؟"

امتدت يد الشيخة (عـفاف) إلى الأوراق، ثم أخذت ترمي الأوراق، الواحدة تلو الأخرى في هدوء، وهي ترمق (دالـيا) بنظرة جانبية، وهي تتأمل عيونها التي

احتل الفضول فيها قلاع الخوف الذي كان يسيطر على مملكة روحها منذ برهة من الزمن.. ثم قالت في بطء، وعيناها تلمع في الضوء الخافت قائلة:

ـ "قدمتله اللي عمرك ما حتعمليه..

حبوا بعض بقلب واحـــد..

جسمهم كان برضه واحـــد..

والجسم لف الجسم بشريط م الأمــان..

دابــوا سوا..

والحلم طار م الغدر ضاع في الهوا.."

ـ "يعني إيه الكلام ده؟"

هكذا قاطعتها (دالـيا)، لتخرسها أمها، وهي تنظر لها في قسوة، ثم تشير للشيخة (عفاف) بنظرة معتذرة، وكأنها تطلب منها المتابعة.

ـ "قلبه اتعذب كتيـــر..

رغم إنه اتفرض عليه المصير..

نزلت دموعه في الحارات.. وكتبلها..

على قد ما داب في هواها وحبها.."

ثم أخذت نفسًا عميقًا، وهي تنظر إلى (دالـيا) وأمها في هدوء، ثم أكملت قائلة:

ـ "وقعد يرمرم نفسه يوصل للكمال..

يتوه في دوامة الحياة، ويرجعلها..

ياما اتحايل عليها، وطاطا قدام أهلها..

دي هي لغز بالنسبة ليه..

ولحد دلوقت مصدق إنها مكتوبة ليه!"

ـ "يعني إيه؟ يعني أنا بالنسباله هوا ومش حاسس بيا!؟"

هكذا قالت (داليا)، لترمقها أمها مرة ثانية في قسوة، وهي تسأل هذه المرة الشيخة (عفاف) قائلة:

ـ "طب إنتي شايفه (دالـيا) غلطانة معاه في إيه؟ ولا ناقصها إيه؟"

ـ "بنتك كانت داخلة التحدي..

واجب تقول لنفسها..

الدنيا دي بتدي بس اللي بيبجي في نِفْسَهَـا.."

نظرت (دالـيا) للشيخة (عـفاف)، ولأمها، ودموع الغيظ تكاد تتحجر في عينها..

لم تعد تهتم بما يقال.. تلك المأفونة زادت حيرتها جحيمًا، وصبت المزيد من البنزين على نيران حيرتها.

استمرت أسئلة أمها للشيخة (عـفاف)، وهي شاردة في أفكارها، وكل ما سيطر عليها في تلك اللحظة قــرار..

أنها ستقتنصه..

مهما كانت التضحيــات لهذا..

حتى لو كانت التضحية جسدًا تقدمه له راضية على طبق من ذهب..

ستنسيه حياته، ليكون الماضي والمستقبل مختوما باسمها هي..

فقط هي وحدها..

■■■■■■■■■

طرقت (لميس) باب الغرفة ثلاث طرقات متتالية، وهي تحمل طبقًا عامرًا بالسندويتشات الخفيفة، وانتظرت حتى سمعت صوت أخيها الأكبر (حسين)، وهو يأذن للطارق بالدخول.

كان (حسين) يقف في شرفة المنزل، وهو ينفث دخان سيجارته في شرود، ورائحة البن تطل عامرة في مزيج يعرفه جيدًا من يريد التفكير بعمق.

بادرته (لميس) قائلة في مرح:

"أنا قلت نتعشى سوا طالما مفيش حد غيرنا، وأهو ندردش سوا.."

منحها أخوها ابتسامة هادئة، وهو ينفث نفسًا آخر من دخان سيجارته، قائلًا:

"مليش نفس، كلي إنتي يا حبيبتي، وأنا أدردش معاكي برضه.."

أزاحت هي السندويتشات جانبًا، وهي تقول له مازحة:

"طيب بص بأة، انت تقولي كل اللي مزعلك، وأنا أسمع منك كل اللي مزعلك برضه.."

ضحك ساخرًا، وهو يقول:

"تصدقي عرض لا يمكن رفضه! المهم بأة إن إنتي عارفة كل حاجة، فعايزاني أحكيلك إيه يعني!؟"

"بص يا (حسين)، مش معنى إنك خرجت من قصة حب فاشلة تبقى الدنيا انتهت، الحياة مبتقفش على حد"

"لا، بتقف ساعات كتير يا (لميس)، عمرك ما حتفهمي إحساس راجل بنى مستقبله وأحلامه على حد.. أنا غيرت كليتي من هندسة لحقوق، علشان أبقى معاها، ووقفت ضد الكل رغم إن مستواها أقل مني بكتير، وفي الآخر تقولي معندكش طموح، وأبوها يقولي لو حكمت الدنيا عليك، ومعاك بنتي انزل شيل رمل، واشتغل في الفاعل لو معاك شهادة إيه، وتسيبني من غير نقاش حتى بالسهولة دي!"

"يبقى ربنا عايزلك الأحسن منها يا (حسين)، وهيا متستاهلكش من الآخر.."

رد عليها بعصبية:

"طب، وهيا تلعب كده ليه!؟ من يوصل ليها حرقة قلبي دي!؟"

منحته (لميس) قبلة حانية على جبينه، وهي تقف بجانبه في الشرفة، وعقلها يعمل مفكرًا في صمت.

كُتِب عليها أن تكون قلبًا حاضنًا حنونًا للجميع.. أخوها وأختها.. أصدقائها وصديقاتها.. حتى (ملك) مديرتها لا تجد راحتها إلا بالحديث معها.."

سألته من جديد في خفوت تسلل إلى شروده:

ـ "طب قولي حاسس بإيه دلوقت؟"

"حاسس بالفضا، حاسس بإن مش فارقة معايا حاجة، وأي موقف أنا موافق وخلاص، مبقاش عندي رفاهية، أو نفس الاعتراض حتى على أي حاجة.."

ـ "يعني إيه يا فيلسوف زمانك؟"

ـ "أبسطهالك!؟"

ثم أطلق ضحكة ساخرة مليئة بالمرارة، وهو يقول:

"أنا جوايا مصر صغيرة، مليانة أفكار، وحاجات رايحة، جاية، ملهاش علاقة ببعض أصلًا، بنحكيها ونقولها علشان سمعناها من غير تفكير.. مثلًا أنا مؤمن إن الأهلي أسياد العالم، وإن الزمالك قادم.. وإن الشعب والجيش إيد واحدة، رغم إن اتعملت ثورة، علشان توقف عسكرة الدولة، نقوم لابسين في وشنا أخونة الدولة، ويا عالم إيه الخطوة الجاية.. نزلت أطالب بإسقاط النظام، وجريت بعدها انضميت لآسفين يا ريس.. حبيت وآمنت إن الحب يصنع المعجزات، وشفت مرمطته، وكان عندي أمل في بكرة، فأمل نفسها هجت من هنا، وسابتنا بلا رجعة.. بغني (البنات.. البنات.. ألطف الكائنات..) وبأقعد مع أصحابي، أقولهم إنهم عايزين يتحدفوا في النار.."

ثم أردف في مرارة قائلًا:

"وكمان مؤمن إن جيل الشباب معظمه عايز يتجوز، وعايز يشتغل، وبيحب ينحرف علشان مش حيلاقي جواز أصلًا.. حتى الوسط اللي عايشين فيه وسط محبط، طارد لكل حاجة حلوة، بس لما تفتحي التلفزيون، تحسي إن الناس لابسة نظارة السعادة، وشايفة الواقع فلة.. صدقيني يا (لميس) إنا توهة جيل بحاله، وفي زيي كتير، الإحباط فرمهم، وخرس لسانهم للأبد.."

ثم ضحك قائلًا:

"سيبك إنتي الحياة أصلًا حلاوتها في فنجان قهوة، وسيجارة، وبوسة.. فهمتي حاجة بأة!؟"

نظرت (لميس) إلى أخيها بدهشة وحزن، لقد بدا لها أن أخيها بفراغ قلب العاشق على حافة الجنون!

سألته في حذر:

- "طب ناوي تعمل إيه؟"

"حأهج طبعًا من البلد باللي فيها، أشوفلي واحدة أجنبية أتجوزها، وأعيش برة، وأنسى القرف اللي هنا"

- "واضح إنك مقرر أصلًا.. وناوي تروح على فين؟"

- "دبـــي.."

قالها بصوت حالم، وهو ينظر لعيني أخته..

كل ما رأته (لميس) في عينيه هو انعكاس لروح مجروحة، وقلب ينزف دمًا وألمًا.. لابد أن تساعده، لا تدري كيف، ولكنها ستفعل.

ضمته (لميس) إليها في حنان، ثم بدأت تشعر بارتجافة جسده في أحضانها..

لقد قرأت كثيرًا عن ذلك، ولكنها أول مرة تراها، ورأتها في عين أخيها للأسف..

أصعب الدموع هي دموع الرجل التي تحمل مرارة عدم الفهم، الممزوج بطعم الحزن، والضياع.

يسمونها انتكاسة لرجل .. من الشرق..

■■■■■■■■■

"وأنا أصلي واخد ع الوجع..

وأما الجراح بتصيب جدع، بيصير وجعها بميت وجع..

عارف يا بحر الميت وجع..

وجع اللي حبيتها، وسابتني..

ووجع اللي بعنيها سابتني..

ووجع اللي جعلت مني رمل في قعر جوفك رسّبتني..

وتسعميت مليون وجع للذكريات..

أصل المحبة يا بحر مش فترة وتعدي..

دي عمر واخد صوت هزاري وغلبي جدي..

فكر طايح يوم يجيب، وشهور يودي.. "

#هشام_الجخ

#سري_جدا_إلى_البحر

■■■■■■■■■

الفصل السابع

أمـــــــــل

أطلقت (علا) ضحكات مرحة، وهي تداعب وتمازح زميلتها في الاستقبال في ذلك الصباح المشمس من شهر يونيو، ثم ودعتها وهي تتجه إلى مكتبها في الدور الثاني في صيدلية المستشفى، لتبدأ عملها اليومي المعتاد.

عدة سنوات مضت مرت منذ ذلك اليوم، لا تذكر أهي أربع أم خمس سنوات، أو هكذا حاولت أن تقنع عقلها وتتناسى، ولكنها كانت رحلة طويلة بحق.

محاولات عديدة بذلتها للخروج من كبوتها، صحيح أنها خرجت بعدة مضاعفات صحية نتيجة حالتها النفسية السابقة، أهمها ضعف في عضلة القلب، سوف يلازمها كظلها طيلة حياتها، وترتب على ذلك لائحة من عدة أصناف من الأدوية والمهدئات، التي أصبحت جزءًا من حياتها، وروتينها اليومي، لكنها استطاعت الاندماج، والعودة إلى الحياة من جديد، أو هكذا حاولت أيضًا إظهاره لكل من حولها.

قالت لها (إيـمان) يو مًا، إن لم تكوني سعيدة فانثري بابتسامتك الفرحة، لتأخذيها من عيون من حولك.

هكذا فعلت، وهكذا استمرت، وهكذا قررت.. ولكنها قررت أيضًا أن تتغير من أجل نفسها، ومن أجــله!

لا تدري لماذا يطاردها هذا الهاجس الذي بات جزءًا من سعادتها.. كانت تدرك بأن جزءًا كبيرًا من قراره بالابتعاد عنها، كانت هي سببًا فيه بشكل أو بآخر.. بسلبيتها، وعدم تحقيقها أي هدف في حياتها.. ربما ملّ منها، ربما أراد أن يرى

الحياة بلا قيود وأغلال الزواج، وهي تعذره كل العذر في هذا، ولكنها أصبحت تعيش، وتقتات على كل لحظات السعادة التي منحها لها.

كانت في ما مضى تدعو عليه كثيراً.. كلما تذكرته تبكي، حتى بدأت عملها.

ولأن حبها كان بطهر، وعفة، وصدق الملائكة، فهي لم تستطع أن تتخلص من دبلتها ودبلته. احتفظت أيضًا بصورة قديمة لهما، لها ذكرى حبيبة خاصة تمنحها أمانًا بعيد المنال في حقيبتها، وصورتها لتحتفظ بها في هاتفها أيضًا.

وفي قلبها احتفظت بسعادته، ورسمت صورته بقلم جاف يصعب التخلص منه، وفي عقلها كتبت كل قسوته بقلم رصاص، وهي تعلم أنه سيأتي بالممحاة يومًا ما لينهي كل هذا.

صحيح أن ضغط والدتها بدأ، وهي تلح عليها بالزواج، ولكنها كانت ترفض كل العروض، وبإلحاح. هل هم مجانين من يتقدمون لها!؟ ولكن لهم كل العذر، فهم لم يروا شهامته ورجولته، لم يروا تعامله الراقي الذي جعل كل من تقدم لها مقارنة به أشبه بالرعــاع.

هل يمكن أن يؤثر رجل أيًا كان على فتاة فيأسرها بهذا السحر!؟

أم أن حبها هو الذي وصل حد المثالية والتفاني!؟

المهم أنها الآن ترى أنها ناجحة في حياتها، الكل يحب طهارتها، وبراءتها، وطفولة طباعها، وأصبحت إيجابية للغاية، وتنظر للحياة بنظرة كنور الشمس الذي يشرق ليبدد ظلمة الليل الحالك.

والأهم أنها تصدق إحساسها بأنه سيعود ثانية..

سيعرف قيمتها يومًا ما مهما طال الزمان.. وسيأتي..

وتعرف حقيقة واحدة تلمع في حياتها كضي البدر في السماء..

أنها لم تستطع كراهيته..

وأنها ستنتظره..

حتى النفس الأخــير..

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

بس انت بص بأمـــــل..

بس انت عيش بالأمـل..

من وسط كل الهم اسرق م الحياة لحظة..

وامسح سواد الغم، وانثر في الحياة فرحة..

ده الورد أحمر زي لون الدم، وحتى الكفن أبيض بلون الطرحة.."

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

استيقظ (رامـز) منزعجًا؛ بسبب رنة هاتفه المحمول المتواصلة الملحة، فامتدت يده لتلتقط هاتفه، وهو يعتدل على سريره لامحًا اسم المتصل، ثم ضغط على زر استقبال المكالمة، قائلًا في انزعاج:

ـ "إيه يا بنتي الدوشة اللي إنتي عاملاها على الصبح دي!؟"

أتاه صوت (عتـاب) وهي ترد في حماس قائلة :

ـ "صبح إيه يا ابني!؟ إحنا بقينا الظهر!"

"أيوة أقوم أعمل إيه يعني؟ هو مينفعش الواحد ينام براحته في أم البلد دي من غير إزعاج يعني؟"

"يا ابني قوم اتصل بخطيبتك، وخد حماتك، ومامتك، وأصحابك، وكل العدد اللي تقدر عليه من أصحابك، وانزل الشارع، وحقابلك.."

زفر حانقًا، وهو يقول لها:

"يا بنتي هو إنتي كل ما تكلميني تقوليلي خطيبتك!؟ ما ترحميني بأة! والله شكلي حبطل أكلمك وأرد عليكي أصلًا.."

ثم انتبه إلى غرابة طلبها، وهو يقول مرة أخرى متسائلًا:

"أنزل الشارع!!؟ وتقابليني!!؟ هو في إيه اللي بيحصل بالضبط!!؟"

ـ "المعجزة حصلت يا (رامــز)، المعجزة حصلت.."

ـ "معجزة إيه؟ وزفت إيه؟ ما تفهميني.."

أجابته في صوت فرح أقرب للصراخ:

ـ "الثورة قامت تاني يا (رامـز)، البلد اتقلبت، والناس كلها في الشارع.."

ـ "إيه!؟ مستحيــل!"

هكذا أجابها، وهو يشعر بأنه ما زال يحلم، لترد عليه قائلة في استعجال:

"بقولك الثورة قامت.. لسة فيه أمل يا عم السوداوي المتشائم.. ساعة بالضبط على ما أجهز وأقابلك في الشارع، وانت حر يا (رامـز)، هات اللي انت عايزه، بس متجيش لوحدك.. يلا سلام"

ثم أغلقت الخط، دون أن تنتظر رده، لينتفض قائمًا، وهو يحاول الاستيعاب.. ثم نادى على أمه، وإخوته، وهو يلقي نظرة على التقويم المعلق على جدار حجرته.

شعر بأن الكثير من التغيرات التي سوف تحدث في حياته متعلقة، ومرتبطة بهذا التاريخ الذي تفصح عنه ورقة النتيجة التي تعلق نظره بها متأملًا ومفكرًا.

(٣٠ يونيــو ٢٠١٣!)

▪▪▪▪▪▪▪▪▪

"أعلام تغطي ميادينها بعدد النـاس..

شوف الهتاف فيه فروق إحساس عن إحساس..

هتاف جميل الرنين بيقول يا حرية..

وهتاف كراهيته م الساس لحد الراس..

يا مصر يا وردة الدنيا.. ما زيك حد..

إياكي يهدا الهتاف أو تترخيلك يد..

الفجر واقف ورا أبوابك بيستنى..

ما تكرهيش تاني الربيع في لون الورد.."

#الخـــــــــــال

#عبد_الرحمن_الأبنودي

▪▪▪▪▪▪▪▪▪

□

المكـــان: شارع البحر أمام المحافظة ـ مدينة طنطا ـ محافظة الغربية

الزمـــان: ٣٠ يونـيو ٢٠١٣

المناسبة: امتلاء الشوارع بالبشر، اعتراضًا على سياسات الدولة

"ثورة ثورة في كل مكان .. ضد المرشد والإخوان"

"ثورة ثورة حتى النصر .. ثورة في كل شوارع مصر"

"مصر يا أم.. ولادك أهُمْ.. دول علشان شالوا الهم"

"يسقط يسقط حكم المرشد"

طوفان من البشر كسرت حاجز الخوف والصمت من جديد، ملايين امتلأت بهم شوارع طنطا حالهم حال جميع أرجاء مصر في ذلك اليوم، وهم يصيحون بهذه الشعارات، والهتافات بصوت مملوء بالحماسة، والحزم، والإصرار، والعزيمة، والأمل، صوت عالٍ وحد المصريين.

إنه الحب يطل برأسه من جديد، حب الوطن حين يذوب في وجوه كستها وزينتها ابتسامة حب، صادقة، صافية، تتوسط أعلام مصر المرسومة كطابع حسن على الخدود.

شوارع، وميادين توحدت حول الوطن وحبه، كفكرة آمنوا بها، وأعلام حملها الجميع في فخر مشوب بالسعادة.

إنه الحب يا سادة، ذلك الإحساس الأعظم الذي بسببه بإمكانك عمل المستحيل من أجله. إنه الحب بمغزاه الأكبر والأعمق.. كل فئات الشعب نزلوا غير عابئين بكل التهديدات التي ألقيت على مسامعهم خلال الأيام السابقة.

لم يخافوا من أن يرشوا بالدم، كما هددهم أحد القيادات المتأسلمة، الذي يقول أنه قيادة إسلامية في حث واضح صريح على الفرقة والعنف!

كسروا بحب الوطن حاجز الخوف، كما فعلوا في ٢٥ يناير تلك الثورة العظيمة.. هذه المرة كانوا شياطين اختبأت خلف ذقون طمست معنى حب الله، ثم حب الوطن.

هكذا يفعل كل الطغاة دائمًا، لماذا كتب على هذه البلد أن يحكمها أناس يضعون كلام شعوبهم وأحلامهم وآراءهم وراء الظهور ليبقى الكرسي ؟ ، يقمعون ويسجنون بحجج واهية، ويراهنون على صبر الشعب أطول من اللازم، حتى تصبح انتفاضتهم طوفانًا جارفًا، يزلزل الكراسي والعروش، ويسقط من يجلس عليها في نهاية المطاف.

شباب وفتيات، كبار وصغار، أسر بأكملها نزلت حبًا في وطنهم، بحثًا عن التغيير، وأملًا في حياة أفضل، مرتدين ملابس بنفس ألوان علم مصر الغالي، بهتاف واحد، وفخر واحد، وهوية واحدة، رغم اختلاف الأديان، لافظين كل الظالمين، والمتقويين بالسلطة، والمنافقين، والمطبلاتية، وأصحاب المصالح الذين يصاحبون كل نظام حتى يسقط في النهاية بسببهم، مهما طال الوقت أو القمع.

إنهم المصريون يا سادة، يرسمون تاريخهم، ويأملون أن ينتهي كما يتمنون، بإزاحة هذا النظام عسى أن يأتي بعده نظام آدمي أفضل.

"اللي خانوا العهد بينا.. واستباحوا كل حاجة.. واستهانوا بالعروبة.. واستكانوا للخواجة.. عمرهم ما يكونوا منا.. هما حاجة، وإحنا حاجة.. هما باعوا البندقية.. والوطن والجلابية.. وإحنا أصحاب القضية.. إحنا مبنبيعش حاجة.. إحنا مبنبعش مصر.. أيوه مبنبعش مصر"

هكذا صرخ الجميع، ومنهم (ملك) و(لميس)، وهما يرددان الهتاف في حماس، وهما يمشيان في مسيرة وسط الملايين.

كانت (ملك) قد نزلت مع والدها، بينما اصطحبت (لميس) أسرتها معها، والكل متجاور، وهما يستمتعان بنسمات حب الوطن التي تملأ الأرجاء.

تتطلع الفتاتان لمستقبل أفضل، خصوصًا (لميس) التي وجدت في الثورة فرصة لتغيير أفكار (حسين) أخيها الأكبر الذي مازال يريد الهروب من جحيم الوطن - كما يقول دائمًا- الذي ملأه هو وغيره من جيله بسلبية لا محدودة.

"أنا عطشانة أوي.."

هكذا قالت (لميس) لصديقتها (ملك)، لترد عليها الأخيرة قائلة:

ـ "اصبري شوية وإحنا نشتري، أو نستلف بوقين من أي حتة.."

ثم مشيا قليلًا، قبل أن يسمعا أحدًا يقول لهما في بشاشة:

ـ "اتفضلي مية أهي اشربي.. أنا سمعتك وإنتي بتقولي إنك عطشانة.."

التفت الجميع لها، ليجدوا تلك الفتاة قصيرة الطول، تناول (لميس) زجاجة من المياه الباردة، أسالت لعابها الذي جف من الهتاف، وعلى وجهها ابتسامة عذبة، لتتناولها منها في امتنان، وهي تعب منها جرعات من المياه، لتستعيد قدرتها على الهتاف من جديد.. ثم أعادتها لها شاكرة، لترد عليها الفتاة مبتسمة قائلة:

ـ "إديها للي جنبك تشرب، وأهو أكسب فيها ثواب.."

ناولت (لميس) الزجاجة إلى (ملك)، ثم سألت تلك الفتاة القصيرة قائلة:

ـ "إنتي هنا من بدري؟"

ـ "آه، من أول اليوم، أهو الواحد ياخد حبة تفاؤل.."

ـ "أومال إنتي ساكتة فين وشغالة فين؟"

"أنا ساكنة في شارع سعيد، وماسكة صيدلية مستشفى الدكتور (أدهم) للقلب من خمس سنين مثلًا، أو أزيد شوية.. وإنتي؟"

"أنا ساكنة في شارع بطرس، وشغالة مندوبة دعاية لأدوية قلب في شركة أدوية.. ودي مديرتي وصاحبتي في نفس الوقت.. ثم غمزت (لميس) (ملك) غمزة ذات معنى يعرفه كل العاملين في قطاع الأدوية، حين يعثرون على منفذ جديد لدكتور

أو مستشفى، وهي تجرها من يدها، فامتدت يد (ملك) لتصافح الفتاة، وهي تقول مبتسمة:

ـ "أنا (مـلك)، ودي (لميس) صاحبتي ومندوبتي اللمضة، واضح إننا حنزورك كتير.."

ضحكت الفتاة، وهي تشد فتاة أخرى بجانبها، وتصافح (ملك) بيدها الأخرى قائلة:

ـ "أنا (عــلا)، ودي صاحبتي (إيمان)"

تمت المصافحات المعتادة بين البنات، و(إيمان) تبتسم في وجوههم، وهي تقول بود:

ـ "تشرفنــا.."

ثم انضموا لبعضهم، وهم يكملون الهتاف، وهم لا يدركون بأنهم قد بدؤوا للتو من رحم حب الوطن، نوعًا آخر من الحب الذي سيجمعهم برباط جديد قوي آخر، سيغير مجريات أحداث حياتهم جميعًا..

إنه الحب وبإخلاص.. للصديق..

■■■■■■■■■

"ويا مصر مدي الخطى، وحققي الفكرة..

إنتي ابتديتي الكتابة، والفنون، والدين..

لو شايفة بكرة أكيد راح توصلي لبكرة..

وارمي وراكي اللي قاصدين يبقوا مش شايفين.."

#الخـــــــــــال

#عبد_الرحمن_الأبنودي

■■■■■■■■■

«إجراء إنتخابات رئاسية مبكرة، على أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شؤون البلاد خلال المرحلة الإنتقالية لحين انتخاب رئيس جديد»

ضجت جميع البيوت حول بيت (داليا) بالصراخ الفرح، وهم يتابعون بيان القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية في مساء ثالث أيام شهر يوليو من عام ٢٠١٣..

كانت (داليا) تشعر بالفخر والسعادة، رغم كل ما يحيط حياتها الشخصية من همـوم متكالبة عليها، وهي تشاهد المصريين يفعلونها ثانية، وسيظل لديهم القدرة لفعلها ثالثة ورابعة، طالما لم يجدوا العدالة والحرية بعد.

ذابت كل مشاكلها ونسيتها تمامًا، أو هكذا حاولت أن تقنع نفسها، وهي تكمل مشاهدة البيان، وقد قررت أن تخرج إلى الشارع لتحتفل بوطن تنفس ثانية بعد أن اختنق لمدة عام بأكمله، وقبلها ثلاثين عامًا من الظلم، والاستبداد، والفساد.

قاطع أفكارها رنين هاتفها المحمول برنة قصيرة، معلنًا وصول رسالة نصية إليها، فتحتها في خوف بعد أن رأت اسم المرسل، ثم اتسع وجهها في ابتسامة سعيدة، وهي تلتهم سطور الرسالة في حب.

"عازمك بكره على العشاء احتفالًا بالنصر، خلينا نحاول نهد السور اللي ما بينا، ونبدأ على نظافة من جديد، تحـيا مصـر "

يا لها من سعادة تشعر بها أي فتاة لهذا الموقف! أن يرسل لها حبيبها رسالة كتلك، ليبث فيها الأمل من جديد، وسط صحراء الشك، وصبار الحيرة.

ستصارحه، مستغلة تلك الدعوة على العشاء، بما قالته لها الشيخة (عفاف). ستحاول أن تفهم، لكنها لا تدري كيف.

ثم نفضت عنها كل تلك الأفكار، وهي تمد يدها بحثًا عن رقمه، وهي تحاول أن تتمالك دقات قلبها المتسارعة الفرحة.. ففرحتها اليوم فرحتين .. فرحة أولى بإعلان صفحة جديدة في حياتها.

صفحة تحمل اســمه..

والفرحة الثانية تحمل اسم السبب الذي نقل كل هذا التفاؤل، والحماس، والأمل لها، وله، وللجميع.

فرحة تحمل اسم المحروسة..

مصـــر..

■■■■■■■■■■

"فرحانين.. فرحانين.. فرحانين..

كل ثورة، وإحنا دايمًا فرحانين..

اللي ماتوا في المعارك فرحانين..

واللي حضر واللي شارك فرحانين..

واللي ساكنين الخنادق فرحانين..

واللي ماسكين ع المبادئ فرحانين..

واللي شايلين شوق لفكرة فرحانين..

واللي حاملين هم بكرة فرحانين..

واللي معدتهم جعانة فرحانين..

واللي كلمتهم أمانة فرحانين..

إحنا ملح الأرض، وتراب العجين..

كل صناع الوجود، والمبدعين..

عد موج البحر، ونجوم الليالي..

عد رمل الأرض، وأكتر م السنين..

كل ثورة وإحنا دايمًا فرحانين.."

#أحمد_فؤاد_نجم

■■■■■■■■■■

الفصل الثامن

إنها الحيـــاة أيها السـيدات والسـادة!

انطلقت الألعاب النارية عاليًا، بدوي أطرب القلوب، وسط شهقات الإعجاب من الجميع، كعادة دبي كل عام، معلنة بدء عام ميلادي جديد، ووسط الجموع الغفيرة التي تشاهد الألعاب النارية في انبهار، والسعادة تغمر الأرجاء. أغلقت (تاتيانا) عينيها، وأخذت نفسًا مشبعًا بكل الطاقة الإيجابية حولها، ثم تمنت أهم أمنية لها في الوقت الحالي.

أن يكون لها..

وأن يلقيها على أسماعها..

"أنا أحبـــك"

تعيش الأنثى حياتها في انتظار هذه اللحظة، على أن تكون بصدق، ومن أعمق أعماق القلب.

ولهذا حين يكون صامتًا، فهذا الصمت الغامض بالنسبة لها أمر غير مقبول على الإطلاق.

زادت (تـاتيانا) من ضمة قبضتها ليده، وهي تنظر إلى (ستيبان) الذي يحيط عنق فارسها الرائع في حب، وهو يتابع الألعاب النارية في انبهار طفولي مرح.

وحتى في طريق العودة الطويل، عبر مترو دبـــي، بعد انتهاء الألعاب النارية، لم تبالِ بالزحام الشديد.

استكانت تماماً بين أحضانه القوية الغامرة، وهي تفكر فقط في أن تفك عقدة لسانه ليطرب سمعها بها.

يقولون بأن الحب إشارات، وهي غارقة معه، وعاشقة حتى النخاع لإشاراته التي لا تنتهي.

ترى حبه في ضمته لها ولابنها، وهو يحميها من الزحام، والتدافع اللامقصود عند كل محطة مترو.

عيناه اللتان تنسيانها العالم، وهو يتأملها دائمًا في صمت ناطق بلغة القلوب وحدها.

لمسة يده التي تجري على شعرها بحنان تقشعر لها عشقًا وغرامًا.

دبـــي شاهدة على إشارات حبه في كل مكان، رأت دبي، واستمتعت بها من خلال عينيه.. كثيراً ما جابا دبي مول، ومول الإمارات، وهما متشابكا الأيدي، وكم من مرات عديدة ذهبا إلى دبـي مارينا، موطن اليخوت في دبي، بروعة قناته المائية، وهي تتحدث له عن حياتها دائمًا، حتى شاطئ الجميرة الرائع المطل عليه برج العرب الساحر، كما كان شاهدًا على دموعها، كان شاهدًا على حبها أيضًا، فقد كانا يذهبان هناك، عند الغروب لتستكين بين أحضان صدره القوي العاري، وهو يستقبل جسدها الرائع البض المثير الذي يحيطه ثوب بحر من قطعتين ضامًا لها في حب، وهي تختبئ فيه من عيون الناس الحاسدة له على ملكة الجمال التي بين أحضانه.. كانت هذه النظرات تجعلها تريد أن تصرخ فيهم: "أيها الحمقى! كفوا عني! فأنا له وحده!".. حتى إذا أتـى الليل كانا يتبادلان القبل أثناء السباحة في مياه الخليج الدافئة في حديث خاص بلغة كل العاشقين، دون أن يسعى إلى أكثر من هذا، وهو ما أثار احترامها له، وتعلقها به أكثر، فأكثر. أيها القلب كفاك دقًا، وأنصت، واستمع إلى معزوفة أنغام حبه الصاخب، المشاعر، الصمت، الحديث العذبة.

تريح رأسها على كتفه تارة، وعلى صدره الحاني تارة أخرى وهو يزيد ضمتها إليه بذراعه، وتريح شفاهها على ذقنه ذات طابع الحسن تارة، وعلى خده تارة أخرى، مغتصبة قبلات حب صادقة وسط حسد العيون.

دعــوني وشأني، فقد عشِـــــقْتْ..

أيتها الحياة فكي عقدة لسانه، فأنا أحتاج منه تلك الكلمة، كاحتياج طفل رضيع إلى ثدي أمه لحظة الجوع.

لأول مرة في حياتها بعد كل العنف الجسدي والنفسي الذي عانته تعرف معنى الاحترام في الحب. كيف يحافظ على جسدها، رغم قدرته على فعل ما يشاء إن أراد، وبموافقتها، ورغبتها، وعلى روحها، ونفسها، وطفلها؟

كيف على رجل أن يسمع، ويناقش، ويغضب، دون تجاوز، ويسامح عند الاعتذار بسهولة، وسلاسة هكذا؟

يحمل معنى الرجل وسط كثيرين، يحملون هذا اللقب صفة فقط.

وحين أوصلها إلى منزلها في الشارقة، طلبت منه أن ينتظرها بضع دقائق، فصعدت إلى المنزل لتترك (ستيبان) مع أمها، ثم نزلت سريعًا، لتجده مبتسمًا لها بدفء كعادته.

مالت عليه، ثم ضمته بكل حب الدنيا إلى صدرها، وهي تهمس في أذنه قائلة:

"أحبك يا صغيري.. لو كنت تعلم كم أحبك لاستغنيت عن العالم بأسره، فلتعلم أنني لن أتخلى عن هذه السعادة أبدًا، وسأنتظر حتى أسمعها منك، ومن قلبك يا أروع من عرفت"

ثم نظرت إلى عينيه طويلًا، وهي تلمح خجله الذي تحبه.. ومن جديد فعلت ما تعشقه معه دائمًا..فبمنتهى العنف العاشق.. قبلتـــــــــه.. "

ولأنك لم تهمس في أذني، بل في قلبي، فإنك لم تقبل شفتي، ولكن قبلت روحي."

#جودي_جارلاند

■■■■■■■■■

ـ "عملتي إيه!؟ احكيلـــي.."

هكذا قالت (منة) لـ(داليا) متسائلة، وهي تناولها كوبًا من عصير الليمون البارد، وهما تجلسان في غرفة (منة)، وقد بدت على (داليا) معالم الارتباك.

تناولت (داليا) العصير، ورشفت منه رشفة حاولت فيها لفظ توترها بطوفان الليمون المتدفق إلى جوفها، ثم نظرت إلى صديقتها قائلة:

ـ "أنا غبية أوي.. قلبت عزومته على العشا لغم ونكد كالعادة، وبكدبة سخيفة ملهاش تلاتين لازمة"

ـ "ليه بس؟ قولتيله إيه؟"

زفرت (داليا) في حنق، ثم رشفت من الليمون ثانية، وهي تحاول تخفيف ارتباكها قائلة:

ـ "كان لازم أفهم يا (منة).. كان لازم أفهم.."

ثم التقطت نفسًا عميقًا قائلة:

ـ "بدأت أحاول أسأله عنها، وبدات ألمح ليه بإنها كانت بتلعب بيه، قام اترفز عليا وقالي قلتلك اقفلي على الموضوع ده.."

ثم احتضنت كوب الليمون بيديها الاثنتين، وهي تحاول التماسك مضيفة:

ـ "المهم إن الجلالة أخدتني، وقلتله إني أعرفها، وإني اتكلمت معاها، وحكتلي كل حاجة وقالتلي إنها كانت بتتسلى"

ـ "طب وإنتي تعرفيها منين؟؟ ووصلتيلها إزاي!؟"

ـ "كنت بكدب يا (منـة)، ولا أعرفها ولا حاجة.."

ـ "يا غبيــة!! إنتي أكيد مجنـونة.."

هكذا صرخت فيها (منـة)، ثم أكملت قائلة في انفعال:

ـ "الراجل الشرقي مبيحبش إن البنت اللي معاه تفتح في دفاتره القديمة، خصوصًا لو هو بيحاول يمحيها من حياته.."

"يعني أعمل إيه دلوقت؟ ده أنا أول مرة أشوفه متنرفز بالشكل ده، تخيلي إنه منطقش بولا كلمـة، ووصلني للبيت، ومشي من غير ما يتأكد حتى كالعادة إن أنا طلعت!"

"لازم يعمل كده، زمانه دلوقتي متخيل إنك تعرفيها، وهيا اللي زقتك عليه.. إنتي ضربتيه في أمانه النفسي يا فالحة.. واحد محوط بنفسه بأسوار عالية مكنش ينفع تدخلي عليه الدخلة دي.."

ـ "طب، والعمل!؟"

"الحل إنك تقوليله كل حاجة بمنتهى الصدق،وتحكيله على اللي قالتهولك الشيخة (عفاف) دي، وسيبيه بأة هو اللي يقرر حيعمل إيه ساعتها.."

ـ "بس أنا بحبه يا (منـة)، ومش عايزة أخسره.."

"الموضوع دلوقت بقى ثقة واتكسرت يا ناصحة، حاولي تقتنعي بأة إنك ممكن تخسري الرهان، كل اللي إنتي بتعمليه دلوقت محاولة إنعاش لعلاقتكم اللي يا دوب لسة ميتة إكلينيكيا.."

نظرت (دالـيا) إلى الفراغ، مطرقة رأسها في تفكير..

إنها تشعر بالقهر والألم، ما ذنبها في كل هذا!؟

تعلم إنها خاسرة لا محالة، لكنها فقط روح التحدي بداخلها تنادي، وهي تعلم أن هذه الروح تنتظر منه خياراً من بين اختيارين لا ثالث لهما.

إما أن يخضع لإرادتها، ويذوب بها عشقًا كما ترى في عيونه حين تتحدث عنها معه.. وكل ما يهمها، وتتمنى حدوثه هو هذا.

وإما أن يطلق على روحها المتحدية رصاصة واحدة أخيرة..

رصاصة النهاية..

والرحمة..

■■■■■■■■■■

«حلقتنا مكملة معاكم.. الحقيقة النهاردة الحلقة مليانة حب وشجن، عاملينلي حالة أنا شخصيًا مستمتعة بيها.. مستنية تشاركوني دردشتكم، ومشاكلكم على أرقام البرنامج.. وبنتكلم النهاردة عن الحب والسعادة.. وبمناسبة الشجن اللي كان في المكالمة اللي فاتت خلونا نسمع صوت الحب فيروز في أغنية من اختيار مهندسة الصوت بتاعتنا، ونرجع نكمل مع بعض حلقتنا النهاردة.. استنوني.

ارتشفت (عتاب) جرعة من كوب الماء الموضوع أمامها قاتلة بتلك الرشفة جفاف حلقها من الحديث لتتمكن من مواصلة البرنامج على الهواء، وهي تستمع للأغنية التي اختارتها مهندسة الصوت، وشعرت بغصة أكثر، وأكثر، وهي تفكر في حالها هذه الأيام.

إنها نفس الأغنية من جديد..

شـــادي!

تلاحقها هذه الأغنية بكثرة هذه الأيام، تمامًا كما يطاردها (شادي) بنفسه، مقتحمًا أحلام نومها ويقظتها.. ناثرًا المزيد من الخوف حول حياتها، وهي التي تحرص على أن تخبئ هذا الخوف خلف الكثير، والكثير من العادات الصحيحة

والخاطئة أحيانًا التي تفعلها دائمًا، وحتى وجودها الدائم مع أصدقائها وصديقاتها، هربًا من ديدان التفكير التي تأكل عقلها دون أن تُبقي أو ترحم!

حتى عملها في الإذاعة لم تكن موافقتها عليه وتحمسها لتنفيذ الفكرة، بخلاف جرأتها، من باب المصادفة.. ذلك أنها تحب هذا الإحساس الذي يمنحه الحديث خلف الميكروفون مع شخص لا تراه ولا يراك، شخص لا يرى انفعالك أو أحزانك، بسهولة تستطيع أن تخفي ما تريد وتظهر ما تريد.. وحتى أحيانًا نعمة الهروب مما تريد.

ومن منا لا يعيش إحساس مذيع الراديو في يومه أو في حياته!؟

حين كنا صغارًا كان يحلو لنا أن نختبئ أسفل غطاء النوم لنحكي عن يومنا، وهمومنا لدمية أو لعبة أضحت صديقًا خياليًا دائم الوجود حتى نصل إلى سن معينة ندرك فيها هراء ما نفعله!؟

من منا لم يختبئ أسفل السرير بعد أن وضع أمامه أكياس الفاكهة التي كان يخبئها أهلنا منا أول كل أسبوع ظنًا منا أنه أثمن مكان للاختباء والهروب.

من منا لم يختبئ في ركن غرفة المعيشة بين الكرسيين العتيقين خلف تلك الطاولة الصغيرة المذهبة التي كانت تحتضن أباجورة أعتق.. وتحتضننا لتخفينا حماية لنا من مخاوفنا.

إنه ذلك الخوف الدائم من القادم في الحياة قولًا وفعلًا..

الخوف من المجهول..

لكزة خفيفة قطعت سرحان (عـتاب) من يد مهندسة الصوت، وهي تشير لها بأنه قد حان وقت العودة إلى الهواء بتوقيت الإستيديو بعد عشر ثوان فقط.

عشر ثوان هي كل ما تملك لتخلع عباءتها الشخصية استعدادًا للمكالمة القادمة، والتي تشير تلك الأيقونة المضيئة بضوء متقطع أمامها على شاشة الكمبيوتر

منذرة بقدومها انتظارا من (عتـاب) لسبر أغوارها بفضول الأنثى، وخبرة وعقل محترفة الراديو التي تساعد الجميع، رغم فشلها الشخصي الكبير!؟

ـ "ورجعنالكم مرة تانية على الهوا أنا (عتـاب سعيد)، وبرنامج حكاوينا على طنطاوية أونلاين.. خلونا نستقبل اتصال تليفوني جديد.."

ـ "ألـو.."

صوت متردد خائف..

ـ "أيوة، مساء الخير.."

ـ "مساء النـور"

ـ "نتعرف عليكي.."

ـ "ممكن نخش في الموضوع على طول من غير أسماء!؟"

إجابة ابتلعتها (عتـاب) بحكم خبرتها، وهو ما جعلها تعتدل في جلستها متوقعة مكالمة من العيار الثقيل كبدايتها.

ـ "آه ممكن طبعًا، اتفضلي، وكلي آذان مصغية زي ما بيقولوا.."

"بصي.. اللي خلاني أكلمك هو إني متابعاكي من زمان، وإني محتاجة أتكلم مع حد ميعرفنيش، وفي نفس الوقت أثق فيه، عارفة إحساس إنك تستخبي ورا التليفون ده، وتتكلمي في الضلمة وسايبة روحك هيا اللي بتتكلم، وبتتفرجي بخيالك على شريط حياتك على سقف الأوضة؟"

تلاحقت أنفاس (عتـاب) المضطربة.. آه لو تعلم أنها نفسها تختبئ من ذات الشيء خلف الميكروفون.

ـ "آه، عارفة الإحساس ده كويس.. احكيلي.."

ـ "الأول أنا عايزاكي تجاوبيني على كام سؤال محيريني.."

ـ "اتفضلي، اسألي براحتك.."

ـ "تفتكري إن السعادة في الحياة مفتاحها الحب!؟"

اللعنة.. سؤالها انطلق كالرصاصة ليضرب (عتاب) في مقتل، تنفسي بهدوء يا (عتاب)، وجاوبي؛ فمصير تلك الفتاة مرهون بإجاباتكِ الآن أيتها الحمقاء!

"بصي يا حبيبتي.. كل إنسان حي بيدور على السعادة بطريقته، ومن وجهه نظره، بس لو بصينا على الموضوع من فوق بشكل أشمل، وأعمق حنلاقي إن ليها مفتاحين، البساطة والرضا.. يعني تاخدي كل حاجة ببساطة، وترضي بإن اللي ربنا كاتبهولنا هو الخير دايمًا في أي حاجة، حب بأة أو غيره.."

صمت مطبق طغى لثوان..

"وإنتي متخيلة إن اللي بيحب سواء كمل أو مكملش عنده الكلام المثالي ده؟"

رصاصة أخرى قتلت جزءًا جديدا في (عتـاب)..

"لأ طبعًا معندوش، بس في وقت معين كده بيبقى مفيش قدامنا حاجة غير دول، وإلا حنلاقي الضغط النفسي اللي علينا حيزيد لحد ما حيحصل حاجة من اتنين، يا نتعقد طول حياتنا، يا حنموت بأة بأي مرض عضوي ينهي علينا بعدها.."

ـ "طيب هو أنا لما أحب حد، وأتمسك بيه ده عيب؟"

ـ "لأ، إطلاقًا.. المهم بأة هوه متمسك بيكي لحد فين؟"

نفس عميق بطعم الحيرة من الجهة الأخرى..

ـ "إزاي؟"

"بصي، خليني أقولك على حاجة، بس حاولي تتخيليها معايا، أنا بشوف إن قصص الحب دي، وحتى الحياة نفسها عاملة زي ما يكونوا دايرتين بيتقاطعوا في نقطة واحدة إنتي بتقفي عندها.. دايرة منهم (دايرة التَمَسكْ) ودي دايمًا بتبقى قدامك، والدايرة التانية (دايرة الفَقْد)، ودي دايمًا بتبقى ورا ضهرك.."

ـ "كملي.. وبعدين؟"

"كل دايرة لازم نقابل شخص يقفل الدايرة، ودي بأة بتبقى على حسب قناعاتنا وأولوياتنا، يعني مثلًا، إنتي تحبي واحد فبتخليه قدام عينك في دايرة التمسك، والباقي عليه بأة، لو بالتمسك حيديكي وشه، وحتتقاطع دايرتكم في نقطة حتترقي إنتي فيها زي السلم والتعبان بالضبط، لحد ما تتقابلوا وتتجوزوا، وهنا بتنتهي دايرة الفقد للأبد، وبتبدؤوا تخلقوا دايرتكم الشخصية اللي بتحاوطكم سوا في حاجات تانية غير الحب، لإنها خلاص اتقفلت، وانتم وسطها.."

ـ "فهمت، طب ودايرة الفقد؟"

"دي بأة بتشمل كل حد حطيناه ورا ظهرنا سواء بمزاجنا أو غصب عننا، بس دي بأة معقدة شوية، وربنا بيكون فيها جزء أكبر لإنها بتكون جزاء من جنس العمل غالبًا.. خليني بأة أرسملك احتمالاتها.."

نفس عميق من (عتـاب) هذه المرة.

"لو مثلًا إحنا متمسكين بحد هو حاططنا في الفقد، ساعتها الدايرة دي عمرها ما بتتلاقى، بس بيبقى فيه هنا بأة طرف ظالم وطرف مظلوم، وهنا طبعا ربنا بيبقى أعلم بالنية، وهو ده المقياس أصلًا.. فالظالم لازم تبقى دايرته اللي بعدها فقد طبعًا، علشان ربنا يخلص الذنب، وخلاص ذنبه ده بيبقى أوقات في تخبط حياته لحد ما يلاقي حد يقفله دايرته.. أما بأة لو مظلوم ساعتها ربنا يا بيوجهه لحد يدخله في دايرة تمسك على طول، يا بيحطه في شوية تجارب لحد ما يجهزه لاستقبال الشخص اللي حيقفل دايرته بالحب والسعادة في الآخر.."

ـ "فهمتك.."

"الفكرة بأة بتقف، بعد إرادة ربنا طبعًا، على إننا ممكن نتخلى عن إيه في شخصيتنا، وأفكارنا، ومبادئنا، وحتى أحيانًا عن بعض عاداتنا وتقاليدنا مع الوقت علشان نقفل الدوايـر دي.."

«لابد أن أمسك بزمام المبادرة في هذه المكالمة..» هكذا قررت (عتـاب).

ـ "ما تحكيلي بأة حكايتك إيه؟"

"بصي.. باختصار أنا حبيت واحد أوي، وسابني بعد فترة، وإحنا على وش جواز، لأنه قال إنه محسنيش، بس أنا عايشة على إحساس بيقولي إنه راجع كده كده"

ـ "ماشي، بس الإحساس ده خطر جدًا، لإن لو إنتي هشة ممكن ده يخلص عليكي أصلًا، أو حتى يوصلك إنك تخلصي على نفسك بإيدك.."

صمت ثقيل مفعم بأنفاس خانقة.

ـ "تفتكري روميو وجولييت لما انتحروا حسوا بإيه؟"

ـ "معرفش، بس دي حدوتة بتقول إن أحيانًا الحب ممكن يكون خالد، حتى لو مكملش في الحياة.."

ـ "مممممممممم.. طب هو ممكن الحب يبقى خالد لو مكملش؟"

نفس عميق معبأ بالذكريات، ورصاصة جديدة لقلب (عتـاب) في هذه المكالمة.

ـ "بصي، البنات في السؤال ده مدرستين.. مدرسة بتقول إن كل اللي بنتكلم فيه ده أفورة أوي ومحــن، وإن اللي مشي في ستين داهية، وكل الكلام الظريف اللطيف اللي إنتي أكيد بتسمعيه ده.. ودول في الغالب بنات قوية أوي وعمليين ودماغهم كبيرة جدُا.."

ـ "طب والمدرسة التانية!؟"

دي بأة مدرسة إن الحياة بتتعاش مرة واحدة، وأصحابها مثاليين جدًا، وحالمين على الآخر، ودول مينفعش تغلطيهم برضه، لإنهم بيعيشوا الحياة على إحساسهم وبس.."

ـ "طب وإنتي إيه رأيك؟"

اللعنة.. سؤال آخر وضعها أمام نفسها، وضربها في الصميم.. لا تكذبي الآن يا (عتـاب)..

"بصي ، أنا شخصيًا مؤمنة في حياتي إن كل بني آدم في حياته قصة حب مكملتش، القصة دي رسمت أحاسيس، ومشاعر، وأفكار اتغيرت بسببها في صاحب القصة، وحتى لو حبينا تاني، واتجوزنا بيفضل موجود الحد ده، بس بيبقى زي الطيف الجميل اللي بيرسم ابتسامة على وشنا لو شفناه هو أو حتى صورته، أو كلمناه حتى لو في أي هبل، وده طبعًا بعد ما بنعدي السلب اللي سابته القصة في حياتنا.. وده بيبقى الحب الأفلاطوني الخالد اللي ما بيكملش.."

"كلامك مريح أوي يا (عتاب).. طب تفتكري أفضل مستنياه لحد إمتى؟"

"لحد ما ربنا يبعتلك إشارة.. بس الفكرة بأة إنك تكوني متقبلة الفقد أو التمسك.. وإنتي وقوتك ساعتها.."

ـ "طب تفتكري إن أنا أوفر في الأفكار دي؟"

"لأ خالص، بس زي ما شرحتلك مش الكل بيشوف الصورة من زاويتك.. إنتي بس ممكن تكوني ضعيفة شوية، وحالمة، وده ممكن يتعبك في مفرمة الحياة اللي إحنا فيها دي.."

الصمت سيد الموقف من جديد لوهلة من الزمن..

"اسمي (علا) بالمناسبة.. شكرا لإنك ريحتيني.. مع السلامة.."

ـ "مع السلامة، وأتمنى أسمع عنك كل خير.."

«الحمد لله أن انتهت هذه المكالمة».. هكذا قالت (عتاب) لنفسها.

«مستنية مكالماتكم على أرقام البرنامج.. أسيبكم دلوقتي مع أغنية مبتهزش لتامر عاشور.. ونرجع نكمل كلامنا بعدها..»

■■■■■■■■■

"أكيد بعدك ده ليه أسباب..
ومهما يكون ما بينا غياب..
حنرجع تاني يوم أحباب..
وأنا إحساسي ما يخوننيش.."

■■■■■■■■■

علت ضحكات (عـلا) و(لميس)، وهما تجلسان في مكتب (عـلا) في صيدلية المستشفى.. ضحكات صافية، صادقة، مفعمة برائحة القهوة المنبعثة من فنجانيهما الموضوعين على المكتب.

بضعة شهور مضت منذ تقابل الرباعي، (لميس)، و(ملك)، و(عـلا)، و(إيمان)، وأصبحن بعدها أصدقاء.

وجدت (علا) في (لميس) و(ملك) حب الحياة، والمرح، وهو ما كانت تفتقده حتى تمضي وقتها منتظرة فارسها من جديد، كما أنها وجدت في والد (ملك) صدق الأب الحنون، والمخلص في نصيحته، وهي تفتقد هذا الشعور منذ وفاة والدها كثيراً.

بينما وجدت (ملك) فيهن إحساس الأم الحنون التي تحتضن الجميع، خصوصًا أنها محرومة من إحساس تواجد الأم، فأصبح يحلو لها ممارسته بما لديها من فائض حنان، وطاقة حب غير موجهة، ولكنها ممزوجة بالثقة، مما جعل كاريزمتها كاسحة.

أما (لميـس)، فوجدت في (عـلا) و(إيمان) أختين أكبر سنًا منها. أحبت كثيراً صدق، وإخلاص (إيمان)، وطيبة قلب (عـلا)، والتي جعلتها تفكر جديًا في أن تجعل منها زوجة أخيها المستقبلية.

مواقف كثيرة جمعتهن، وأسرار ظهرت على ساحتهن معًا.. والكثير من التغيير حدث لهن منذ الثورة.. حكت لهن (عـلا) عن حبيبها الذي تنتظره، لم تهتم بسخريتهن من فكرة انتظاره، إنها تتبع إحساسها وكفى.. كانت تغار عليه كثيرا - وما زالت- حتى أنها أخفت اسمه وصورته عنهن في كل حكاياتها.. ذكية كانت في حديثها عنه، كحلم جميل، حتى حسدها الجميع، وتمنوا لنفسهن جميعًا حبيباً مثله يومًا ما.

أما (لميس) فقد كانت تمضي معهن أغلب وقتها، وهي تلعب دور المستمعة تارة، والناصحة تارة أخرى، بشخصيتها الجذابة التي جعلتها قريبة، ومحبوبة لهن.

كانت تحاول إخفاء اشتياقها لأخيها (حسين) الذي أصر على رأيه، وسافر إلى دبي، وهو يحلم بنسيان ماضيه، والعيش برفاهية في دبي، وكل ما يشغل فكره تلك الأجنبية التي رسمها زوجة في أحلامه.

تخاف (لميس) كثيرا من أن تفقده، ولهذا وجدت في (علا) تلك المنقذة، ولكن عليها أن تتغلب على عقبة حبيبها أولًا، والتي بسذاجتها -من وجهة نظر (لميس)- جعلتها ترفض كل الفرص التي فرشت طريقها بآمال من الورود، متطلعة في صبر على سعادة تنتظر خلف السراب.

ولكن رهان (لميس) هو أن (علا) سوف تخضع مع مرور الوقت لفكرة الزواج، والبدء من جديد والنسيان، خصوصًا مع ضغط أمها المتواصل عليها، والذي جعلها تضيق ذرعًا منها، حتى أنها أصبحت تمضي معظم وقتها في الصيدلية، والمستشفى، ومع صديقاتها، أكثر بكثير مما تمضيه في البيت.

رشفت (لميس) من فنجان قهوتها رشفة، ثم أغمضت عينيها في نشوة، وتركت القهوة وتأثيرها يتسللان إلى تلافيف مخها.. ثم قالت موجهة حديثها إلى (علا) في تساؤل:

- "مكلمتيش (ملك)؟ عمو باباها كان تعبان!"

ردت (علا)، وهي تشرب من فنجانها مستمتعة، وهي تجيب:

- "آخر مرة كلمتها من يومين، وانشغلت بعدها.. بس هي قالتلي إنه بيتحسن.."

"استني أما أكلمها، وحشتني والله.. مكلمتهاش من امبارح"

ثم أخرجت هاتفها، وهي تضغط على أيقونة صورتها التي ظهرت في قائمة الاتصال.. رنين.. ثم رنين.. ولا مجيب!

كررت محاولتها مرة.. ثم مرة أخرى.. ثم مرة ثالثة!

بدأ القلق يكسو ملامح (لميس)، وانتقلت عدوى القلق إلى (عـلا)، وهي تشاهد صديقتها تعيد تكرار المحاولة عدة مرات، وصوت الرنين العالي يشق صمت الغرفة بسكين القلق الحادة بلا مجيب.

ـ "ألـو.."

قاطع صوت (ملك) حبل أفكارهما السيء، وهي تجيب على الهاتف، لترد (لميس) بكل لهفة، وقلق متسائلة:

ـ "إنتي فين يا (ملك)!؟ كنا حنموت من القلق عليكي!"

ـ "بابا.... على إيدي!"

«لماذا يبدو صوتها كآلة بلا إحساس!؟»، هكذا فكرت (لميس) لتسألها في ترقب حذر:

ـ "عمو على إيدك إزاي يعني؟ هو لسة تعبان؟"

"بـابـا.. بـابـا.."، هكذا كانت تناديه!!

لماذا تناديه وهو على يدها!؟

بدأ القلق يسيطر على (لميس)، لتقاطعها صرختها الملتاعة:

ـ "بـابـا مات يا (لمـيس).. بـابـا مااات!!"

■■■■■■■■■

"لماذا؟

لماذا تركتني لوِحدَة تقتلني في محطة قطار الزمن المزدحمة!؟

ما أصعبه من فراق! من سيمسح حزن عيني المنهمر الرقراق!؟

لقد كنت يا أبي واحة خضراء في صحرائي القاحلة..

ونيس أيامي في وحدتي القاتلة..

كنت الظهر، وكنت السند..

كنت أصدق حب في حياتي للأبد..

من سيهتم بي في برودة الشتاء؟ وحر الصيف؟

من مثلك سيحمل لي الأمــان؟

لقد علمتني كل شيء في حياتي، ولكنك نسيت أن تعلمني أهم شيء في حالتي هذه..

أن تعلمني كيف أعيش بعدك.. كيف أنسى عيونك الطيبة، وشجن صوتك الحاني؟

أتعلم يا أبي؟ أنا محاطة بأصدقائي الآن.. (لمـيس) تمسك يدي اليمنى في حنو، و(عـلا) تمسك يدي اليسرى، وتقبلها بين الحين والآخر، وأنا أدفن رأسي في حضن (إيمان) الحنون، وهي تمسح دموعي التي جعلت الرؤية تزداد صعوبة.

ولكنني لا أشعر بهن جميعًا!

توقفت حياتي عندما رحلت روحك إلى بارئها..

ولكن عزائي يا أبي أنك اخترت الرحيل بين يدي، كما كنت تتمنى دومًا بعد وفاة أمي..

«أمك سبقتني، وملحقتش أموت في حضنها، نفسي أشوف نفسي لما روحي تطلع، وأنا في حضنك إنتي»

هكذا كنت تقول.. لكنك نسيت قسوة هذا على ابنتك الوحيدة..

كيف سيحلو لي الفستان الأبيض، وأنت لن تراني به!؟

لن تكون بجانبي، وتعطي يدي في يد من هو من نصيبي..

اعذرني يا أبي.. لقد فرطت في تلك الفرصة حين جاءتني.. ولكنني كنت أراك فقط في حياتي وقتها..

أتعلم؟

كنت قديمًا أخاف من الموت والقبور.. ولكنني عشقتها الآن؛ فهي أصبحت بيتك..

يا أرض كوني حنونة علـــيه..

احتضني جسده في رفق حتى آتي لأحضنه بنفسي..

إنه حزني الأعظم..

أعذرني فأنا لا أستطيع الصبر، فقد كنت لي كل شيء..

حتى في رحيلك تركت لي لغــزًا محيراً..

«دوري عليه يا (مـلك)، وهو حيعرف يبقالك أنا!»

كانت تلك وصيتك.. أو ربما آخر نصائحك!

وكنت تنظر لي تلك النظرة التي احترت في أمرها..

ولكنني يا أبي سأحاول أن أفهم، وأنفذ أمرك، ونصيحتك هذه..

وإلا سآتيك بإرادتي..

أعلم أنك تسمعني الآن فاعذرني..

فالآن فقد أدركت معنى الوحدة على حق..

«الحب طاقة، وأنواع كثير.. إحنا بنحتاج نسماته علشان نقدر على الحياة»

هكذا كنت تقول دائمًا، فكيف تركتني بلا حبك!؟

أسيكفي أن ألتمسه في صورك القليلة؟ أم في كتبك!؟

رائحتك التي لا تفارق أنفي..

وجسدك الذي التصق شعوره بيدي وقت وفاتك..

سأبحث عن سر هذه النظرة حتى أجعلك سعيدًا.. لا أدري كيف.. ولا أدري من أين أبدأ البحث..

ولكنني أعلم أنني أحبك..

وأمام عيني وسط سحابة الدموع، التي تشبه كثافة سحب يناير، حقيقة واحدة..

أنني سأعيش حياتي كئيبة بائسة وحيدة من بعدك..

وأني يا أبي الغالي الحبيب..

فقــدتـــــك..

▪▪▪▪▪▪▪▪▪

«أمات أبـــــــوك؟

ضــلال! أنا لا يموت أبـــي..

ففي البيت منـــــــــه..

روائح رب وذكرى نبـــــــي..

هنا ركنه.. تلك أشياؤه..

تفتق عن ألف غصن صبي..

جريدتــه، تبغــه، مُتكَــاهْ..

كأن أبي -بعد- لم يذْهـبِ..»

#نزار_قباني

▪▪▪▪▪▪▪▪▪

الفصل التاسع

الآن نرجوكـــم الصمـــت!!

يُحِبنِـــــي..

يذوب كما تذوب شفتاه على شط شفتاي الساخنة بوهج حرارة حبي ومشاعري له..

"عيناكِ لي بدفئ الشمس، تنير ظلام روحي، وتزين وجها ينير قلبي كالقمر".. هكذا يقول دائمًا..

تطربني كلماته وتشبيهاته التي تجعله لي ملاكًا وسط هذه الغابة.. يبحث عن روحه، أعلم هذا جيدًا، ولكني أجهل السبب وراء كل هذا.

يستسلم إلى لمساتي تمامًا، كالطفل الصغير الذي يبدو تائهًا بلا أمه..

تخبرني عيناه الكثير والكثير، رغم ثقل لسانه!

لديه الكثير.. قلبه ممتلئ كمركب محمل بالمهاجرين غير الشرعيين، الباحثين عن الأمل في عيون أوروبا الفاتنة الساحرة..

أمـــانُهُ لـــدي..

أشعر به، وأثق بذلك تمامًا بخبرة أنثى، تصدق إحساس قلبها المحب، الصادق، العاشق..

أحب أن أجعله سعيدًا ومبتسمًا دائمًا.. أتعلمون لماذا؟

لأنه في لحظات سعادته يهديني وردة..

ولهذا فأنا أعلم أنه سعيد للغاية معي، لأن وروده مختلفة الأشكال، والأنواع، والألوان، بدأت تملأ حياتي..

أتعجب من نساء بلده، يسعون لأن يصبحوا بحريتنا المطلقة في روسيا، أو حتى أوروبا، بينما يملكون أثمن ما نبغيه من الحياة في رجالهن!

الصراحة.. الإخلاص.. الرجولة.. الشهامة.. النخوة.. والغيرة..

كلها صفات رأيتها ولمستها فيه في خيل تمثيل لأفكاري عن وطنه العربي..

لماذا -كما يقول- لا تشعر نساؤهن بالسعادة، وهنَّ يملكن رجالًا مثله؟ ولماذا يهرب الرجال منهن دومًا إلى بلادنا؟ وإلى أحضان نسائنا؟ على الأقل هناك -على ما أعرف- يفضلون تعدد الزوجات عن الخيانة بلا زواج، وهو ما نرى عكسه تمامًا هنا.

ولكنني حقًا أحبه، وتكفيني منه نظرة..

أشعر بقلبي أخف من السحاب، وأنا متعلقة بذراعه، وأحتضنها بحب بعد كل مفاجأة ينعش حبي بها..

يحبني، ويحلو لي وله مناداته بـ(مديـري المُثـير)..

لقد استطاع أن يدير حياتي للأفضل بامتياز، وإذا كانت نساء بلده لا يعرفن قيمته، وقيمة الزواج بمن مثله، فأنا سأفعل..

يعلموننا في مدارس الزواج في روسيا، والتي نذهب لها قبل الزواج كل شيء عنه، وعن قيمته.. كيف أغرقه في بحور الزواج باستمتاع، وأن أهتم بحالته العاطفية أولًا، ثم أهتم بحياتنا بعدها..

قلب الرجل لدينا هو الأهم، ولهذا فلا عجب أن أفضل دروسنا هي حصص المساج، وفن التعامل مع الزوج، وإيتيكيت الأنثى، ثم يأتي بعدها دروس الطعام، والاهتمام بالأطفال، وغيرها..

أعلم بأنه سيكون مَلِكًا في مملكة أحلامي أنا (تاتيانا)، وواقعي حين يكون لي..

وحين يستسلم..

ويقولها..

ستفاجئه في عيد ميلاده الذي اقترب كثيراً بمفاجأة ضخمة تعلم بأنها ستسعده..

وبحس الأنثى تشعر بأنه سيتكلم.. وسيحكي..

وحتى ذلك الوقت ستفعل معه ما تعشق..

أن تقول له بكل لغات العالم أنها تحـــبه..

وتقَبلُــه..

■■■■■■■■■

الإحساس المسيطر: الغضب، والصراخ المتبادل.

المكان: أحد المطاعم الشهيرة بشارع البحـر.

ـ "دجــالة!؟ إيه اللي إنتي عملتيه ده!؟"

ـ "ما كله بسببك، ولا انت عايز تقربلي، ولا عايز تحكيلي.."

ـ "أقربلك!؟ أومال دبلتي اللي في إيدك دي بتعمل إيه؟"

ـ "مش حساها.. الموضوع مش دبلة وبس.."

ـ "والموضوع بأة إنك علشان تفهمي تروحي لدجـــالة!؟"

صوت قبضة غاضبة ضربت طاولة، أعقبها صوت زجاج انكسر، بعد وقوع الكوب محتضنًا الأرض في دوي مزعج..

ـ "اسمعي بأة اللي بتهربي منه.. إنتي لسة مش مالية مركزك ولا مالية عيني، لإن عينك عليها مش عليا، ومش عيب أبدًا إني أحافظ على خصوصية بنت عشت معاها قصة حب بتفاصيل كتير.."

ـ "بس هي مش حتعمل كده لو مكانك.."

ـ "أنا مالي ومالها؟ أنا حبدأ بنفسي، ولو كل واحد عمل زيي كان زمان أخلاقنا وأفكارنا طلعت من الطين اللي مغروزين فيه بعادات قديمة من آلاف السنين!"

ـ "انت مش طبيعي!"

سخرية تسللت من بين كلماته:

ـ "الطبيعي بأة إني لما أعوز أدور في ماضي حد أروح لدجالة، وأسميها شيخة!؟ قوليلي أنا أثق فيكي إزاي بعد كل ده!؟ الضعف اللي إنتي فيه ده إنتي اللي حطيتي نفسك فيه، لإنك عايزة تلبسي توب مش بتاعك، بدل ما تقنعيني، وتوريني جمال توبك!"

نظرة نارية مفعمة بالغضب منه، أتبعها رمي بأوراق مالية على الطاولة.

ـ "استني رَدّي بأة على اللي عملتيه.. وافتكري إن إنتي اللي بدأتي يا (دالـيا).."

صوت كعب حذاء رجالي كلاسيكي، مبتعد في موسيقى، رسمت قسوة انطبعت على وجهها المذهول والغاضب، بينما صوت عمرو دياب في الخلفية يدوي بجملة علقت في ذهنها، وهي ترى ستارة نهاية العرض تنزل بدموعها، راسمًا مشهدًا تراجيديًا متكاملًا.

"مش كل حاجة نعوزها نلقاها في إيدينا"

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

"ونحن لم نحلم بأكثر من حياة كالحياة."

#محمود_درويش

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

ـ "فينك يا برنس؟"

اقتحم السؤال طبلة أذن (رامز)، قادمًا من سماعة هاتفه، حاملًا صوت صديقه (أحمد) المرح المحبب إلى قلبه، ليرد عليه قائلًا بصوت ناعس:

ـ "موجود يا بيه، انت اللي فين؟"

ـ "مرميين في القهوة، قلنا نتجمع الصبح، ونفطر سوا من باب التغيير، قبل ما الكل يروح شغله، بس المرادي قلنا نغير المكان.. ما تيجي!"

ـ "لا يا عم، مليش مزاج.."

ـ "تعالى يا عم، اقعد معانا ساعة كده وامشي.."

أطرق (رامـز) برأسه مفكرًا، وهو ينظر إلى ساعته التي تعلن اقتراب بداية الساعة الثامنة صباحـًا، ثم حسم رأيه قائلًا:

ـ "طب هيا فين القهوة دي؟"ـ

"بص يا سيدي، في وش كنيسة ماريجرجس في علي مبارك، في كافيه جديد محندق فاتح هناك اسمه (٣٠ يونيو)،

جنب الكمين اللي بيحرس الكنيسة، حتلاقينا هناك.."

ـ "مين عندك؟"

ـ "الشلة كلها، ما انت عارف أحنا وطنيين، ولمينالك كل الأطياف المجتمعية، الواد (هاني) المسيحي قاعد أهو، و(إسلام) الإخوانجي مرمي جنبه، والواد (حسام) لسة جاي من القسم بعد ما خلص شغله ودوامه، و(محمـود) نازل أجازة إسبوع من الجيش، وجاي في السكة.."

ـ "طيب أنا جاي، مسافة السكة.."

ثم أغلق هاتفه، ونهض مرتديًا ملابسه في سرعة، ثم ذهب إلى الحمام، ليغسل شعره استعدادًا، لتصفيف شعره تصفيفة جديدة تكسر الروتين، وهو يفكر في أصدقائه.

رغم اختلافهم جمعهم شيء واحد، ميز العشرة فيما بينهم..

الحـــــــب..

■■■■■■■■■

دوى رنين هاتف (لميـس)، وهي ذاهبة إلى بيت (عـلا)، فأخرجته، ثم ابتسمت بعدما رأت اسم المتصل لترد قائلة:

ـ "أيوة يا قمري.."

ـ "(لميــس).. أنا عرفت بابا كان بيبصلي كده ليه! عرفت السبب.."

هكذا دوى صوت (ملـك) الباكي، ثم أكملت قائلة:

ـ "أنا حقابلك كمان ساعة، إنتي فين؟"

ـ "رايحة أقعد مع (عــلا) في البيت شوية.."

ـ "طيب أنا جاية على طول على هناك.."

ثم أغلقت الخط في سرعة، تاركة (لميـس) غارقة في بحر من الحيرة..

والقلــق..

والتساؤلات!

■■■■■■■■■

شلة لطيفة هي، تجمعهم الضحكات والدعابات، حتى أنهم دائمًا ما يصبحون محطَ ا لأنظار الجميع، ومصدرًا لكل ما في الحياة من طاقة إيجابية، وهو ما حدث فعلًا في كافيه (٣٠ يونيو)، حيث التقوا..

(هاني) يمثل المسيحي، المؤمن، المخلص، والذي دائمًا ما يحب بلده بكل المشتركات التي تجمعهم مع المسلمين في وطن واحد.. يحب رمضان، وسهراته، ويعشق أكل ا لقطايف، والكنافة التي تنتشر في ذلك الوقت من السنة. تمامًا كما ينتظر أعيادهم، التي تعمر بمكالمات أصدقائه المسلمين، المليئة بالود، والعامرة بنكهة مصرية محببة إلى قلبه النقي..

بينما يمثل (إسلام) طيبة قلب، وحب لعمل الخير، ومساعدة الناس من فطرة رائعة نابعة من تدينه،

دعك من شعار (مرسي راجع) الذي أصبح -رغم مضي الشهور والسنوات- كالعلكة في فمه! ودعك من مناقشاته الحامية مع صديقهم (حسام) ضابط الشرطة الذي كان من ضمن أفراد القوة التي فضت اعتصامي رابعة والنهضة، والذي مل من إقناعه بأن الإخوان كانوا على خطأ، وحاول أن يخبره برفضه الشخصي للدم المصري المسال، أيًا كان فئته وتصنيفه، ولكن كل الذكريات الجيدة التي تجمعهم كانت كفيلة بمحو كل الاختلافات بينهم، بمجرد إنتهاء النقاش.

بينما يمثل (أحمد) فاكهة الشلة، برجولته ودعاباته التي لا تنتهي، رغم انفصاله عن زوجته مؤخرًا، ولكنه قادر على تجاوز ذلك بحشيشه الحاضر دائمًا، خصوصًا أن تدهور أوضاعه المادية نتيجة عدم استقرار البلد، وغلاء الأسعار كان هو سبب الانفصال، مما جعل حزنه يقل بعض الشيء، على اعتبار أنه فعل ما بوسعه، لكي لا يكون التقصير من طرفه، وهو ما حدث بالفعل.

أما (محمود)، فقد أصبح نقطة ارتكاز الجميع، الكل يتصل به يوميًا للاطمئنان عليه، خصوصًا بعد طوفان الهجمات التي استهدفت الجيش، وهو ما جعله هو ومن مثله مستعدين للموت والشهادة يوميًا، فداء لأهلهم ووطنهم.

أما (رامز)، فهو دائمًا المتفائل بينهم، يمثل الاعتدال بين الجميع، ويتبنى وجهة نظر واحدة فقط أصبحت عنوانه.. "بكرة أحسن، ومصر حتبقى أد الدنيا".. هكذا كان يهتف دائمًا، وأصبح أيقونة لطاقة الحب بينهم.

ارتشف (رامـز) رشفة من فنجان قهوته، وهو ينظر إلى أصدقائه، ويتابع مباراة البلايستيشن الحامية بين (إسـلام) و(حسـام)، وهو يستنشق الهواء العليل في استمتاع.

ـ "فينك يا برنس من إسبوع؟ ما شفناش خلقتك العكرة يعني!"

هكذا قالها (أحمـد) في مرح، وهو يضرب ظهر (رامـز) في عنف كعادته، ليلتفت له الأخير في حنق وهو يقول:

ـ "ما تبطل رزع في ظهر أهلي يا عم! انت يخربيت الصحة! أنا أهو يا سيدي.."

ـ "خلاص يا عم التفاؤل، ما تباصيلي نفحة تفاؤل كده من بركاتك على ما قسم، أحسن الجو كله بقى قلق، وعجن، وملبش على الآخر.."

ضحك (رامـز)، وهو يقول له مداعبًا دبلته:

ـ "يا عم كله حيعدي، كل الثورات في العالم احتاجت وقت بعدها علشان البلد تتعدل، المهم بأة إن المثقفين ياخدوا بالهم، لتتسرق هي كمان زي اللي قبلها، ونشتغل بأة، وننسى السنة السودا اللي فاتت.."

ـ "وطي صوتك يا عم، أحسن (إسـلام) يسمعنا، وييجي يصدعنا، ويرغي كعادته في مرسي والانقلاب كالعادة، أحسن مرارتي مفقوعة، ومش طالبة هم، ولا عندي استعداد أبوظ الدماغ اللي عاملها علشانه.."

ـ "ماشي يا عم.. يا أبو دماغ عالية.."

تأمل (رامـز) أصدقاءه، وهم مندمجون في اللعب، و(هـاني) يضرب رأس (إسلام) في مرح، وهو يغيظه بأن الداخلية كسبت -يقصد (حسـام)- فقد كان (حسـام) يتقدم بفرق شاسع عليه في المباراة.

سأل (رامـز) (محمود) في اهتمام:

ـ "أخبار مراتك والكتكوتة الصغيرة إيه؟"

ـ "تمام.. مدوخانا، بس هي اللي بتخليني أضحك من قلبي كل أما أنزل أجازة والله.."

ثم تأمل الحياة، والحركة في الشارع حول الكنيسة، وهو يقول موجهًا حديثه لصديقيه (رامز) و(أحمد):

ـ "عارفين؟ نفسي البلد دي تتعدل بأة، نفسي أشوف بنتي عايشة، ومبسوطة، وعندها انتماء للبلد دي، ومراتي أعرف أنزلها، وآخد بالي منها أكتر من كده، عارف إني مقصر معاهم، بس غصب عني والله.."

ـ "إن شاء الله كله حيبقى تمام، طول ما إحنا في ظهر بعض، وبنسمع لبعض، ومتفرقناش، حنبقى أحسن.."

ثم نظر إلى (إسلام)، الذي ترك ذراع اللعب بيد (هانـي)، وهو يقول:

ـ "والله الواد ده صعبان عليا، مُغَيّب زي ناس كتير، بس إحنا عارفين هو على إيه كويس.."

قال (أحمـد) في جدية نادرة وسط مزاحه الدائم:

ـ "أحلى حاجة بأة إن شلتنا رغم إننا مختلفين، إلا إننا قلب واحد فعلًا زي ما بيقولوا، ومقدرش أتخيل حياتنا من غير بعض.."

رد عليه (محمـود) قائلًا:

ـ "محدش عارف بكره مخبي إيه، أكيد كله خير.."

وغمغم (رامز) في تفكير:

ـ "آه، فعلًا كله خير.."

ما لا يعلمه الجميع أن (رامـز) نفسه -رغم التفاؤل- يعيش حيرة فهم الحقيقة، مثله مثل جميع من يفكر بعقله، في زمن تحول العقول إلى طبلٍ خاوٍ.. عنوان المرحلة هو الإرهاب كما يقولون في برامج التوك شو اليومية، ووسط مشاريع

عملاقة معلنة، وعجلة إنتاج تدور كما يقال.. يصاحب ذلك غلاء شامل في طعام، وشراب، ووقود، وفواتير كهرباء، ومياه، ومواصلات قصم الظهور مع ثبات الدخل وارتفاع التضخم، وسعر الدولار، وهو ما بدأ يقضي على أمل الجميع في حياة كريمة، ويكاد ينهي مفهوم الطبقة المتوسطة في مصر، خصوصًا أن الحكومة تكبل الجميع، ولم يعودوا يملكون حتى حق الاعتراض! يتألم وهو يرى أمه -المباركية الهوى- تعاني حتى تأمن لهم وجبة يومية هنية، وهو يسمع دعاءها الحار على كل من ثار وغير الحال.. يذكرها بصديقه (محمد الجندي) شهيد طنطا الذي مات في سبيل الحرية، وصديقه الآخر (أحمد الجمال) الذي لف السجون، لأنه يدافع عن الأرض بلسانه فقط.. فيصطدم بإجاباتها وهمهماتها دائمًا.. لا تهتم أمه بكل المشاريع العملاقة تلك إذا وضعت في كفة مقابلة للجوع والفقر التي جبل الإنسان بطبعه على الهروب منهما، وسؤالها الدائم المتكرر: «موديين مصر على فين في صراعاتكم دي يا أولاد!؟ وإحنا ذنبنا إيه في كل المرمطة دي معاكم!؟»

قالت له يومًا أنها تشتاق إلى مشاهدة (باسم يوسف)، الذي كثيرًا ما أضحكها في عز جبروت الإخوان الذين كانت أمي تكرههم بشدة، وتشتاق أيضًا إلى مشاهدة كلمات (يسري فودة) الثائرة المنمقة، وإلى قلم (إبراهيم عيسى).. الذين أصبح بعضهم بعد يأسهم طيورًا مهاجرة.. حتى الشباب اختفوا من المشهد بعد أن صالوا وجالوا سابقًا بكل حب.. منهم تعلم أن (بالحب تكتمل الأشياء)، وقالوا بأنه واقع لابد ان ينتقل للأجيال حتى يعيش ويستمر، لأنه كل ما نملك. لكن هل يعيش الحب بكل أنواعه إذا حاصره الفقر، والجوع، وضيق ذات اليد، والتضييق على اللسان والقلم! عيش.. حرية.. عدالة إجتماعية.. هذا ما نادوا به، وهذا ما ماتوا لأجله.. وهذا ما لم يتحقق بعد.. وهذا ما جعله صامتًا أمام حسبنة أمه المستمرة كلما ذهبت إلى السوق.. هي لا تعرف معنى صراع القوى على سلطة أو غيره، هي تعرف صراع البطون والعقول فقط لا غير.

كل هذه الأفكار تقض مضجعه، وهو يعلم أنه رغم قناع التفاؤل الذي يثبته على وجهه ليراه الكل، إلا أنه يعلم أن مثله مثل غيره من الشباب لن يحتمل ذلك طويلًا، خصوصًا أنه لا يعرف وسط هذا الغلاء كيف سيتزوج، يعلم أن لحظة الانفجار قادمة لا محالة، ولكنه لا يعلم إن كانت بخروجه خارج البلد كما فعل الكثير، أم بغيرها.

قاطع أفكاره، التي لم ولن تغادر عقله، حتى لا يسجن، صوت أبواق سيارات تضرب بشكل متوالٍ، سبب الازعاج للجميع، ما جعل (حسـام) يصرخ قائلًا:

ـ "إيه يا جدعان الدوشة دي؟ هو في إيه!؟"

رد عليه (أحمـد) في سخرية:

ـ "عادي يعني، واحد سادد الشارع بعربية نص نقل، راكنها غلط قدام الصيدلية، والثاني عايز يعدي ومش مستوعب إن العربية مقفولة أصلًا!"

نظر (حسـام) للموقف على الرصيف المقابل، وهو يشاهد تلك السيارة التي تحتل ذلك الشارع الضيق بجوار الكنيسة.. ثم أردف قائلًا:

ـ "هو إزاي العساكر سايبين العربية دي كده؟"

نظر (رامـز)، وهو يقول:

ـ "عادي يعني، حتلاقيه نازل يجيب حاجة من الصيدلية على السريع، ومستأذن منهم.. وقالهم يخلوا بالهم منها لحد ما يرجع..."

ودوى الانفجار مقاطعًا هذا الحديث!

انفجرت السيارة في دوي عنيف، بلغ صداه المناطق المحيطة، والقريبة منها، والبعيدة، مصحوبًا بكمية ضخمة من الشظايا والدخان..

ثم ساد الصمت والسكون، معلنًا تصدر مشهد واحد، حل بديلًا للانفجار..

مشهد الدماء التي غطت المكان، تائهة بين الجثث والأعضاء البشرية المتناثرة، وسط ضحكة ساخرة من شياطين لامرئية، حملت نسائم إرهاب عفنة أحاطت المنطقة، وأعطتها رائحة ممزوجة بطعم الخسة والغدر.

رائحــة الموت..

■■■■■■■■■■

ظـــــــلام..

نـــــــــور..

ظـــــــلام..

أصوات سيارات إسعاف أيقظت صمت المكان تلوح من بعيد..

الكثير من الصراخ..

والألـــــــــم..

أصوات مختلطة تنادي اسمي.. «رامــز.. رامــز..»

ـ "التشخيص المبدئي، اشتباه في نزيف داخلي، مع حروق من الدرجة الثالثة في الوجه واليد، وكسر في الأضلاع، محتاجين نعمل سكان علشان نحدد الضلع، وفي شظايا في معظم أرجاء الجسم"

ـ "على العمليات بسرعة.. وعايز صورة الإكس راي فوراً"

ظـــــــــــلام..

نور ساطع متقطع يجري كشريط متسارع..

هتاف متوتر صارخ:

ـ "دخلوا الحالات بسرعة.. بسرعة.."

العطش القاتل.. تبًا لكم! أريد جرعة مــاء..

ـ "حسبي الله ونعم الوكيل فيهم! التلفزيون بيقول إن مبني الكنيسة فيه أضرار كبيرة، وإن جزء منه انهار، والمنطقة اتدمرت من كتر المتفجرات اللي كانت في العربية لما انفجرت.. وفي ناس كتير أوي ماتت، والضغط زايد على المستشفيات، ومفيش دم كفاية في بنوك الدم يغطي الإصابات الحرجة الكتير التي بتيجي"

ـ "الواحد دموعه موقفتش من فظاعة المنظر، وإحنا بنقفل المصابين يا دكتور، كان في منهم إصابات صعبة وأطفال، ربنا ينتقم منهم!"

ظـــــــلام..

نـــــــــور..

ظـــــــلام..

ـ "رقموا الجثث، ودخلوها التلاجة والمشرحة على طول، لحد ما الأهالي تيجي وتتعرف عليها"

ـ "يا دكتور مفيش مكان.. نعمل إيه!؟ العدد بقى أكبر من استيعاب التلاجة والمشرحة"

أصدقـــائي.. أريد أن أطمئن عليهم..

أصوات مختلطة، والكثير من التأوه والصراخ في مشهد كابوسي آت من أعماق بئر سحيق..

ثم الألـــــــــم..

الكثير من الألـــــم..

ثم من جديـــــــد.. الظلام التـــام..

■■■■■■■■■

"حِسِّي يا مصـــــر..

قولي لأرضك حِنِّـــي دي حتحضن ولادك..

وتعالي امشي في الجنازة بكرة بعد العصـر..

واستحملي صوت النحيب من جمادك..

وابكي دموع دم يا مصـــــر..

ابكي يا مصر على ولادك اللي عاشوا في حماكي..

اللي دابوا في هواكي..

اللي جثمانهم في علمك..

طبطبي ع الباقي منهم هما أملك..

واستحملي منهم كلامهم والعتـب..

دول جيل شافوا كل أصحابهم وإخواتهم وأحبابهم اسم وتاريخ..

في صندوق من خشب.."

▫▫▫▫▫▫▫▫▫▫

الفصل العاشر

وتحـــــــدَّثتْ!!

استيقظت (عتـاب) من نومها منتفضة في فزع، وغارقة في بحر من عرق جسدها الكريه، ومحيط من عرق أفكارها يشدها إلى قاعه بلا رحمة أو هوادة..

إنه نفس الحلم من جديد!

استعاذت بالله من الشيطان الرجيم، ثم عدلت من وضع شعرها الطويل الناعم، وحاولت -بلا فائدة- تغطية ذلك الجزء الظاهر من صدرها ، وهي تعدل قميص نومها الأزرق القصير . ثم زحفت بقدميها إلى الحمام منتعلة خفًا منزليًا خفيفًا لتغسل وجهها، وبعد خروجها نظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار المقابل، والتي تشير دقاتها إلى تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

خافت من العودة إلى النوم مرة أخرى، فوجدت خطواتها تقودها إلى المطبخ، ويدها تتجه إلى الثلاجة، جالبة ذلك الطبق العامر بصنوف الفاكهة المتعددة زاهية الألوان، لتتوجه بعده إلى غرفة المعيشة، وتريح جسدها على الأريكة، فاتحة التلفزيون أمامها، وهي تتابعه بعيون زجاجية غير واعية، وهي تقلب بين قنواته بالريموت كنترول، ناشدة منه ونسًا زائفًا، وهي تسترجع -رغم إرادتها- تفاصيل ذلك الحلم الذي يطارد منامها منذ وقت ليس بالقصير.

دائمًا تحلم بنفس الكابوس.. وذات التفاصيل..

أنها واقفة على باب مسجد، وبه حوالي ثلاثة من صفوف المصلين، يتراصون بانتظام خلف جثمان مسجى أمامهم.. تحاول أن تدخل، فتجد قدمها هلامية لا تكاد تحملها، ولا تستطيع الدخول!

لديها إحساس قوي في الحلم بأنها لابد أن تدخل، وبأنها تنتمي لهم بشكل أو بآخر.. فتحاول عدة مرات بإرادة وتصميم، حتى تستطيع أخيراَ الدخول بعد المحاولة الرابعة تقريبًا.

تسحب قدمها الخفيفة حتى تصل إلى منتصف المسجد خلف الإمام والجثمان.. تتقدم صفوف المصليين مخترقة إياها وسط أصوات البكاء، والنهنهة المكتومة دون أن يبدو عليهم أنهم حتى يرونها! لماذا يتجاهلونها بهذا الشكل!؟

تجد مَن خلف الجثمان قد بدأ بالوقوف وعلى وجهه الوسيم ملامح الحزن.. وجهه ضبابي بالنسبة لها لكنها تدرك أنه وسيم.. تشعر بحزنه تمامًا كما لو أنها قريبة منه.. يمد يده اليسرى نحو الجثمان ليحمله، فتتقدم لتقف بجواره مسرعة دون أن تدري لذلك سببًا، ووسط رغبتها في البكاء تسمرت عينها على تلك الدبلة الفضية التي تحتضن إصبعه، وعليها كتابات ونقوش باللون الأسود.. مهلًا، فهذه النقوش هي حروف اسمها هي دون سواها!

تقدمتها الجنازة مسرعة دون أن يراها أو ينتظرها أحد، وحاولت اللحاق بهم لكنها لم تستطع!

شيئ ما أوقفها عند الباب، وكأنه حاجز خفي منعها من الاستمرار.. تراجعت في خوف، وهي لا تملك فضيلة الفهم لهذا الذي يحدث هنا!

أسندت رأسها على الحائط بعد أن جلست، وهي تنظر إلى الباب، ووقع أقدام ثقيلة يقترب من الباب مغلفًا الكون بظلام يسبق خطواته.. ثم أطل ذلك الشيء ناظراَ إليها!

عملاق يزيد طوله عن المترين، متشح بالسواد، وكأنه سيد عالم الظلام، يمسك بيده اليسرى منجلًا بيد تماثل طوله، وهو ينظر لها بعينين تتوسط رأس ضبع أسود تحمله كتفاه العريضتين، وهو يبتسم لها بسخرية!

حاولت أن تبحث عن منفذ للهروب، فلم تجد إلا النافذة الوحيدة في المسجد، لتقوم إليها في سرعة وهي تفتحها في عنف مفرط، ثم تقفز إلى الخارج لتسقط على أرض كثيفة التراب، وحين تحاول الركض هاربة تكتشف أنها قادرة على الطيران!

وبكل ما لديها من سرعة وجدت نفسها تطير، بلا إرادة منها، وكأنها تعرف الطريق تمامًا، أو بالأحرى كأن مغناطيسًا عملاقًا يسحبها نحوه في قوة.. نظرت حولها، وهي تتأمل الأضرحة، والقبور المتناثرة حولها في انتظام، ولمحت خلفها بطرف عينها ذلك العملاق، وهو يطاردها بخطوات هادئة، وكأن لديه الوقت كله لذلك!

فوجئت أثناء طيرانها بأنها تقترب من مبنى حجري عتيق، يحيط به الناس، حد الاصطدام، فرفعت يديها لتحمى وجهها، ولكنها شعرت بالصدمة حين اخترقت بجسدها جدار المبنى كسكين يشق قالبًا من الزبد في ليونة ويسر.

لا تعرف لماذا هي هنا، ولكنها تُسْحَبُ رغمًا عنها إلى هناك.. تلقي نظرة لتكتشف أنها في مسجد آخر!

صلاة جنازة تقام هنا بعدد أقل من الصفوف.. يصلون خلف جثمان تعرفه جيدًا هذه المرة.. تشعر به.. لأنه وبمنتهى البساطة جثمانها هي!

انتفضت (عتاب) من جديد، بأعنف مما مضى، وهي تستعيد شعورها السابق المستمر حتى الآن بالاختناق.

تشعر بالريبة.. فهي تعلم أن لديها شفافيه ما وهبها الله لها، وأن أحلامها نادرًا ما تخطئ، أو تكون بلا معنى، أو سبب!

أتراها رسالة من الله، وإنذار رباني بأنه لا وقت كافٍ لديها، حتى تنهي تناقضاتها الشخصية المرهقة!؟

أم هو إنذار باقتراب انتقالها لحياة أخرى لا تعلم إذا كانت في حياة أم ممات!؟

أتراه نتيجة صلاة الاستخارة التي صلتها بالأمس، حتى تضع حدًا لحيرتها في هذا العزيز الذي تقدم لخطبتها من والدها بشكل مفاجئ!؟

أم تراه المرض ينذرها بالقدوم والعودة!؟

حاولت الاسترخاء على الكرسي الوثير، وهي ترتشف جرعة من زجاجة ماء باردة، ومسحت حبات العرق التي بدأت زيارة غير مرغوب فيها إلى جبهتها..

لابد لها من وقفة مع أفكارها، ولابد لها أن تتغير من جديد، ولابد أن تستعد..

وبرغم إرادتها تسللت إليها ذكريات من الماضي القريب تحمل بين طياتها رائحة الألم وإحساس نخز في أوردتها وقلبها كان سببه مرضها..

وشـــــادي!

■■■■■■■■■■

"الناس في السكينة سواء.. فإن جاءت المِحن تباينوا.."

#ابن_خلـدون

■■■■■■■■■■

ـ "تشربي إيه؟"

ـ "اعمليلي فنجان قهوة من إيدك الحلوة دي يا لـولـو.."

ـ "عنيا يا أحلى (لمـيس) في الدنيا.."

ذهبت (عـلا) لتحضر فنجان قهوة (لميس) تاركة الأخيرة غارقة في التفكير، وهما ينتظران (ملـك) في بيت (عـلا) في ترقب..

كانت (لميـس) تشعر بمشاعر مختلطة ما بين أخيها (حسين)، الذي مضى على سفره عدة أشهر، والذي فاجأهم باتصال هاتفي منذ يومين، ليخبرهم بأنه عثر على فاتنته الأجنبية التي ستأخذه من (السواد اللي انتو شايفينه)، على حد قوله، وما بين تفكيرها كيف تفتح موضوع أخيها مع (علا)، وتتجاوز مطب حبيبها

المجهول الذي مازالت مصرة على انتظاره.. كل هذا من جهة، ومشكلة (ملك) التي مازالت تتقاذفها أمواج حزنها على وفاة أبيها، رغم مرور ما يقارب الشهرين على ذلك.

ـ "القهوة جـت.."

قاطعت (علا) حبل أفكار (لميس)، فاعتدلت ملتقطة الفنجان منها، وهي تمنحها نظرة شاكرة..

ـ "هي البت دي اتأخرت ليه؟"

قالتها (علا)، وهمت (لميس) بالإجابة، ليقاطعهما صوت جرس الباب، وهو يدق معلنًا قدوم صديقتهم.

ـ "أنا عرفت فيه إيه! عرفت فيه إيه!"

هكذا هتفت (ملك) لهن وسط نهنهتها وبكائها، وهي تمسك بمظروف أبيض أنيق مندفعة خلال باب الشقة إلى داخل الغرفة بعد أن فتحته لها (علا)، لتلقي بنفسها في أحضان (لميس)، وتبكي بمرارة غريبة!

تغيرت (ملك) كثيراً، لقد كانت وفاة والدها هي ضربة المعول التي كسرت جدار ثباتها وقوتها..

متشحة بسواد ملابسها الخارجية التي شابهت روحها الحائرة ظلت تنتفض من حدة البكاء، لتهدئها (لميس) قائلة:

ـ "اهدي بس، إحنا جنبك وحنسمعك وحنساعدك كمان.."

بدأت (ملك) في الهدوء، وكأن حضن (لميس) وكلماتها كانت كالثلج الذي أطفأ نيران الدموع والحزن ثم قالت لهن:

ـ "وأنا بدور في حاجة بابا -الله يرحمه- لقيت الجواب ده.."

ـ "فيه إيه الجواب ده!؟"

هكذا سألتها (عـلا)، لترد عليها (ملك) قائلة:

ـ "علشان أفهمكم الجواب لازم أحكيلكم على قصة كاتب الجواب، الخطوبة الوحيدة في حياتي واللي خلتني أقفل على نفسي بعدها ورا قناع القوة والثقة ده.."

نظرت لها (لميس) و(علا) في دهشة، (ملك) القوية التي تكره الرجال كانت في حياتها خطوبة!؟

ثم نظرت الفتاتان لبعضهما البعض، وهما يشعران بأن قصة (ملك) ستكون غريبة مثلها تمامًا بالتأكيد.

التقطت (ملك) نفسًا عميقًا، وهي تلقي بالخطاب على سرير (علا)، محاولة تهدئة توترها..

ثم بدأت تحكي..

■■■■■■■■■

صديقان كانا..

ثنائي أثار غيرة الجميع في شركة الأدوية التي كانا يعملان بها، لأنهما كانا محترفي نجاح..

ولكن سر هذا النجاح في حقيقة الأمر، هو أنه كان مغرمًا بها من رأسه حتى أخمص أخمص قدميه..

ترى ذلك في كل همساته المبطنة المعنى.. في اهتمامه بها طوال اليوم بحجة العمل.. في نظرة الضيق الصامتة التي تطل برأسها من عينيه حين تلبس ثيابًا ضيقة بعض الشيء، أو حتى تزيد من مكياجها.

كانت (مـلك) في تلك الفترة تتعرض لضغط كبير من قبل والدها الذي كان يتمنى أن يراها قد استقرت في بيت تكون ملكته المتوجة من جهة، ومن جهة أخرى أثار حضورها لخطوبات زميلاتها وقريباتها غيرة دفينة لا تعرفها إلا الأنثى، وهو ما

جعلها تحاول أن تفكر، ولو قليلًا في أن ترضخ لواقع أن زهرة عمرها وشبابها تتسلل من بين يديها في هدوء دون أن تشعر بها، وقد بدأت حقًا تخاف في أن يتجاوزها قطار الزواج السعيد، وهو يترنح بين محطات الفتيات الأخرى، ناسيًا، أو متجاهلًا بإرادته محطتها البعيدة الوحيدة المظلمة.

ولهذا حين أخذ زمام المبادرة في الارتباط بها، استطاع إبهارها بشكل أكثر من رائع ميّزَهُ كالعادة..

لقد كان بالفعل غاية في الذكاء العقلي، والاجتماعي والأنثوي، واستخدم أكثر الأسلحة التي تثير عقل أي فتاة، وتشد اهتمامها وقلبها، رغمًا عنها..

إنه الفضول مجسدًا في أحجية..

وعليها أن تحل هذه الأحجية الصغيرة..

وأن تفـــهم..

■■■■■■■■■■

توقفت (ملك) عن الحديث، وهي تلتقط أنفاسها، ثم التقطت كوبًا من الماء لتطفئ عطش جوفها، وتبرد بالماء حرارة الذكريات، لتقاطعها (عـلا) قائلة:

ـ "يعني إنتي كنتي بتحبيه ولا لأ؟ مش فاهمة!؟"

ـ "لو كان التعلق بحد كويس جه في وقت كان برواز مكانه فاضي وقدر الشخص ده يملاه، فممكن تعتبريه حب.."

ولكن (لميس) اعترضت قائلة:

ـ "بس التعلق لوحده عمره ما كان حب، الحب ده حاجة كده بتحركنا من غير تفكير، ولا أي عامل مؤثر"

ردت عليها (ملك) قائلة:

ـ "بس لو اتقدملك حد بالطريقة اللي عملها دي، لازم تفكري مليون ألف مرة قبل ما تضيعي فرصة زي دي كده من إيدك.. ساعات رومانسية الآخر بتجبرك إنك تحاولي تدخلي في جنته من كتر ما أنوثتك محتاجة تعيش حالة زي دي.."

اتسعت عيون (عـلا) هذه المرة، وهي تسأل (ملك) في فضول متسائل:

ـ "هو قالك إزاي إنه عايز يتقدملك!؟"

تنفست (ملك) نفسًا عميقًا معبأ بالحنين، ثم انطلقت مع ذكرياتها تكمل الحكاية..

حكايتـــه..

■■■■■■■■■

ـ "اختاري ظرف!"

نظرت (ملك) إليه، ثم انتقل نظرها إلى الأظرف الثلاثة التي يمسك بها بيده، وهو يمنحها نظرة مشجعة..

يا له من ذكي! لقد أثار فضولها بالفعل حتى الذروة!

وبيد مرتجفة، وقلب يدق بصوت خُيِّلَ لها أن الجميع يسمع رعده ويري برقه، التقطت أول ظرف ففتحته، لتجد بداخله وردة بيضاء وكارت صغير أنيق أبيض اللون أيضًا كتب عليه بخط يد أكثر أناقة (متخافيـــش)!

نظرت له في تساؤل، لتجده مبتسمًا تلك الابتسامة التي تأسرها دائمًا، ليقول لها معقبًا:

ـ "الوردة دي بنقاء قلبك، ولإني عارف إيه اللي في دماغك دلوقت، علشان كده الوردة بتقولك: (متخافيش).."

كيف عرف هذا!؟

كيف يقرؤها ككتاب مفتوح بهذه الكيفية؟ بهذه السلاسة!؟

يتسلل إلى روحها بلا استئذان، وبثقة تخيفها حقًا..

- "اختاري ظرف تاني.."

قاطعها، وهو يمد لها بالظرفين الباقيين يده المشجعة..

وكأنها مسحورة امتدت يدها لتلتقط الظرف الثاني، وفتحته بيد مرتعشة لتجد داخله وردة واحدة وردية اللون، وبطاقة أخرى بنفس اللون البديع، كتب عليها بذات الخط الأنيق (حطمنـــك)!

ازداد تسارع دقات قلبها.. تشعر بالخوف.. كلا، إنه ليس خوفًا..

ربما هو التوتر.. أو ربما هو إحساس لا تصدق أنه موجود بها بالذات، ربما السعادة!

حقًا لا تدري، إنها ثملة، وتزداد سُكرًا بكل كأس جديد تتجرعه من خمر مشاعره، وجنة إحساسه..

- "الورد اللي لونه وردي معناه العاطفة، وعلشان نشوف إيه اللي غيرنا مخبيه لازم نحس بقلبنا، والإحساس المضبوط ما بيجيش أبدًا من قلب خايف، ولإني عارف ومتأكد إنك خايفة، جربيني.. وحطمنـــك.."

كيف يعرف الوتر الصحيح الذي يعزف عليه تمامًا كموسيقي بارع يعزف أنغامه بروعة على الأوتار!؟

يبدو أنه يفهمها حقًا، يشعر بها جيدًا.. إنه عازف ماهر على آلة الحب التي انكسر الكثير منها وسط قسوة حياتنا..

قاطعها مرة أخرى قائلًا في هدوء معتاد:

- "الظرف الأخير ده مني ليكي.."

ثم ترك الظرف في يدها التي بدأت بالارتجاف بقوة دون أن تستطيع أن تفرض عليها، فيتو السيطرة!

فتحت الظرف الأخير في لهفة حقيقية هذه المرة، لقد استطاع إثارة فضولها مرة ثالثة كالعادة..

داخل الظرف استقرت وردة حمراء اللون يانعة زاهية، جعلت خدودها المكتنزة تتألق مصطبغة بذات لون الوردة، وهي تلقي نظرة على الكلمة المكتوبة بجمال بدا لها كأنها مرسومة باحتراف، وهي تزين البطاقة الحمراء الأنيقة.

(تتجوزيـــــــني؟)..

نظرت له منبهرة، وهي تتجرع كأسًا وهميًا آخر من كل هذا الحب الجارف الطاغي الكاسح المطل من عينيه..

ـ "كنت مراهن نفسي إنك حتاخدي الأظرف بالترتيب الصح زي ما أخدتيها، اعتبرت إن دي حتبقى إشارة من ربنا إني ماشي على الطريق الصحيح، وسواء وافقتي أو لأ، فأنا مؤمن بإن طول ما في حاجة جوانا لازم نقولها.. إحنا بنعيش الحياة دي مرة واحدة ولو عشنا طول عمرنا بنكابر ونخبي، فنستاهل بأة اللي يحصلنا لما السعادة تجري، وتستخبى عننا، لأن السبب دايمًا بيبقى مننا.

ثم نظر إلى عينيها الملونتين، وهو يقول لها، وكأنه يبث كلماته إلى روحها:

ـ "بحبك، ومش مستني ردك دلوقتي، كفاية عليا النهاردة، مؤقتًا، نظرة السعادة اللي في عنيكي دي.. فكري براحتك وحستناكي.."

ثم انصرف في سرعة، تاركًا (ملـك) تتنسم عبير الورود، والتي أسكرتها في حالة جديدة على شخصيتها القوية..

إنه الاستسلام للحب يا سادة.. دعوها تستمتع به قليلًا..

لهذا نرجوكـــم الصمت..

■■■■■■■■■

صمت رهيب ساد بيت (عـلا)، بعد أن أنهت (ملـك) الحديث، لتقطع (لميـس) هذا الصمت صارخة في (ملـك) بتعجب:

ـ "إيه الجو اللي عامل زي حلاوة الواد الممثل التونسي ظافر عابدين ده؟ إنتي إزاي انفصلتي عن واحد زيه؟ الناس دي خلصت من زمان والنعمة!"

ـ "مش بإيدي والله، بس فعلًا الإنسان مبيحسش بقيمة الحاجة إلا لما بيضيعها بغباؤه من بين إيديه.."

قالت (عـلا) موجهة سؤالها إلى (ملـك):

ـ "طب حصل إيه بعدها؟"

ـ "الطبيعي بأة يا (عـلا)، كلم بابا واتقدملي.. ولإن بابا كان شايف إني محتارة، فقعد معاه، وعصره حرفيًا، علشان يعرف هو شاريني، ولا لأ.."

ثم انحدرت دمعة من عينيها، وهي تقول، وقد أثارت سيرة والدها حزنها الدفين بين طيات روحها..

ـ "انتو عارفين بابا -الله يرحمه- طالما وافق عليه يبقى اقتنع فعلًا.."

ربتت (لميـس) على كتف صديقتها، وهي تمد يدها الأخرى لتمسح دموعها في حنان، ثم أردفت قائلة في بطء ومتسائلة:

ـ "أومال إيه اللي خلى موضوع بادئ بالرومانسية دي ينتهي أصلًا بعد ما اتخطبتوا؟ وإيه علاقة ده بنظرة باباكي؟"

احتضنت (ملـك) يد (لميـس)، وكأنها تلتمس منها الأمان، ثم أخذت نفسًا عميقًا..

وانطلقت تحكي من جديد..

■■■■■■■■■

دلف والد (مـلك) إلى منزله في مساء الحادي عشر من فبراير ٢٠١١ ومعالم الحزن بادية على محياه!

كانت مصر في تلك الأيام تحتفل بنجاح ثورة ٢٥ يناير، وتنحي مبارك بعد ١٨ يومًا من المظاهرات، والعنف، والدم، والاعتصامات، والأحداث العديدة التي كانت تحدث على صفيح الوطن الساخن، حتى رحل أخيراَ.

ولكن ما أحزنه فعلًا أنه أدرك مؤخراَ، وبعد فوات الأوان أن ابنته الوحيدة قد بدأت للتو مسار حيرتها!

ـ "عملت إيه يا بـابـا؟"

ـ "إديته حاجته وشبكته.."

ـ "طب وهو رد فعله كان إيه؟"

نظر لها أبوها في حزن، وهو يلقي بما في جيبه داخل درج مكتبه، ثم أغلق الدرج بالمفتاح، وهو يرد عليها في برود:

ـ "مش حيعجبك اللي حتسمعيه في رده، فبلاش تعرفي أصلًا.."

قالت له (ملـك) في ثورة:

ـ "ليه؟ هو كمان كان عنده دم علشان يرد!؟ مش كفاية ١٨ يوم بحالهم مسألش عليا!؟"

ـ "ما هو السؤال بأة إيه اللي يخلي واحد أنا شفت قد إيه بيحبك بنفسي، يقرر ما يكلمش حبيبته كل المدة دي، وفي الآخر لما أكلمه وأقوله إنه ييجي ياخد حاجته -بناء على طلبك- ما يناقشنيش أصلًا، وييجي رغم كل القلق الحاصل اليومين دول، علشان يخلص منك -زي ما قال- بالسهولة دي!؟"

ـ "يعني حكون عملتله إيه يعني؟ يحمد ربنا إني كنت وافقت عليه أصلًا.."

ـ "أهو غرورك ده هو اللي ضيعه منك، وبالمناسبة هوه مأمنِّي أمانة أقولهالك.."

ثم نظر في عينيها، وهو يقول لها، وكأنه يستحضر وقع الكلمات -كما قالها له- على روحه ليبثها إلى روحها:

ـ "مصيرك تفتكريه في الوقت اللي حيكون كل الناس بعدت عنك حسب ظروفهم! تصبحي على خير"

ثم دخل غرفته، وهو يجر وراءه أذيال حزنه، تاركة إياها في حيرة قاتلة..

■■■■■■■■■■

ـ "عملتيله إيه يا (ملـك)!؟"

هكذا سألت (عـلا)، وهي تتبادل النظرات مع (لمـيس) إليها، بينما أضافت (لميـس) مفكرة، وهي تنظر لعين صديقتها (مـلك):

ـ "مفيش راجل بيتحول كده من النقيض إلى النقيض بالطريقة دي من غير سبب قوي، إنتي بس اللي عندك الإجابة.."

نظرت لهن (ملـك)، وقد طفح الحزن من عينها، ثم قالت بصوت بطيء منخفض الصوت مليء بشعور الذنب:

ـ "أهنـت قلبـه!"

ـ "نعم؟ إزاي!"

هكذا سألت (عـلا) لترد عليها صديقتها:

ـ "كنت أنانية جدًا، في إحساس وصل ليه إني كنت بأمن عليه لما وافقت لحد ما في الآخر قالي إني بهينه باللي بعمله، وبطل يكلمني.."

ـ "يعني إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة.."

كان هذا السؤال من (لميـس)..

ـ "القصة دي علمتني إن الحب لو من طرف واحد بيبقى بيوجع أوي.. أنا حبيته آه، بس مع الوقت اكتشفت إني مش عايزة أتجوز، فوجعته.."

ثم أخذت نفسًا عميقًا، واستطردت قائلة:

ـ "في الوقت اللي كان بيقولي بحبك كنت باخدها بهزار، ولما كان بيمسك إيدي كنت بتخانق معاه رغم إني بسلم بإيدي عادي، ومنهم هو شخصيًا قبل الخطوبة.. كان لازم أفهم إن محدش حيستحمل ده.. مفيش حد يقبل إنه يعيش في نهر ناشف من المية.. هو كان مطر غزير، وأنا كنت أرض بور، مفيش منها أمل أو رجا، وده اللي فهمه ووجعه في نفس الوقت.."

ـ "طب وإنتي ناوية تعملي إيه دلوقت؟"

هكذا سألت (عـلا)، لترد عليها (ملـك) قائلة:

ـ "حدور عليه واعتذرله، ويا عالم يمكن يكون من نصيبي تاني.."

ثم التقطت نفسًا عميقًا، وهي تقول في أسى:

ـ "الحب ده غريب، طول ما إحنا فيه ما بنفهموش، ولما يتوه، ويضيع مننا بنبدأ نفهمه أوي لما ييجي بداله فراغ العاطفة، وتفضل الدايرة دي تدور بين البشر، بين ناس تجيلها الناس الصح في الوقت الغلط، أو لما ييجي الوقت الصح بييجي شخص غلط، أو وارد ما يجيش أصلًا.."

ثم قالت، وهي لا تشعر بدموعها المنهمرة في بطء:

ـ "نفسي أشوف نظرة الحب دي تاني.. وحشتني أوي خصوصًا بعد ما بـابـا مات.."

ربتت (لمـيس) عليها، وهي تضمها في حنان، ثم تساءلت من جديد:

ـ "بس إيه اللي موجود في الجواب؟ والأهم بأة إيه اللي خلا عمو -الله يرحمه- يحتفظ بيه!؟"

ـ "معرفش يا (لميـس)، نفسي أعرف إيه إلى خلاه يخليه، أما الجواب بقي فـ...."

قاطع رنين هاتف (لمـيس) حديثهن، لترد (لميـس):

ـ "ألـــو.. آه عند (عـلا)... طيب يا ماما، حجيب دوا بـابـا، وآجي على طول..."

ثم غمزت (مـلك)، وهي تقول لمحدثتها في الهاتف:

ـ "واعملي حساب (ملـك) في الغدا... حتيجي معايا... باي.."

ثم أغلقت الهاتف، وهي تأخذ (ملـك) من يدها، وهما يودعان (عـلا)، مع وعد باللقاء مجددًا لمواصلة الحديث في اليوم التالي..

وهناك على سرير (عـلا) استقر ذلك المظروف المفتوح الذي نسيته (مـلك)..

إنها الرسالة التي كانوا يتحدثون بشأنها، أو كما يسمى باللهجة العامية (الجـواب)..

ربما يحمل بين طياته إلى (عـلا)، و(لميـس) فكًا وحلًا لطلاسم هذا اللغز..

أو على الأقل بعض من..

الجــواب..

■■■■■■■■■■

حدثني عن الغضب..

حدثني عن الحزن حين يصل إلى حد الغرق، وسط دموع تأتي وتذهب بمزاجها دون أي استئذان، لتغرق ذلك الرباط الطبي الأبيض النظيف الذي يحيط وجهي ويغطيه بعد تشوهه!

تعال بقربي أيها العزيز لأحدثك عن صوت الانفجار المدوي الذي انتهى صداه من أذني، ليستمر بدوي أكبر في روحي وعقلي..

من فضلك لا تزحم عقلي بكلام على غرار (كله فدى الوطن) و(إحنا أقوى وحنتوحد ضد الإرهاب) وكل هذا الهراء الذي صممتم به آذاننا طوال هذه السنوات.. فأنا مجرد بشري مهما بلغ درجة تفاؤلي، أو إيماني بهذه الكلمات، وصدقني يا عزيزي حين أقول لك بأن من في الموقف ليس كمن هو في الخارج يمصمص الشفاه حزنًا، أو يلقي بالأحاديث الصحفية، والكلمات المعتادة المحفوظة في هذه المواقف!

فقط أعرف هنا حقيقة واحدة، أن القنبلة حين انفجرت لم تميز بين أحد.. مسلم أو مسيحي، مواطن أو ضابط جيش أو شرطة، طفلًا كان أو بالغ، رجل أو امرأة.. أيًا كانت الفئة اللي كانت في نية المفجر لاستهدافها فإن الدم حين سال، اختلط كله خلف عنوان واحد عريض.

دم مسال مصري..

لقد أخذ الانفجار بأصدقائي الذين كانوا يحلمون جميعًا، بعد أن ثاروا بمجرد حياة طبيعية أفضل..

فقط استوعب إحساس الفقد لأصدقائك وأحبائك، بسبب ألعاب سياسية، ومصالح عفنة جعلت من الجميع، كل في جهته، ضحية لبلد كان مستقرًا رغم الفساد، ثم أصبح هزيلًا حزينًا كغثاء السيل مع الكثير والكثير من الفساد!

حدثني عن هوة بركان سحيقة، مليئة بحمم الآلام، والحزن الملتهبة، حدثت داخل نفسي لتحيل تفاؤلها إلى ظلام.

حدثني عن نفسي المتبعثرة التي كان يملؤها حقيقة البحث عن الذات، والحب، والسعادة داخل وطن لم يعطني منها شيئًا رغم السعي والبحث الدؤوب.

حدثني أيضًا عن اسمي الذي بات يحمل رقمًا في كشف المصابين المتداول في رحاب الإعلام المقروء والمسموع، بينما استأثر أصدقائي بأماكن أكثر براحًا في قائمة الشهداء.

هل نحن من كفار قريش ليحدث لنا هذا؟ ألسنا بشرًا لنا حق بشري في العيش والحياة في أمان!؟

ألا يكفي ما نتحمله يوميًا وما زلنا مطالبين بتحمل المزيد من غلاء وصعوبة في المعيشة، ليزداد عليه هذا الموقف أيضًا، فيجعله ظلمات بعضها فوق بعض!؟

فليذهب كل ما آمنت به في سابق حياتي إلى الجحيم..

كم كنت ساذجًا أسعى خلف تحقيق ذاتي في وطني، ليكيل لي هذا الوطن ضربة في الصميم!؟

لست نبيًا لأملك فضيلة التسامح هذه، وليست مشكلتي من فعلها، من يسعى خلف من، ما غرضه وما أفكاره، من الجاني من البداية وسط نظريات المؤامرة التي غرق الوطن بها، وأحاديث التخوين المفضية للتقسيم والمنطلقة من هنا وهناك.

كل ما أعرفه أنني مجني علي بلا ذنب، وأن أصدقائي وغيرهم الكثير ذهبت حياتهم في مهب الريح، ليخلفوا وراءهم دموع أهلهم، وترمل زوجاتهم، وتيتم أولادهم وبناتهم، والسبب في كل هذا لعبة اختلاف لعينة لا ناقة لهم فيها جميعًا ولي ولا جمل.

لا تسألني ماذا أشعر، فلقد وصلت إلى مرحلة النهاية.

وحان وقت الهجرة..

وبلا عودة..

اسمي (رامـز أيمـن) ضحية لتفجير إرهابي في نظر الجميع..

وضحية لـثورتين رغم أني كنت من أفرادها في نظر أمي..

فاقد للأمل في الأفضل الذي كنا كشباب ندافع عنه ونؤمن به..

ومشوه الوجه واليد والنفس..

بلا أصدقـاء..

بلا حــب..

وبكامل رأيي الشخصي الحر بعد أن انتهى حديث الحرية هنا..

بلا وطــن..

■■■■■■■■■

"الوطن هو تلك الأرض التي يُلْعَنُ كل جميل فيها، والتي تَلْعَنُ كل من يغادرها .. وليس أمامنا إلا أن نختار، فإما أن نشقى فيها، وإما أن نشقى بعيدًا عنها.. وأنا رجل يمقت الوطن، يمقته كثيرًا لذا أنا على إستعداد لأن أتحمل لعنات الدنيا كلها.. ما دمت بعيدًا عنه، ولا يربطني به أو فيه أي شيء"

#أثير_النشمي

#رواية_في_ديسمبر_تنتهي_كل_الأحلام

■■■■■■■■■■

#ويك_إند_إستاتس

لو حد زعلان إني ثُرتْ..
أدينـــي غُرْتْ..
بطلت ثورة وبطلت نـيلة..
وشلت على راسي التقيلة..
ملناش نصيب يا عم نفرح بخلفتنا..
ما يا ترضى بالمركوب يا ترضى بالفتنة..
يا دوب شافوني عريس..
نصبوا الطريق متاريس..
وحاصروا زفّتنـا..
هنداري ليه ونلف.. ونداري في الألاعيب!؟
الاعتراف مش عـيب..
لو كنا شفنا الغـيب..
لا كنا قنْدلنـا.. ولا كنا زَفّتْـــنَا..

#هشام_الجخ

#عتاب_سعيد_برنامج_حكاوينا

#طنطاوية_أونلاين

الفصل الحادي عشر

وداع!!

"كان في صبـــــــي..
يجـــي من الأحـــــراش..
ألعـــــب أنـــا ويـــاه..
كـــان اسـمه شـــــادي.. "

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

الزمان: قبل الكابوس اللعين بعشرة سنوات أو أكثر قليلًا..

حين تنظر إلى حياتك في الماضي سوف ينتابك الذهول لحجم التغيير في شخصيتك وأفكارك، خلال تجاربك، وهو ما تدركه (عتاب) جيدًا.

أنا على أعتاب مرحلة جديدة في حياتي أكتشفها بمزيج من المشاعر المختلطة، ويتصدر هو مشهدها.. شـــادي!

إنه أول دقات القلب بنبض الحب العظيم، قصة الحب الأولى التي تحمل كل شيء متعلق بالمشاعر لأول مرة.. وآه من أول مرة تلك التي لا تنسى أبدًا.

كنا متجاورين في المدرسة، نتقاسم وجبات المدرسة، والمصروف ودقات القلب، واختلاسة اللمسات، واكتشاف العديد من المعاني الجديدة سويًا.

لقد بدأت أمر الآن بأشياء غريبة بالنسبة لي أثارت ذعري كثيرًا.. بدأت حين كنت أستحم في ذلك اليوم لأتفاجأ بذلك الدم الذي يتساقط مغرقًا فخذي ورجلي بلا

توقف.. بكيت كثيراً، وفكرت ألف مليون تفكير في السبب.. قبل أن أضطر لمناداة والدتي التي تعمل ممرضة بالقوات المسلحة، محاولة التماسك أمامها حتى أفهم ما الذي يحدث.

ووسط ذعري، وفرحة أمي بدأت أفهم ماهية هذه المرحلة جديدة..

مرحلة البلوغ..

وآه من بلوغ البنات في مصر فيما سبق، بلا ثقافة البلوغ نفسها!

صوتي صار أرق، وجسدي بدأ يتغير مع الوقت ما بين أجزاء أمامية بدأت بالانتفاخ، والاستدارة في جاذبية، وأخرى خلفية تزداد رشاقة وامتلاء لأختبر بذلك إحساسًا جديدًا بالسعادة بعد أن تجاوزت ذعري واندهاشي من كل ذلك.. ونظرات الأولاد الذين بدأ بعض الزغب يظهر فوق شفاههم، معلنا دخولهم نفس المرحلة أيضًا تشعرني بالغنج، وحتى نظرات البنات لي كثرت بسبب جمالي واللاتي أصبحن يتشاركن نفس المشاعر.

مشاعر الأنثى..

كل شيء يتغير حولي.. ما عدا حبي لشادي..

كنت شديدة التعلق به، نتحدث في كل شيء، ونتعرف على الحياة معًا، كان نافذتي على العالم خصوصًا أنني من ذلك الجيل الذي كان يخجل من حضور درس الأحياء الخاص بشرح الأعضاء التناسلية إياها، والذي يكون ثقافته بنفسه فالأم تخجل من شرح ذلك لبناتها، وبالتأكيد لن أسأل أبي أو أخي الذي يعمل في السعودية منذ فترة قريبة، أو أخي الآخر المتزوج والمستقر مع زوجته في شقتهما القريبة من عمله في قطاع البترول بسيناء.

كان سري، وكنت أرى العالم من حولي بعينيه، وكنت أكتشف نفسي وروحي معه، ونتشارك اكتشاف جسدينا أيضًا!

لا تنسى البنت أبدًا الولد الذي تكتشف معه طعم النشوة، يظل هذا الإحساس معلقًا بها وبجسدها، وشفاهها إلى الأبد، وحتى أفكارها تتلون معه، وتتشكل، وتتحول مع الوقت إلى علاقة تابع بمتبوع يريه كل يوم شيئًا جديدًا.

كان يبدو خبيرًا بكل تلك الأمور، ولا تدري كيف.. معه اكتشفت لأول مرة إحساس احتضان يد حانية جائعة لتفاحة حمراء نضرة ممتلئة في حب واشتهاء، ومعنى غشاء البكارة علامة الحفاظ على الشرف للبنت في مجتمعنا، وأقنعني بأنه طالما لم يخترقه إذًا فهي شريفة، حتى غزواتنا المتبادلة في أراضينا هو مجرد اكتشاف لمشاعر جديدة ممتعة، ورائعة يختلج لها القلب والجسد، وإعادة لتحصيل ما فاتنا من حصة الأحياء المخجلة إياها.

يتحدث معي دائمًا بعد كل ارتعاشة تحدث بعد أن ننتهي من دقائق الاسكتشاف في مخزن المدرسة الثانوية عن الكثير من الأشياء، عن الزواج والأولاد والحياة بعد التخرج والسفر، علمني بأن أحتفظ بإصبع أحمر شفاه زاهٍ اشتراه لي في حقيبة المدرسة، وإن أحتفظ به بعيدًا عن أعين أهلي، وأضعه له حين نلتقي وله فقط، وكنت أتحدث معه في أدق تفاصيل حياتي بغير خجل وهو ما لا أجيده خارج حياتي معه، لدرجة أني سمحت له بأن يعلمني كيف أختار ملابسي الداخلية، لتنال إعجابه، وتظهر أنوثتي الطاغية، كيف أهتم بنعومتي الشخصية، وبشعري الطويل، وكيف أجعله منسدلًا أمامه، لأنه يحبه، ويقبله كثيرًا.. ومعه دخنت أول سيجارة في حياتي، وأخذت أول نفس مشترك، ومتبادل بالفم قبل أن أصبح محترفة بعد ذلك.. خرجت معه وسافرت خارج طنطا، جعلني جريئة في كل شيء وعرفت معه أيضًا طعم دخان الشيشة.

الغريب أنني لا أدخن إلا معه فقط، لا أشعر برغبة في عمل أي شيء خارج علاقتي به، وعلمني كيف أحتفظ بكل هذا سرًا بعيدًا عن أهلي، كان كالخمر الذي أشاهده في الأفلام.. حاولت أن أكون له (روز) في فيلم تايتنك الذي كان عنوان مرحلتنا، والذي أعشقه كثيرًا، لأنه كان لي رائعًا كبطل الفيلم (جاك).

ولكنني فجأة بدأت أشعر بأنني لست على ما يرام.. كنت قد بدأت الاهتمام بالمذاكرة، لأن وقت الامتحانات قد اقترب، حين شعرت بثقل في رأسي ودوخة شديدة، عللت هذا وقتها بأنه بسبب السهر والمذاكرة المتواصلة، لكن هذا كان البداية، وبدأ الموضوع يتفاقم أكثر وأكثر يومًا بعد يوم.

بدأت أشعر بالبرد الشديد حتى الارتجاف رغم أننا في عز الصيف، وفي نفس الوقت بدأ جسدي يعرق بشكل مبالغ فيه، قيء يزداد يوميًا وبدأ وزني يقل، ووجهي يذبل ويشحب فاقدًا نضارته وجماله، فقدت الوعي في المدرسة أكثر من مرة، انتشرت الآلام في عظامي وجسدي كاملًا، دون أن أعرف السبب.

وهنا بدأ الفأر يلعب بعبي كما يقولون، وبدأ ناقوس الخطر يدق في رأسي!

معقول أن أكون حاملًا!؟ يا لها من مصيبة..

كيف سأتحقق من هذا؟ وماذا سأفعل إن حصل بالفعل!؟

بالتأكيد سأهرب معه وأتزوج، من المؤكد أن شادي لن يخذلني خصوصًا أنه يحبني ويحب جسدي..

أجل.. من المؤكد أنني حامل، فقد كنا نتبادل القبل أنا وشادي كثيرًا، وأنا سمعت البنات في الفصل يقولون أن القبل من الممكن أن تتسبب في الحمل!

تحدثت مع شادي وصارحته بشكوكي، لكنه سخر مني وأخبرني باستحالة حدوث ذلك، بل وحتى رفض أن يصحبني لإجراء الفحوص، وهو يقول لي أنه لم يجبرني على شيء!

لم أصدقه ربما لأول مرة في حياتي، وقررت أن أتأكد بنفسي مجنبة صدمتي في رفضه القدوم على جنب.. لقد أخرج الخوف من الفضيحة جرأة داخلي لم أعهدها من قبل.

وهكذا كسرت حصالتي، وأخرجت كل المال الذي أحتفظ به من مصروفي، وذهبت إلى مستشفى خارج طنطا حتى لا يتعرف علي أحد، وأجريت صورة دم

كاملة، قال الدكتور إنني سأستلمها بعد أسبوع، فأخبرته بأن زوجي سوف يستلمها حتى لا يشك فيا إن كنت بالفعل حاملًا.

لكنني بعد يومين فوجئت بنزول الدم الشهري أبكر من وقته بيومين معلنًا زوال هذا الاحتمال.. وبداية دائرة جديدة من القلق مع تفاقم الوضع وزيادته سوءًا.

وحين حصلت على التقرير بدا الدكتور قلقًا، وهو يطلب مني المزيد من الفحوص.. وبعد دائرة كثيفة من الفحوص، وإخباري لأهلي بأنني مريضة.. ظهرت الحقيقة أخيرًا..

إنها اللوكيميا أو سرطــان الدم كما يطلقون عليه!

وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياتي مغلفة بالدموع في عيوني، وعيون القريبين من حولي..

الخوف من الموت.. ومن الغد.. ومن شـــادي!!

حين أخبرته بحقيقة مرضي بدأ يهرب مني ولا أدري لذلك سببًا، حتى قال لي ذات مرة بأنه لن يستطيع أن يكمل حياته مع شخص على وشك الموت (كما قال). من وسط دموعي ذكرته بوعده لي بالزواج وبحبنا، لكنه فاجأني برده حين قال أنه حتى لو كان يحبني، فهو يريد أن يتزوج بنتًا (ببرشامتها) لم يلمسها أحد، لا تدخن حتى لو كانت هذه اللحظة معه، يريدها عكسي تمامًا.. أشعرني أنني كنت عاهرة، عاهرته التي كانت لمزاجه فقط، وأنني كنت دمية لعب بها حتي ملها.

تركني وابتعد عن حياتي بلا اختيار مني، هاتكًا بذلك بكارة أحلامي معه، وثقتي بنضجه التي باتت قولًا بلا عمل، وجاءت الطامة الكبرى حين علمت بالصدفة أنه كان مرتبطًا بفتاة أخرى معنا في المدرسة أثناء علاقتنا، لقد كنت أحب ممثلًا استغل قلبي وجسدي باقتدار.

قررت أن أقاوم السرطان، وأعيش فقط عندًا فيه، وبدأت مراحل العلاج القاسية أكثر مما أتخيل..

السرطان ليس مبهجًا كما صوره الإعلام والإعلانات فيما بعد، إعلامنا رائع ككل شيء في مصر، اختزل السرطان، وقدمه للناس كمرض رمضاني يطل برأسه بحثًا عن التبرعات أثناء تناولهم لطعام الإفطار، وإظهار مريضه بأنه يستحق الشفقة مدمرين بذلك الإرادة النفسية التي يلزمها هذا المرض كي يقهر.

ألا لعنة الله على من تسبب باكتساح مرض السرطان لمصر كبارًا وصغارًا، سواء كان بقمح أو بأسمدة مسرطنة جعلتنا نتبوأ منزلة متقدمة وسط الأمم في انتشار السرطان على خريطة أمراض العالم.

ألا لعنة الله على من تسبب في ذلك الألم المصاحب لرحلة العلاج الكيماوي.. ذلك العلاج الذي يأتي مغلفًا بورق قصدير تماما كساندويتشات الشاورما التي كان يحضرها لنا أخي معه من السعودية، ومتسللًا إلى عبر الأوردة ليدمر الخلايا السرطانية وغير السرطانية على السواء!

وحين سقط شعري الطويل الذي أحبه بكيت كثيرًا، فقدان المرأة لشعرها الذي هو تاجها يدمرها نفسيًا بالفعل، ووسط دموعي وآلامي أثناء أحد الجلسات لمحت بجواري فتاة تقرأ!

لا أدري لماذا.. لكنني قررت أن أفعل مثلها.. ربما لأني أبحث عن وسيلة تنسيني السرطان، وتنسيني شادي.

هكذا اكتشفت أن هذا العالم المسمى عالم الكتب حتى عشقته وعشقني، أعطاني من أفكاره وتجاربه وأعطيته من وقتي وعقلي وقلبي.

توحدت مع عوالم نبيل فاروق لأتعلم مفاهيم جديدة عن الحب، قرأت رجل المستحيل وملف المستقبل وزهور وكوكتيل ٢٠٠٠، واكتشفت أثناء ذلك عبقريًا آخر اسمه أحمد خالد توفيق نسيت مرضي مع شخصيات عالمه، رفعت إسماعيل، وعبير عبد الرحمن، وعلاء عبد العظيم، قرأت لمصطفى محمود، وغيره، ما

جعلني أقر بأن مرضي لم يكن محنة، ولكنه كان منحة غيرتني، وأكسبتني نضجًا سبق عمري بمراحل.

تجولت في الأدب المصري والعالمي بين إحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ، قرأت شعر نزار قباني، وفاروق جويدة، وقبلهم صلاح جاهين، شكسبير، وديستويفسكي، وحكم كونفوشيوس، وغيرهم، ومع مرور الوقت، والعلاج الكيماوي، والإشعاعي أخبرني الأطباء بخبر طال انتظاري له.

لقد شفيت من السرطان..

شفيت بعد أن استنزف المرض جسدي، ومال أسرتي الذي ساهم وجود أخي في الخارج كثيراً في تحمل أعباء ومصارف العلاج باهظ الثمن، ما جعلني أتساءل لو لم يكن معنا المال الكافي هل كنت سأستمر في الحياة!؟

صحيح أنني مازلت خاضعة لعلاج وقائي طويل المدى، وأن احتمال رجوع السرطان لي وارد بشكل كبير، لكنهم قالوا لي بأن ذلك يختلف بين شخص وآخر، وقد يكون حظي أفضل من الجميع.

قررت أن أعيش بفكر جديد، وأن أستمر في اكتساب الخبرات مهما كانت التناقضات.. علمني شادي بعد هروبه الجبان ألا أسلم نفسي إلا لمن أتأكد أنه يستحقني، والأهم من هذا أن يحترم ما أقدمه له، أن أحترم الصراحة حتى لو لم تكن على هوى نفسي، فالكذب بلا أقدام ولا يقيم حبًا، علمني أن أبحث عن النضج أينما كان ومهما كانت التضحيات.

كما علمني السرطان أن الله لا يأتي إلا بالخير، نحن في الحياة كعرائس الماريونيت مرتبطة بخيوط القدر، يحركها الله سبحانه وتعالى بمقدار، وله في كل شيء حكمة لا نكتشفها إلا في الوقت المناسب الذي يقدره الله لنا.

لن يشعر بألم مريض السرطان إلا مريض مثله.. ولن يشعر بألم فقدان الحبيب إلا من مر بذلك..

ربما شفيت أنا وجسدي من السرطان في الجولة الأولى، لا أعلم إن كان هناك جولات أخرى أم لا ولكنني مستعدة لها تمامًا لو جاءت.. لكنني لم أشف أنا وقلبي بعد منه حتى مع كل التجارب التي خضتها بعد ذلك بزمن سواء كان بزواج أو ارتباط بمتزوجين أو غير متزوجين.

ما زلت أنتظر أن أتحرر منه كما تحررت من السرطان رغم قسوته..

وأن أشفى منه.. من شـــادي..

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

"عندنا حياتان، تبدأ الثانية حين ندرك أنه ليس عندنا غير واحدة.."

#كونفوشيوس

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

تثاءبت (عـلا)، وهي تنظر إلى الساعة التي شارفت على الواحدة بعد منتصف الليل..

لقد كان يومًا طويلًا بحق.. هكذا فكرت (عـلا)، وهي شاردة في (ملـك)، وما قالته، واعترف به لسانها منذ بضع ساعات.

اتجهت إلى المطبخ، وامتدت يدها لتفتح الثلاجة ملتقطة زجاجة مياه باردة، ثم فتحتها وألقمتها لفمها، وهي تَعُبّ منها حتى ارتوت، ثم وضعت الزجاجة، واتجهت بخطوات ناعسة إلى سريرها.

لا تستطيع (عـلا) أن تفهم كيف فرّطَتْ (مـلك) في رجل كهذا، وهي التي على استعداد أن تنتظر العمر كله من أجل لحظة سعادة من الماضي..

ثم لمحتـــه!

لقد نسيت (مـلك) الظرف الذي كانت تمسكه صباحًا على سريرها، وانصرفت..

وبهدوء امتدت يد (عـلا) لتلتقط الظرف، وقد حمل لها قيمة معنوية مهمة.. فبداخل هذا الظرف مشاعر رجل، رغم أنها لا تدري نوعها، ولكنها تحمل جزءاً منه بلا شك..

يقتلها الفضول لتقتحم ما بداخل الظرف، حقًا إن فضول الأنثى قاتل ولا يقاوم..

لا بأس، سوف تلقي نظرة سريعة، ثم تحتفظ به لتعطيه إلى (ملـك) صباح اليوم التالي، وستسمع باقي الرواية، وكأنها لا تعرف شيئًا.

وهكذا امتدت يدها لتلتقط الورقة، وفتحتها لتشبع فضولها، ثم بدأت عينيها تجري في سرعة على أول سطر بنهم..

وبدأت تقرأ..

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

"وأنا في حياتك نار تتراقص في نشوة، أتعلمين لماذا!؟
لأنني وبصدق أنتظر وقودك الذي يزيدني اشتعالًا..
وأحـــبكِ.."

إمـــــــــضاء

قـــــاهر المستحيل من أجلكِ

ديسمـــبر ٢٠١٠

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

أغلقت (عـلا) الخطاب، وهي لا تكاد تصدق ما تراه عينها!

لقد طُعِنَت في الصميم.. لقد كانت واهية..

امتدت يدها للدرج المجاور لسريرها، وهي تخرج كرتًا صغيراً قرأت ما فيه بنظرة متأملة، ثم أعادت قراءة خطاب (ملـك) من جديد..

مستحيل.. إنها تحلم بالتأكيد!

مستحيل أن يكون هذا واقعًا..

هل تتصل بـ(لميـس) لتخبرها!؟

امتدت يدها لهاتفها، ولكن سحابة من الدموع ارتفعت لتغطي عينيها.. وروحها..

وبعصبية ألقت بالخطاب، والهاتف، والكارت فوق بعضهم، وهي تسمع نبضات قلبها تدق في دماغها بنفس قوة هذه المفاجأة.

تحتاج إلى الهروب، تحتاج إلى النوم.. أين وضعت هذه الحبوب اللعينة!؟

ها هي ذي..

امتدت يدها، وابتلعت حبتين من الشريط، ثم أغمضت عينها، وحاولت النوم، وهي تشعر بكل جسدها ينتفض.. لا أريدك أيها التفكير، ابتعد عني..

قامت لتلتقط حبتين أخريين تناولتهما في نهم، وهي تحاول تمالك أعصابها، وكل ما يسيطر عليها هو أن تهرب من كل هذا لتنام..

مهما كان الثمـن..

■■■■■■■■■

ارتفع رنين هاتف (لميـس) بشكل متواصل مزعج أيقظها من استمتاعها بالنوم الذي كان جسدها بحاجة إليه..

لمحت اسم (إيمـان) على شاشة هاتفها، ألقت نظرة على الساعة التي تشير إلى الحادية عشر صباحًا، ثم بصوت ناعس ردت على الهاتف قائلة:

ـ "صباح الخير يا (إيمــو).."

ـ "(لميــس)، الحقينــي!"

الكثير من الصرخ يدوي في خلفية المكالمة، وساهم مع بكاء (إيمـان) في جعلها تنتفض من سريرها معتدلة، لتسأل (إيمـان) وقد حمل صوتها كل ما في الدنيا من قلق، وقلبها ينبؤها بأن هناك مصيبة على وشك الحدوث:

ـ "إيه يا (إيمـان) فيه إيه!!؟"

ـ (عـلا) يا (لميس)... (عـلا)..."

ـ "مالــها!؟"

اللعنة على كل هذا الصراخ، لتجيبها (إيمـان) وهي في حالة إنهيار كامل بكلمة واحدة زلزلت كيانها..

ـ "انتحـــــرت!!"

◘◘◘◘◘◘◘◘◘◘

" تقدري تستلمي شغلك من بكرة يا آنسة (عــلا).."

◘◘◘◘◘◘◘◘◘◘

ثم وكأنها لم تجد ما يقال ارتمت في أحضان صديقتها، وهي تقول في أذنها همسًا:

ـ "بحبك أوي.. وشكرًا على كل حاجة عملتيها علشاني.."

ثم ازدادت ضمتها لصديقتها في إحساس غاب عنها كثيرًا..

إحساس الأمــل في الحياة..

والفــرح..

◘◘◘◘◘◘◘◘◘◘

سيعرف قيمتها يومًا ما مهما طال الزمان.. وسيأتي..

وتعرف حقيقة واحدة تلمع في حياتها كضي البدر في السماء..

أنها لم تستطع كراهيته..

وأنها ستنتظره..

حتى النفس الأخـير..

■■■■■■■■■■

- "كلامك مريح أوي يا (عتـاب).. طب تفتكري أفضل مستنياه لحد إمتى؟"

- "لحد ما ربنا يبعتلك إشارة.. بس الفكرة بأة إنك تكوني متقبلة الفقد أو التمسك.. وإنتي وقوتك ساعتها.."

- "طب تفتكري إن أنا أوفر في الأفكار دي؟"

- "لأ خالص، بس زي ما شرحتلك مش الكل بيشوف الصورة من زاويتك.. إنتي بس ممكن

تكوني ضعيفة شوية، وحالمة، وده ممكن يتعبك في مفرمة الحياة اللي إحنا فيها دي.."

■■■■■■■■■■

- "ماشي بس الإحساس ده خطر جدًا، لإن لو إنتي هشة ممكن ده يخـــــلص عليكي أصلًا، أو حتى يوصلك إنك تخـــــــلصي على نفسك بإيدك.."

صمت ثقيل مفعم بأنفاس خانقة..

- "تفتكري روميو وجولييت لما انتحروا حسوا بإيه؟"

■■■■■■■■■■

موعد الوفاة: الساعة الخامسة فجراً.

سبب الوفاة: بعد تشريح الجثة من قبل الطب الشرعي تبين أن سبب الوفاة توقف في عضلة القلب، نتيجة جرعة زائدة من الحبوب المنومة، والتي قد ترجح بشكل واضح فرضية الانتحـــــار .. هذا وقد صرحنا بتسليم الجثة إلى ذويها، والتصريح بإنهاء إجراءات الدفن..

■■■■■■■■■

مشهد مهيب حقًا..

(عـلا) ذات الحيوية والطاقة والفرح، سكنت صندوقًا خشبيًا محمولًا على الأكتاف، في طريقه إلى مثواها الأخير..

وإلى الأبـــــد..

جنازة اختلط فيها السكون بالعويل، والتكبير، والدعاء، بالحزن، والبكاء...

مسيرة تشق الطرق ما بين القبور والأضرحة، يتقدمها جسد (عـلا) المسجى، والملفوف بكفن أبيض نقي بلون قلبها الذي عاشت وماتت به، يتبعه الرجال، ثم يأتي بعدهم النساء بردائهن الأسود الذي لف أجسادهن حزنًا على تلك الوردة الذابلة في قلب توقف حاملًا لغزًا للجميع!

وبخطوات متثاقلة كانت (لميـس) و(ملـك) و(إيمـان) يحملن مشاعر مختلطة تختلف عن الجميع..

لا يستطعن التصديق بأنها ذهبت هكذا في لحظة خاطفة، وبلا رجعة..

وحدها (ملـك) كانت تتجرع مرارة الفقد مرة أخرى بعد والدها في فترة قصيرة، وهي تشعر بأنها تعبت من لعنة الموت تلك، وتجول عزرائيل حول أحبائها الواحد تلو الآخر.

يا أيها الموت الذي يأتي إلينا بلا إنذار أو ميعاد لتخطف أحباءنا والمقربين إلينا، رفقًا فإنك تكسر قلوبًا، وتحمل الحزن لتزرعه بأشواكه في نفوسنا، وأرواحنا، وحياتنا.

ارتفع صوت التكبير، والتهليل لله وحده، والرجال ينزلون جثمان (عـلا) حتى يواروها بين التراب إلى قبرها، ومثواها الأخير.

يدفنون جسدها.. ماضيها بمشاعرها.. حبها وكرهها.. فرحها وغضبها.. ابتسامتها ودموعها.. إحساسها وإخلاصها.. وسرها الذي أودى بها لظلمة الروح، والتي كانت هي البوابة إلى القبر.

"اذكروا محاسن موتاكم، وادعو للمتوفاة ولكل الأموات بالرحمة والمغفرة.."

أحدهم قال ذلك وهم يدفنونها، لا يعرفون أنها كانت ذات محاسن فقط، فلا مساوئ تخرج من مثل هذا القلب الطيب الطاهر النقي.

ووسط البكـاء، والدموع الغزيرة، والحزن الذي سكن قلبها، قررت (لميـس) أن تذهب إلى بيت (عـلا) -رحمة الله عليها- وتفتش غرفتها جيدًا، حتى تعثر على سبب ما قد حدث.

تشعر في قرارة نفسها بأن هذا له علاقة بقصة حبيبها الذي كانت تنتظره، لا تدري ما سبب إحساسها هذا، ولا تدري ما الذي حدث بالفعل..

ولكنها لابد أن تبحثَ عن دليل يفسر ما حدث..

لابد أن تتقصى..

وتفـــهم..

■■■■■■■■■

جلس (حسين) شاردًا، وهو يتأمل مياه الخليج الساكنة الهادئة، التي تحتضن دبـي بحب جارف زادها جمـالًا..

يحتاج إلى الجلوس وحيدًا.. يحتاج إلى التفكير العميق، خصوصًا بعد مكالمة (لميـس) التي كانت حزينة لفقد صديقتها المقربة (عـلا).. كان يعلم أنها كانت تخطط لأن تزوجـها له، حتى يعود إلى مصـر، ليعيش فيها بقربهم كما يتمنون.

يظنون أنه قد قتل وطنه بداخله حين خرج، ولكنهم لا يعلمون أن الوطن دائمًا هو فكرة وعشق لا ينتهي أو يموت.

كما أنه تذوق طعم الحب على الطريقة الأجنبية، والحق يقال أنها طريقة مميزة للغاية أنسته ماضيه، وحملت له مستقبلًا يراه، ويشعر به، وبأنفاسه العطرة ترطب روحه وقلبه.

لقد رأى الكثير هنا على نفس حالته، الكثير من المصريين المغتربين كُسِرَت قلوبهم وفقدوا حبًا ما، فقرروا السفر ليبحثوا عن ذاتهم، ليجدوا في الخارج عكس ما رأوه في مصر يشدهم إلى البقاء، وهنا يقررون أن يعيشوا ويقطعوا علاقتهم بكل آلام الماضي وذكرياته.

الكثيرون في دبـي متزوجون بمختلف الجنسيات، مرورًا بأوروبا، وروسيا، وجنسيات عربية كسوريا، ولبنان، وحتى الفليبينيات، كلهن أثبتن أنهن أقدر على الحفاظ على الرجل من بنات بلدهم.. فالعلاقات هنا واضحة وضوح الشمس لا خلط بينها ولا لبس فيها. وما بين من فقد حبيبة، أو فقد أبًا أو أمًا، وبين من فقد إحساسه بالوطن، أو هكذا يحاولون التظاهر، يتكون من كل ذلك ذلك اللقب..

لقب الطيور المهاجرة.. أو المغتـرب..

وهو للأسف بعد ما حدث له في مصر يعتز بهذا اللقب كثيرًا..

صحيح أنه يفتقد دفء عائلته، لكن حينما يطاردنا الماضي بقسوة ذكرياته، يحلو طعم الهروب ونيل فضيلة البدء من جديد..

وهو رأى الكثير والكثير بالفعل..

حب بلا إخلاص حطم حياته، ووطن ظروفه دائمة التغير لدرجة أنه وغيره لا يستطيع حتى التخطيط لمستقبله فيه لمده أسبوع واحد فقط فما بالك بمستقبل!

بالنسبة له وطنه أصبح بلا مستقبل واضح المعالم، وهذا ما حمله هنا..

ولكنــه سعيــد للغايـة..

وسيبقى ليبني حياة جديدة مع تلك المعشوقة أجنبية الدماء التي اختارها قلبه..

وسيبقى في دبـي، أو أي مكان آخر، محاولًا أن يتناسى مصرية دمـه..

كل ما يبغيه هو أن يحيا حياة سعيدة يغزوهـــا الفرح..

أن يحيا حياة واضحة المعالم..

وآدميـــــــة..

فقط لا غير..

■■■■■■■■■

اتجهت (لميـس) نحو باب الخروج من بيت (عـلا) -رحمة الله عليها- وهي تودع والدتها، مواسية لها ببضع كلمات تعلم

أنها في مثل هذا الموقف لا تسمن ولا تغني من جوع.

كانت قد قررت البحث عن حل اللغز في غرفتهـا، وهكذا ذهبت بعد الجنازة مع والدة (عـلا) وإخوتها، بحجة أنها تحتاج إلى أن تجلس في غرفة (عـلا) قليلًا.

ولأن أم (عـلا) أحست فيها برائحة ذكرى (عـلا) الزكية وحبها، فقد سمحت لها بذلك عن طيب خاطر.

وهكذا قتلت (لميـس) غرفة (عـلا) بحثًا وتمحيصًا في كل جزء وكل ركن منها..

قاسٍ هو هذا الشعور.. أن تبحث في أسرار وأغراض شخص قريب منك، أصبح ماضيًا في لحظة.. غرفتها كانت تحمل هيبـة الموت، وشعرت (لميـس) بأن روح

صديقتها معها تحاول أن ترشدها.. جمعت الكثير من الصور، والكروت الخاصة بهدايا كانت تلقتها (عـلا) في مناسبات مختلفة، وجدتها محتفظة بها في دولابها، وفي درج بجانب سريرها.

ولكنها وسط هذا أيضًا وجدت أهم مفتاحيـن قد يحملان التفسير الذي تبحث عنه..

هاتف (عـلا) المحمول..

ومظروف أنيق أبيض تعلم جيدًا ما هو.. كيف جاء إلى هنا!؟

إنه الجواب الذي نسيته صديقتها (مـلك) هنـا..

ذلك الجواب الذي يحمل إمضاء بقصة غريبة..

وأحجـــية..

■■■■■■■■■

الفصل الثاني عشر

الـــــدائـــــرة

" فمهما طالت الحياة لابد من يوم تحتاجين لحب صادق، صاف، مفعم برائحة الإخلاص، ونكهة الأمل، ونشوة السعادة، وإحساس الأمان، ولكن السؤال هو حين يأتي الشخص الذي يعطي هذا بصدق، هل ستفهمين؟ أم ستجبركِ الدنيا على فهم هذا بطريقتها الفريدة القاسية؟ "

■■■■■■■■■■

انهارت (لميس) كما لم تنهر هكذا في حياتها من قبل!

ونزلت دموعها غزيرة كمطر الغابات الموسمية كما لم تنزل من قبل..

تحطمت أمواج شخصيتها، وثقتها، وقوتها على صخرة الحقيقة القاسية..

وحدها تعرف.. ووحدها تفهم..

ووحده رب الكون هو من جعلها هي، وهي بالذات تصيب كبد الحقيقة، لتصيبها بدورها في مقتل..

إنها عدالة السماء التي تمهل، ولا تهمل أبدًا..

حين أمسكت (لميس) الخطاب، وقرأته أحست بأنها تشعر بكل كلمة فيه، وكأنها موجهة لها أيضًا..

هي أيضًا تشعر بفراغ (ملك) العاطفي، وتفهمه جيدًا..

ولكن مهلًا!

وسط هذا الخطاب وجدت بطاقة صغيرة، كتب عليها بخط مميز أنيق:

«بحبَك يا بريئتـي»

وكانت ممهورة بإمضاء غريب حقًا، ومثير للاهتمام في الوقت ذاته!

«حبيـب بريئتـي»! وقد كانت تحمل تاريخًا قديمًا، ولكن ليس هذا ما لفت نظرها، وأثار اهتمامها..

ما لفت نظرهـا هو التشابه المريب بين الخطاب، والكارت في طريقة كتابة كلمة (بحبَك)..

نفس الخط والأسلوب، في مزيج بين خطي النسخ والرقعة بشكل رائع مرسوم، ينم عن خطاط ماهر يجيد إستخدام قلمه جيدًا، بحرفية وفن..

واتسعت عيناها وهي غير مصدقة، وقد ارتسم آخر السيناريوهات المحتملة والخيالية في عقلها!

هكذا فهمت لماذا تحب (عـلا) صديقتها (ملـك) بهذا الشكل..

لأن القلوب تتآلف، ولهذا فقد جمعهما مشترك واحد..

حبيبهما!

لقد أحبت الفتاتان، وارتبطتا في مرحلتين مختلفتين من حياتهما بنفس الشخص!

ولهذا انتحـرت المسكينة (عـلا)..

لم تتحمل هذه البريئة فكرة أن ترى وتقرأ خطابًا، يناجي ويرجو فيه من تحبه وتعشقه أنثى أخرى لتبقى معه، ويقول لها كم يحبها ويعشقها في نهاية الرسالة، وهي التي ظلت مؤمنة بأنه سيرجع لها، بل والأدهى أنها رسميًا، وفعليًا أوقفت حياتها عليه!

يا إلهي.. أيعقل أن يكون هذا هو السيناريو الذي يحمل الحقيقة الكاملة!؟

لقد كانت (عـلا) ضعيفة كمولود صغير، هشة كوردة نبتت لتوها، ولهذا مع هذه الجرعة العالية من الحبوب المنومة، وحالة قلبها الضعيف، وضغط أمها، ومجتمعها القاسي لتتزوج، وإخلاصهـا الذي بات هباءًا منثورًا، لم تتحمـل.

تراها (لميـس) في خيالها بعين خفيـة، وهي تأخذ القرص وراء القرص محاولة النوم دون فائدة، وقلبها يكتوي بنار مرارة الحقيقة.. لم تفهم المسكينة حتى أنها تمـوت، لأنها قد ذهبت في سبات عميق أبدي، بينما ظن الجميع أنها انتحرت!

ولكن لماذا تشعر (لميـس) بأن هذا الخط مألوفًا بالنسبة لها!؟ وبأن للقصة بقية أكبر من ذلك!؟

إنها يد الله تحرك تلك الأقدار، وحين تتدخل إرادة الله فإنها تعني خيارًا من اثنين، إما أنه لإيضاح ظلم ما أتبعها دعوة وقت إستجابة، أو لتوضيح شيء كان صحيحًا، ولم نشكره عليه، فأراد الله أن يريها للشخص حقيقة، لا لبس فيها، كنور الشمس وقت الظهيرة.. فالأيام دُوَلٌ كما كانوا يقولون، وكما تؤمن دائمًا.

وما زالت الأحجيـة مشوشة كضبـاب لندن!

هكذا وبقلب يكاد يتوقف من عنف وقوة دقاته، امتدت يد (لميـس) المرتعشـة إلى هاتف (عـلا) وهي تشعر بأنه يحمل جزءًا مهمـًا من الأحجيـة!

بحثت مطولا في صبر بين الرسائل، والأسماء، والفيديوهات، وحتى بحثت في كل حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي، ثم اتجهت إلى استيديو الصور حتى وجدت ما تبحث عنه.

صورة قديمة تبدو أنها التقطت من كاميرا هاتف قديمة، قبل أن تصل دقة التصوير ما وصلت إليه الآن.

شخص ما يحتضن (عـلا) من ظهرها في صورة تجمع العديد من الأشخاص، وكأنها في رحلة أو ما شابه ذلك، وهي تنظر له في حب واضح، من حميمية الصورة، ولأن (عـلا) كانت فتاة (خـام) كما يقولون فمن المؤكـد أنها صورته!

ولأن الصورة مشوشة، وتحمل عدداً كبيراَ من الأشخاص المتجاورين، والمتراصين في ثلاث صفوف فوق بعضهم، وكأنهم واقفين على سلالم أو شيء من هذا القبيل، حاولت (لميس) تقريب الصورة وإظهارها أكثر باستخدام برنامج تعديل الصورة على الهاتف..

وظهرت صورتـه..

وانكشفت حلقة جديدة من الأحجـية..

وليت هذا لم يحدث!

■■■■■■■■■

" ما زلت أنتظر إشارة من قلبك الصغير تؤكد لي بأنني على صواب، ما زلت أنتظر لكن وبصدق أقول لكِ بأن لا رجل يطيق الانتظار طويلًا"

■■■■■■■■■

ظلت (لميـس) تضحك بهستيريا، ودموعها تتساقط غزيرة في نفس الوقت، معلنة عن ما يعتري قلبها من إنفعال، وهي تنتفض كورقة في مهب الريح في يوم عاصف، وقد تعلق نظرها بالرسالة، والكارت.. والصورة!

ترى الآن الصورة كاملة.. والآن تزداد فهمـاً..

وليتها لم تفهـم..

بمنتهى البساطة لقد أحبت (عـلا) و(ملـك) نفس الشخص..

وهذا الشخص الذي أحبتاه هو ببساطة قصة حبها الأولى والأخيرة حتى هذه اللحظة!

لقد كانت هي المرادة منذ البداية في هذه الدائرة التي تديرها أقدار الله.. هكذا تؤمن وتعتقد..

لهذا تآلفت قلوبهن، وصرن كيانًا واحدًا بشكل سريع، لهذا يشبهن بعضهن!

وانهمرت الدموع غزيرة، وهي تتذكر قصتها أيضًا معه.. كيف كانت تحبه بمنتهي العنف والشراسة كما كان يحلو له أن يخبرها.. وكيف استطاعت بحنانها أن تسبر أغواره بهدوء وحب..

تتذكر كيف قال لها بأنه في حياته السابقة قد خطب مرتين، وكعادته الدائمة لم يذكر لها أو يتحدث عن أي تفصيلة صغيرة كانت أو كبيرة من تفاصيلهن، ما زاد احترامها له، لكنه قال لها بأن الأولى هي ذنبه، وهي التي تطارد هدوءه، وسلام روحه، وتؤرق منامه، وتقض أحلامه.. كان دائمًا يشعر بأنه أذنب في حقها، ويؤمن بأن هذا الذنب سوف يأتي شخص ما في حياته ليرد ما فعله.

كان ينتظر القصاص الرباني بكل التفاصيل التي حدثت لها وقته وبعده!

وقال لي بأن الثانية أهانت رجولته حين قالت له بأنها لا تراه بالنسبة لها رجلًا مكتمل الرجولة! ولقد كان السبب تافهًا للغاية، فهي -كما قال- كانت تريد رجلًا مفتول العضلات رياضي القوام، ولهذا فغير هذه البنية التي ترى مثلها في الأفلام والمسلسلات التركية التي هوست جيلها في ذلك الوقت لا تمثل لها رجولة مثيرة!

فقط أنا، وأنا وحدي الآن أعرف، لقد كانت مجرد حجة للتخلص منه، وطرده من حياتها بلا أي أساس.

قال لي أيضًا بأنه حين كان يحاول أن يبثها حبه وغرامه بلمس يدها في يوم ما، فعلت أغرب شيء ممكن لأنثى يحبها رجل أن تفعله..

لقد أفرغت ما في جوفها عليه بشكل لاإرادي!

ورغم كل اعتذاراتها إلا أنه فهم.. فالأنثى لا تفعل ذلك إلا إذا كانت تلك اللمسة بعيدة عن إحساسها بلمسة سابقة أو حالية! وقتها لم يهتم بأن ينبش الماضي، ويفهم من هذا الذي كان في السابق، أو أن يراقبها ليفهم إن كان هناك من هو في الحاضر أيضًا.. لم يسمح للشيطان بأن يلعب بعقله، وأفكاره، وينتقم مثلًا، ولم

يهتم حتى بسبب إخفائها شيئًا كهذا عنه، كان يهمه فقط أن يكون ذو بصمة مميزة تتذكرها للأبـد، وهو ما فعله بالفعل بشهادة (مـلك) نفسها.

فوض أمره لله بأن يأخذ حقه منها ويقتص له، ثم جاءني مجروحًا، وكنت أنا دواءه بعدها.

أحببته كثيرًا، بل وحتى ترجمت حبي الجارف له لأفعال، ومنحته مع الوقت رحيق جسدي الذي حاول رفضه لأننا لم نتزوج بعد.. لكن رفضه أثار أنوثتي، وفي النهاية استسلم لحضني وجسـدي..

ولحبـي الجارف الغامر..

ونهلت أنا أيضًا من رحيق جسده ما أشعرني بأنه لي ولي لوحدي..

ونسي (ملـك) كما عرفت الآن.. وأدمننـي حتى الثمالة..

وحتى يحافظ على ما وهبته له تقدم لخطبتي مبكرًا عما كنا قد خططنا له سويا، مع قرار جديد بتبكير كتب الكتاب على أن نتزوج بعدها في أقرب وقت ممكن.. ولِمَا رآه أهلي من إصراره على قراءه الفاتحة حتى أنهي اختبارات الكلية، وبعد العديد من الاختبارات التي أعدها أبي له ليتأكد من جديته، وافقـوا وباركوا.

وبدأ حبنا مرحلة جديدة من الظهور والنور..

أصبح يتنفسني.. كان مجنونًا بحبي لدرجه أنني كنت أداعبه بكلمة (هِسهِس) واصفة جنونه بي.. أذكر ذات مرة أننا كنا نتحدث قبل الفجر ،وكان رصيده قد شارف على النفاذ، وكل المحلات القريبة قد أغلقت تقريبًا، وكانت ظروف الشارع وقتها غير مستقرة بالمرة، فما كان منه إلا أن نزل متجولًا في طنطا كلها، حتى يجد رصيدًا يشحن به هاتفه، وقادته قدماه حتى المحطة، كل هذا ونحن نتحدث، وأنا أكاد أطير من السعادة.. كان يكتب لي الكثير من الشعر، وكان جنونه بي طاغيًا، وواضحًا للعيان، وزاد احترامي له، واحترامه لي أكثر، وأكثر.

كل شيء كان يمضي على ما يرام، حتى هاجمني خاطر أقض منامي وأزعجني للغاية!

كنت دائما أسمع أن الرجل يتغير بعد الزواج وفي الغالب -كما يقولون- للأسوأ، فهل يا ترى بعد الزواج سوف يعايرني -في لحظات غضبه مني- بما فعلت!؟

أدرك أنه مختلف، وأنه ناضج للغاية بحكم حبه للقراءة والكتابة ما جعل عقله سابقًا لسنه بمراحل.. وحين سألته وصارحته بما أفكر هاج، وماج، وحاول إرضائي، وطمئنتي بكل السبل الممكنة.. ولكنني، وبدافع الخوف كنت قد قررت أن أنسحب من حياته، حتى لو كلفني هذا قلبي نفسه، كنت أعلم أنني سوف أتعذب من بعده، لكن شيئًا كهذا لا مجال فيه المقامرة والمغامرة.

وهكذا في اليوم التالي، وبعد أن قضيت النهار بطوله بين أحضانه، وتبادلنا الغرام بكل الأشكال، والألوان، وكأني أحاول أن أشبع منه، ومن حبه الذي سأفتقده بالتأكيد، وبعد أن سمعته يناقشني ويشرح لي خطته حتى نتزوج، حتى أسئلته كلها، وهو يحتويني بذراعيه، وصدره العاري كانت عن الشقة، وماذا أحب حتى ينفذ ذلك لي، وبعد أن قال لي في ذلك اليوم الكثير من كلمات حبه المعتادة التي تطربني، وأوصلني بنفسه حتى البيت، ثم قبل يدي من الداخل ومن الخارج وهو يقول لي: "بحبك يا مَلَاكِي"، صعدت إلى البيت، وقلت لوالدي في حسم وقوة بأن يتصل به في اليوم التالي، ويقول له العبارة المعتادة في هذه المناسبة في كل البيوت المصرية تقريبًا..

«كل شيء قسمة ونصيب!»

كلمة عجيبة تقال في الارتباط وفسخه، في تناقض عجيب مشابه لتناقض المجتمع المصري، ولشخصيتي في هذه اللحظة الفارقة من حياتي.. ولأن أبي كان يغير منه -كما قال لي- ويشعر بأنه قد سحبني منه، فقد فرح بقراري، وأبلغه في التو واللحظة!

وعندها فقط أدركت كم يحبني.. ولكن بعد فوات الأوان..

لقد أصبح والدي كحد السكين معي، وهددني بأنني لن أكمل دراستي إن عدت له من جديد، وعلي أن أختار بنفسي بين كل هذا وبينه!

وبقلب ينزف دمًا، حاول أن يعود مرارًا وتكرارًا، وجعل كل أصدقائي يتحدثون إلي لكي أعود له، حتى أمه حدثتني هاتفيًا، وقد كنت أعزها، وأحترمها كثيرًا، وترجتني وقتها أن أعيد الروح له برجوعي إليه.. تحمل في محاولاته المستمرة الكثير من من الإهانة من أهلي، وأنا أشاهده بلا أي رد فعل أو حراك!

الآن فقط أفهـم.. وتركته بقسوة، وقوة مدفوعين بدافع الخوف، بلا حتى أن يفهـــم..

لقد أذنب في حق (عـلا)، وأهانته (ملـك)، ثم أذنبت أنا في حقه، وكنت ذنبه!

وفعلًا بعد ما رأيت، وفهمت، أُدْرِكُ حجم خسارتي بغلطة غبية فادحة..

ولهذا فقد أغلقت على نفسي تمامًا، وحاولت نسيانه حتى اتصل بي يومًا ما..

وبصوت باكٍ، لأول مرة في حياتي أسمعه به، قال لي بأنه يحبني حد الجنون حرفيًا..

قال لي بأنني ذبحـتـه..

وختمها قائلًا ما زلزلني وقتها:

ـ "حسبي الله ونعم الوكيل فيكي، حفضل أدعي عليكي عمري كله، ربنا يوريكي عذابي وحرقة قلبي فيكي أو في حد قريب منك، علشان تحسي وتفهمي قسوة واحدة زيك لما تقرر تدوس على راجل بيحبها ممكن تعمل فيه إيه"

الآن تفهـم..

وحين فتحت حسابه على الفيسبوك، كعادتها منذ تركته، وشاهدت صورته الجديدة التي لم يكد يمر عليها أربعة ساعات فقط، وفي خلفيتها برج خليفة أيقونة دبـــي الشهيرة، ضحكت أكثر بدموع مريرة.

لقد أراها الله عذابه وآلامه في (حسيـن) كما دعى تمامًا.. لقد حاولت أن تساعد أخيها، لأنها كانت ترى ذنبها في عينيه دون أن تعترف لنفسها بذلك!

لقد كانت هي السكين التي ذبحت كليهما.. أصبح يجمعهما نفس المكان.. نفس الدموع التي رأتها في عين أخيها.. نفس الجرح تشابه بينهما، بل وحتى نفس الهروب.

أما هي فتعلم يقينًا أنها قد تكون تحولت في نظره ربما إلى عاهرة!

ولكن مهلًا.. لابد أن تتصل بصديقتها (ملـك) لتعرف اسم خطيبها.. لن تخبرها بكل ما تعلم، حتى لا تعمق جراحها أكثر، وأكثر، ووتفضح سرها أيضًا.

أترى يكون إحساسها صحيحًا؟ ولماذا ترك والد (ملـك) الرسالة معه!؟ وماذا حدث له بعدها!؟ كلها أسئلة لا وربما لن تعلم إجابتها، ولكنها الآن تعرف يقينًا حقيقة واحدة..

أنها حــبه.. ولعنتــه معًا..

وبأصابع يد رقيقة مرتعشه، وجدت نفسها تكتب برغم إرادتها رسالة واحدة في برنامج الماسينجر الشهير، تحتوي على ما يعتريها وتشعر به:

« وحشتني يا (هِسهِس) يا أطيب حد عرفته، سامحني على كل اللي اتسببت فيه ليك، حقك دلوقت ربنا جابهولك، ودلوقت بس عرفت واتأكدت إني إزاي كنت غبية، وضيعتك مني»

ثم ضغطت زر الإرسال، وهي تعرف يقينًا الإجابة التي ستستقبلها..

الصمـت!

- "بص يا (حسين)، مش معنى إنك خرجت من قصة حب فاشلة تبقى الدنيا انتهت، الحياة ما بتقفش على حد.."

- "لا بتقف ساعات كتير يا (لميس)، عمرك ما حتفهمي إحساس راجل بنى مستقبله وأحلامه على حد.."

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

" أصعب الدموع هي دموع الرجل التي تحمل مرارة عدم الفهم، الممزوج بطعم الحزن،
والضياع..
يسمونها انتكاسة لرجل..
من الشرق.."

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

الفصل الثالث عشر

وانْتَصِـــــــــرتْ

" وجـئت إليـــكِ..

وفي راحتَـــيَّ جراح السنين..

وبيـــن الليـــالي..

بقايـــا أمانـــي..

تلاشت كما يتلاشى السراب.. "

#فاروق_جويــدة

■■■■■■■■■■

دلف (رامـز) بخطوات واثقة إلى داخل بهو فندق أتلانتس الشهير في جزيرة الجميرة، تلك الجزيرة الرائعة التي رُسِمَت كنخلة عملاقة تشق مياه الخليج في مدينة دبـــي.

وبإنجليزية سليمة سأل موظفة الاستقبال الحسناء قائلًا:

ـ "اسمي (رامـز أيمـن)، هناك طاولة محجوزة باسمي على شاطئ الجميرة.."

ابتسمت الموظفة، وهي تقول بعد أن نظرت إلى شاشة الكمبيوتر أمامها:

ـ "عيد ميلاد سعيد لك يا سيدي، أجل هناك طاولة محجوزة باسمك، سيأتي مرشدك ليدلك على طريقها، ولكن قبل ذلك أرجو منك أن تغطي عينيك بهذا الشريط.."

ثم ناولته شريطًا أحمرَا عريضًا، نظر له (رامـز) كثيراً، ثم قرر أن يخوض التجربة حتى نهايتها.. وبعد أن أحكم ربط الشريط بنفسه، والذي جعل الرؤية معتمة، قال لموظفة الاستقبال متسائلًا وهو يبتسم:

ـ "والآن ماذا بعــد؟"

أتاه صوت (تاتيـانا) الهامس، وهي تحتضنه من ظهره قائلة:

ـ "اشتقت لك يا (مديري المثـير)، هيا بنا لنحتفل بعيد ميلاد فارسي الذي جعلني عاشقة، ها قد بدأت الليلة ،وأتى مرشدك يا عزيزي.."

ثم أمسكت يده، وهي تقبلها من باطنها، بعدها شبكت أصابعها بأصابعه، وهي تقوده إلى المفاجأة التي رتبتها له على الشاطئ الملكي بأفخم فندق في دبـي، وواحد من أفخم فنادق العالم أجمع.. وخلال الطريق إلى هناك، كان خيال (رامـز) يسرح في مملكة من الفرح الذي لا يعرف نهايته..

ـ "وصلنـا يا (رومـي)"

هكذا هتفت (تاتيـانا)، وهي تقول له مضيفةً بعد أن لمحت ابتسامته العريضة، وهو لا يرى شيئًا:

ـ "تعال لأزيل لك بنفسي هذا الشريط، وأقبل تلك الغمازة الفاتنة يا (رومـي).."

استسلم لها، وهو يداعب دبلته الفضية ذات النقوش السوداء التي تزين يده اليمنى، وهو يفكر في مضيفته.. لقد فتنته بحق، وأخرجت جنونه.. ذكية، رائعة، فاتِـنَة..

وتحبـــــه..

وحين تحررت عيناه لم يستطع كبح جماح دهشته المطلة في عينيه، وهو يشهق في انبهار.. فأمامه وعلى شاطئ الخليج، استقرت طاولة رائعة مزينة بالورود، ويتوسطها شمعدان تضيئه الشموع داخل دائرة زجاجية مفتوحة من الأعلى، للحفاظ على ضوء الشموع من الانطفاء، وتظلل هذا كله سقيفة من الدانتيل

الأبيض الذي كان يتطاير مع نسمات الجو العليلة، رسمت مع ضوء القمر الكامل والنجوم التي تزين السماء، وإضاءة الفندق المبهرة خلفهما مع المشاعل المغروزة على الأرض، كممر ينتظر أن يمشي عليه الثنائي، صورة رائعة تجاوزت كل الأحلام والرومانسية في خياله، والتي اختفت من هذا العالم، أو على الأقل توارت خلف سرعة إيقاع الحياة..

وحتى (تاتيانا)، أو (تـينا)، كما يحلو له مناداتها، كانت تنافس هذا الجمال بجدارة.. فستان أحمر رقيق، عاري الكتفين والصدر، مع حزام عريض أحاط خصرها الفاتن لينزل الفستان أسفله منفوشًا قصيراً كاشفًا عن ساقين مرسومتين بروعة، وحذاء أحمر بكعبٍ عالٍ، كل هذا بدا رائعًا ومتناسقا مع تشابهه بلون أحمر شفاهها، والوردة الحمراء التي تقتحم خصلات شعرها الذهبي، وعينيها الساحرتين التي تقول الكثير..

كانت تبدو كالجوهرة التي لا يحلو جوهر المكان بدونها.. وأمام هذه المفاجأة، لم يستطع إلا أن يفعل شيئًا واحدًا..

أن يحتويها..

وبمنتهـــى الحـب..

■■■■■■■■■

" ستفاجئه في عيد ميلاده الذي اقترب كثيرا بمفاجأة ضخمة تعلم بأنها ستسعده..

وبحس الأنثى تشعر بأنه سيتكلم.. وسيحكي.. "

■■■■■■■■■

" عيناكِ لي بدفء الشمس، تنير ظلام روحي، وتزين وجهًا ينير قلبي كالقمر "

■■■■■■■■■

ـ "لماذا هـذا الصمـت؟"

هكذا بادرت (تاتيـانا) بسؤال (رامـز) مُبَدِّدَةً سكون الجو، ومقاطِعَةً أفكاره، وهي تمنحه نظرة حب رَقَّ لها قلبه..

رفع نظره إليها في بطء، وهو يقول لها في انفعال جارف:

ـ "لأن حياتي مليئة بالصخب الحزين الذي أنهى مخزون كلماتي، فحل الصمت ضيفًا دائمًا على لساني وروحي.. أتعلمين أحيانًا أشعر بأن قصتي أقرب إلى الأفلام منها إلى الواقع.."

نظرت له بتأثر، وهي تمسك يده بحب، ثم قالت:

ـ "ولماذا كل هذا؟ أنا هنا الآن فلا داعي للقلق يا حبيبـــي.."

ثم قامت من مكانها بكل ما منحها الله من أنوثة وجمال، واقتربت منه في دلال، ثم اتخذت من رجله اليسرى مقعدًا، وهي تضم رأسه إلى صدرها الممتلئ الحنون بقوة واحتواء، وقد بدأت تشعر بأن أوان حديثه قد حـان.

ـ "تحدث يا صغيري، أنا بجانبك لأضيء روحك كما أنرتها لي.. تحدث وأبعد كل مخاوفك معي.."

أما (رامـز) فقد استسلم تمامًا بعد كل هذه المفاجآت، سواء كانت مفاجأة المكان أو حتى تناول العشاء بهذا الشكل الذي حلم به كثيراً، والذي كان يراه في الأفلام فقط، والآن صار جزءًا منه..

ثم اقترب من حضنها أكثر، وهو يشعر بأنه قد حان وقت الكلام..

نظر لعينيها الرائعتين المشجعة من جديد، ثم أمسك يدها، ووضعها على وجنته، وهو يستسلم لضمتها مرة ثانية..

وبدأ يحكي حكاية دسمة، لشاب مصري رأى وعاش الكثيـر..

حكاية (رامـز)..

ثم قال لها في حسم، وهو ينظر لعينيها:

ـ "بالحب تكتمل الأشياء"

■■■■■■■■■

"الحب هو كل ما كان يشغلني منذ أن أنهيت دراستي، كنت مؤمنًا بأن الحياة تبحث عن من يحاول أن يجد ما يريده، وحين تتأكد الدنيا من جدية ما يدور بداخل الشخص بعد العديد من الاختبارات، تمنحه ذلك عن طيب خاطر.."

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وهو يضيف قائلًا:

ـ "ولكن هذا كان في أحلامي فقط.."

ـ "ما الذي حدث لتؤمن بهذا؟"

ـ "كانت البداية مع (عـلا) خطيبتي الأولى، فتاة رائعة أو (خـام) كما يقولون في مصر، حين قابلتها دق قلبي، وحدَّثتُ نفسي وقتها بأنها فرصة لابد من أن أقتنصها.. وهكذا جعلتها سعيدة، وبدأت تشكيل شخصيتها كما أريد، لكنني في ذلك الوقت واجهتني مشكلة خطيرة للغاية.."

ـ "ما هي هذه المشكلة؟"

ـ "إنه الملل يا عزيزتي!"

ثم أخذ نفسًا عميقًا مرة أخرى، وكأنه يفرغ توتره، ثم أكمل قائلًا:

ـ "يبحث الرجل في بعض الأحيان عن من يقوده إلى عالم أنثوي مكتمل الأركان، يفاجئ رجولته بين الفينة والفينة، ولكن مع (عـلا) كنت أشعر بأنني من يملك زمام المبادرة دائمًا، وبأنني من يفاجئها فقط، كانت لا تستطيع ابتكار أي جديد، بينما أغرقتها أنا في الجديد المبهج دائمًا!"

■■■■■■■■■

" بص يا دكتور، الحق يتقال برضه خطيبها مكنش وحِشْ، وفعلًا كانت فوق السحاب معاه من السعادة، بس إيه اللي حصل في النص هو ده اللغز اللي محدش فاهمه لحد دلوقتي.. "

■■■■■■■■■■

ـ "ولماذا لم تحاول تغييرها في هذا؟"

هكذا سألت (تاتيانـا)، وقد بدأت بالتفاعل مع القصة:

ـ "لأنه حين يأتي الملل، تصبح النفس فارغة تبحث عن الأخطاء فقط.."

ـ "وماذا حدث بعدها؟"

ـ "ظللت أبحث عن سبب مقبول أنهي به هذه العلاقة حتى قدَّم لي زوج أختها الفرصة على طبق من ذهب.."

ـ "زوج أختها!؟ كيف؟ وما علاقتك به أصلًا؟"

ـ "حين تقدمت لخطبة (عـلا)، لم أكن أملك عملًا وقتها، ولقد ساعدني حتى حصلت على وظيفة في شركة للأدويـة، وهو المجال الذي أبدعت فيه حتى أنني حصلت على ترقيتين في سنة واحدة فقط.."

ثم نظر إلى السماء، وهو يتذكر تلك اللحظات من عمره مكملًا:

ـ "حين بدأت المشاكل بيني وبين (عـلا) كنت قادرًا على جعلها مقتصرة بيني وبينها، ولكن صبرها بدأ ينفذ، وفي مرة حكت لأختها في وجوده.. وفي يوم ما وجدته يستدعيني في مكتبه بنفس الشركة التي كنت أعمل فيها، وهو يصرخ في أمام الجميع معاتبًا، ولكن ما جعلني أقف في هذه العلاقة هي جملة قالها لي، وأشعرتني بالإهانة كرجل شرقي صميم"

ـ "ماذا قال لك؟"

ـ "لقد قال لي: (اذهب، واحصل على رضائها، ولا تنسى بأنه لولاها ولولاي لما وصلت لما أنت به الآن، نحن من جعلنا منك رجلًا، ونحن من نستطيع جعلك عاطلًا من جديد)!"

اتسعت عينا (تاتيانـا)، وهي تنظر إليه دون أن تقاطعه من دهشتها، وهكذا استطرد (رامـز) قائلًا:

ـ "تخيلي أن تكوني من طبقة اجتماعية ذات مستوى عالي، ويأتي أحدهم من طبقة اجتماعية أقل تمنحيه بنفسك فرصة أن يقول لك هذا، أنا لست عنصريًا، ولكنني رجل شرقي حار الدماء، ولن أتحمل هذا أبدًا.. وهكذا قررت أن أرد له الصاع صاعين، وفي نفس الوقت أنهي تلك العلاقة التي باتت مملة لي، ولم أعد أستطيع الاستمرار بها.."

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وانطلق يكمل لها كيف أنهى حكايته معها..

مع (عـلا)..

■■■■■■■■■■

كانت تعرفه جيدًا، حين يقرر يفعل، وهو في تلك اللحظة -وقتها- لم يكن يبحث عن التغيير، ولكنه كان فقط يبلغها بقراره وبلا رجعه.

■■■■■■■■■■

شرب (رامـز) جرعة من الماء، ثم أكمل قائلًا، وهو ينهي حكاية (عـلا):

ـ "وهكذا أنهيت هذه العلاقة دون أن يعرف أحد السبب أو الشماعة التي علقت عليها نهاية هذه العلاقة حتى (عـلا) نفسها، ولهذا فقط أدركت بعدها بأنها هي ذنبي، ولابد من أحد يقتص لها.. هكذا أكملت حياتي بعد أن استقلت من الشركة، واستطعت إثبات نفسي مجددًا، والنجاح بمجهودي تمامًا كما فعلت في السابق، حتي قابلت خطيبتي الثانية.. (مـلك)!!"

ثم شرب جرعة أخرى من كأس الماء الذي تحمله له (تاتيانا) الجالسة على قدمه، وأكمل قائلًا:

ـ "أتعلمين يا (تينـا)، لقد أحببت (ملك) فعلًا، واكتشفت معها نفسي من جديد، كانت ذكية للغاية وهو ما جعلني أعتبر ذلك إشارة إيجابية على عدم تكرار ذلك الملل القديم.. ولكن (ملك) لم تكن تبادلني نفس الشعور.. كان كما يقولون حب من طرف واحد، وكان هذا يظهر جليًا في كلامها ونظرة عينها، رغم أنني اكتشفت في شخصيتي جانبًا رومانسيًا جديدًا، فأغرقتها بتلك الرومانسية التي كنت أستمتع بها، وجعلتني منتشيًا بحق.. وحين قالت لي بأنها لا تكترث، وبأنها لا تراني رجلًا مناسبًا لها، قررت أن أجعلها تندم وبشدة.. وهكذا استخدمت معها أسلوب التجاهل التام، منشغلًا في ذلك الوقت مع أصدقائي الثوريين في ثورة ٢٥ يناير، حتى تقرر أن تتركني هي، وأنا أقرر أن أضربها في نقطة ضعفها الوحيدة، والتي كانت تستخدمها كنقطة قوة أثناء حديثها معي.. والدهـــا.."

■■■■■■■■■

" نظرة بابا ليا مش مريحاني، نظرة حزينـة طويلة دايمًا، بتستخبى ورا ضحكه ومرحه وكإنه مخبي سر كبير عني عليا، وفاض بيه.. "

■■■■■■■■■

" لا أدري ماذا تخبئ الأيام لنا، لا أدري إذا ما سوف تقرأ عيناكي كلماتي يومًا ما؟ أم ستظل حبرًا على ورق! ولكن قلبي تمرد على صاحبه، وقرر بأنه بحاجة إلى الكلام.. "

■■■■■■■■■

منحته (تاتيانـا) قبلة حانية، على جانب شفتيه، وهي تقول له في رقة:

ـ "يا إلهي! لقد رأيت الكثير حقًا يا صغيري.. أكمل كلي آذان مصغية.."

نظر لها (رامـز) من جديد، وهو يغوص في عينيها مبحرًا في روحه المنعكسة على عينها كما تخيل.. ثم أكمل حكايته قائلًا:

ـ "كانت (ملـك) تشعر بأن أبيها سوف يغنيها عن كل الرجال، وهي مشكلة نفسية خطيرة بالفعل حين تحب الفتاة أبيها حد الجنون، وخصوصًا لو كانت وحيدته، وهذا أيضًا جعلها مصابة بداء خطير كان كفيلًا بتدمير أي علاقة في حياتها.. إنه داء الغرور.. ولقد كانت تتعامل بتعال شديد مع كل الرجال بلا استثناء حتى أنا، ولهذا كان لابد وأن يعرف والدها أنها هي من ضيعتني، وليس كما صورت لوالدها أنني شخص لا يجيد معاملة النساء.. وهكذا حين اتصل بي والدها، هذا الاتصال الذي كنت أنتظره، حملت معي رسالة كنت قد كتبتها قديمًا حين كنا لا نتحدث معًا في آخر علاقتنا، وأعطيته له.

ثم أغمض (رامـز) عينيه، وهو يتذكر تفاصيل، وأحداث تلك اللحظة..

■■■■■■■■■

ـ "إيه ده يا ابني؟"

ـ "بص يا عمو، أنا بحترمك جدًا لأنك عمرك ما اتدخلت بيني وبين بنتك، ولأنها مغرورة وشايفة إنها مستغنية عن الدنيا بيك فلازم تفوقها بنفسك.. ده جواب أنا كنت كتبته من فترة، حطيت فيه كل أحاسيسي مع بنتك، وكل اللي أنا نفسي فيه، كنت عايز أوصلهولها، بس انت عارف إن الحب من طرف واحد مهين أوي للراجل، علشان كده ما بعتهولهاش.. عايز حضرتك تقرا الجواب ده كويس، لو حسيته فعلًا، وحسيت اللي جواه، عايزك تديهولها، أو تحتفظ بيه لحد ما تشوف طريقة تفهمها ده، وساعة ما تحس إن غرورها اتكسر، وبقت طبيعية، وناضجة قطّع الجواب ده ميت حتة، وبرضه لو محسيتوش قطعه؛ لأنه ساعتها مش حيضيف جديد.."

ثم ناول (رامـز) الرسالة لوالد (ملـك)، وهو ينصرف حاملًا ذهب شبكته، وهداياه في حزن..

وقلبه عامر بالأسـى..

■■■■■■■■■

أطرق (رامـز) رأسه في أسى، وهو يحيط خصر (تاتيـانا) بيده، ناشدًا منه طاقة من الحب والأمان وهو يتذكر وجع تلك اللحظة..

وحدها (تاتيـانا) كانت تشعر بالسعادة، لأنه أخيرًا تحدث..

لقد بدأت تضع يدها على نقاط ضعفـه.. وستستغلها لصالحها..

لابد أن يكون لها..

نفضت أفكارها من جديد، وهي تعيره اهتمامها مرة أخرى قائلة في تساؤل:

ـ "ولكنني مازلت أشعر بأن الزلزال الذي غَيّرَ مديري المثير وأظلم روحه، لم يكن (عـلا) أو (ملـك)، وصدقني يا صغيري إحساسي بك لا يخطئ أبدًا.."

نظر لها بإعجاب، وهو يحاول أن ينفض عنه غبار حزنـه، ثم فك ربطة عنقـه الحمراء التي طلبت منه (تاتيـانا) قبل مجيئه أن يرتديها، وبعد أن أتي عرف أنها كانت تريده أن يكون متوافقًا مع ملابسها الأنيقة، ثم قال لها:

ـ "أنت محـقة.. لقد عصف بي إعصار مدمر حولني تمامًا.. سأحكي لك ثالث قصص حياتي، وأهمها على الإطلاق.. لقد كانت تورنيدو كاسح مدمر اسمه.. (لميـس).."

■■■■■■■■■

المعجم الوسيط:

لميس: هي المرأة لينـة الملمس.

■■■■■■■■■

الفصل الرابع عشر

بحثـًا عن إيـــــروس

التقط (رامـز) من يد (تاتيـانا) كوبًا جديدًا من المـاء، ثم تجرعه جرعة واحدة وهو يرى عينيها تلاحقه في حب.. يشرب (رامـز) الكثير من الماء حين يشعر بالتوتر، وهو ما بدا واضحًا، وهو يناول (تاتيـانا) الكوب بعد انتهاء ما به من مـاء، ليجدهـا تقول له بكل لهفـة:

ـ "هيا أكمل، ما قصتك مع (لميـس) هذه؟"

نظر لها، وقد بدأت الذكريات توتره أكثر، فأخذ نفسًا عميقًا.. ثم انطلق يكمل الحكاية..

حكايتـــــه..

■■■■■■■■■■

لقد كانت (لميـس) اسمًا على مسمى، كحبهـا، وكلامهـا، وجسـدها! في بلدنا وثقافتنا لا نمارس الجنس إلا بعد الزواج، لاعتبارات دينية، ومجتمعية، يظل الرجل محافظًا على نفسه حتى يمنح نفسه لزوجته في الحلال.. صحيح أن هناك عددًا لا بأس به من الشباب الآن يطبقون عكس القاعدة، ولكنها مازالت موجودة، وأنا كنت ممن يطبق هذه القاعدة.

ثم نظر (رامـز) إلى (تاتيـانا)، وهو يقول بأسى:

ـ "ولكنني لم أستطع المقاومـة.."

منحته (تاتيـانا) نظرة مشجعة، وهي تقول له:

ـ "إنه إحساس طبيعي يا عزيزي، لا داعي لجلد نفسك كما أرى في عينيك الآن.."

ـ "لقد شعرت بالمسؤولية بعدها، إنه الحب المثالي كما رأيته حين يتوحد القلبان، وينصهران في روح واحدة تترجم لغتها أجسادنا.. إنها المثالية كما ينبغي، وكما يقول الكتاب.. لقد كانت تعرف معنى الاحتواء، وإستطاعت محو جرح (ملـك) النازف، ولكنها بعد أن سعيت لها بكل ما أوتيت من قوة انسحبت بلا أسباب!"

يد رقيقة امتدت إلى خده، (تاتيـانا) تمسح دمعًا كان متحجرًا في عينيه، ولكنه نزل دون أن يدرك (رامـز) ذلك، الذي أكمل قائلًا:

ـ "أتعلمين أنها تركتني تمامًا كما تركت (عـلا).. ذبحتني كما ذبحتها، لكن أكثر ما عذب براءتي وقتها هو ما فعلناه سوية!"

ـ "لمـــاذا؟"

ـ "لأنني شعرت بأنه قد تم اغتصابي واستغلالي! وبأنني كنت مغفلًا!"

ـ "إلى هذه الدرجـــة!؟"

ـ "أجل، هناك صورة دائمة تقول بأن الرجال وحوش دائمة التفكير في نصفها السفلي فقط لا غير، وكثيرًا ما سمعتي عن رجال تحرشوا بنساء، ولعلك أنت نفسك ضحية لهذا، ولكن هناك شريحة من الرجال يتأثرون بكل قصص الحب التي يمرون بها.. كل ضربة لم تقتل تؤلم أكثر، ونحن كرجال بشر ولسنا وحوشًا.. لقد شعرت في هذا الموقف بعد أن انفصلنا بأن بكارتي قد اقتحمت خاصة أنني سعيت لها كثيرًا.."

ثم التقط أنفاسه، وهو يكمل قائلًا:

ـ "أراهنك أنها تعتبر ما حدث بيننا غلطة، ولكنها غلطة من جهتها هي فقط، لأنها هي من انسحبت، بينما تحملت أنا الإهانات من أهلها حتى أرجع لها بلا فائدة.. تخيلي معي يا (تاتيـانا) إحساسي حين ذهبت لبيتها ذات يوم، وطرقت

الباب حاملًا باقة ضخمة من الورود كلفتني كل ما تبقى في جيبي في ذلك الوقت من آخر الشهر لأهديها لها، فتفتح لي أمها الباب وتقول لي بأنها غير موجودة، وأنا أرى ظلها خلف الستارة الفاصلة بين الصالة والردهة المؤدية لغرف النوم، وحين أخبرها أن تعطيها هذه الورود، تقول لي بأن آخذها معي وإلا سوف تلقيها في القمامة! فما كان مني إلا أن تركت باقة الورود لها، وانصرفت جارًا ورائي أذيال الخيبة، ووجع القلب!"

ـ "وكيف تأكدت بأنها هي الموجودة خلف الستارة؟"

ـ "لا تسألي عاشقًا كيف شعر بمعشوقته.. ميزتها بقلبي، وأنفي لأن لها عطرًا مميزًا تحب وضعه دائمًا، حتى في المنزل.."

أطرقت (تاتيانا) برأسها في أسى، لتسأله قائلة:

ـ "وماذا حدث لك بعدها؟"

ـ "تحولت إلى أكثر أهل الأرض إنحرافًا، تعلمت كيف أعرف الفتاة اللعوب، كيف كنت أرى كل فتاة ألتهم جسدها بإرادتها في صورة كل من آذاني، كنت أتعامل معهن بالعنف تارة، وباللين تارة، وكأنني أنتقم من (لميس)، وأمها، وأبيها حتى أجد إجابة لأهم سؤال في حياتي، هل كانت تستغلني بالفعل؟ ولماذا انسحبت بهذا الشكل بقرار من طرف واحد!؟"

أخذت (تاتيانا) يد (رامز) في صمت، ثم قبلتها من باطنها، كما تحب دائمًا، وهي مستمرة في التزام الصمت، منتظرة ما سوف يقوله، بينما احتضن هو يدها بكلتا يديه، وهو يقول، وكأنه يخاطب نفسه:

ـ "أتعلمين؟ الحب في الحياة كالدوائر تدور بنا ما بين جارح ومجروح، دائرة من القصاص العادل من الله، ولهذا نكون أحيانًا بين أقدام آخرين تألموا في السابق، فأصبحوا في متاهة البحث عن حقيقة مشاعرهم، أو أن نأخذ آخرين بين أقدامنا

في متاهة روحنا المظلمة، فنبدأ دائرة جديدة من الألم الذي ينتقل مكملًا هذه السلسلة التعيسة، حتى توقفها إيــروس!"

ثم التقط أنفاسه، وهو يقول مداعبًا دبلته:

ـ "وهذا هو ما حدث مع خطيبتي الثالثة (داليــا).."

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

تتذكر كيف قال لها بأن قلبه ينزف دمًا نتيجه قصة حب استنزفته بالكامل، بعد محاولاته العديدة للوصول لهذا الشعور الرائع.

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

" ياما اتحايل عليها وطاطا قدام أهلها..
دي هي لغز بالنسبة ليه..
ولحد دلوقت مصدق إنها مكتوبة ليه! "

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

" مش عارفة. حفكر وأشغل الشيطان اللي جوايا، بس لازم أعرف إيه اللي كانت بتعمله! دي لو بتسحرله مش حيبقى كده. أنا بحبه جدًا، ومش حسيب قلبه ده مهما حصل.."

ثم نظرت نظرة متحدية مليئة بالعزم والحسم لصديقتها، وهي تقول لها، وكأنها تطمئن نفسها:

ـ "أيوة.. مش حسيبه مهما حصل.. "

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

" استني رَدّي بأة على اللي عملتيه.. وافتكري إن إنتي اللي بدأتي يا (داليا).. "

▪▪▪▪▪▪▪▪▪▪

أنهى (رامـز) حديثه عن (داليـا)، وهو يشعر بأنه يقتطع ذكرياته التي دمرته، ويلقيها في مياه الخليج آملًا أن تكون بلا عودة..

بادرته (تاتيانـا) بسؤال أظهر كل ما يعتريها من مشاعر:

ـ "عن ماذا تبحث لتسمح بالحب أن يطرق بابك من جديد؟"

نظر لها نظرة طويلة، وهو يجيب بصوت حَـالِم:

ـ "أبحث عن إيـــــروس!"

ـ "إيـروس!؟ ماذا تعنـي!؟"

ـ "تمثل إيـــروس في الميثولوجيا اليونانية إله الحب، والرغبة، والجنس.. هذا الثلاثي الذي يمثل أسرار الحياة وسر بهجتها، ولقد كان يُمَثَّل بفتى جميل من صفاته أنه يحمل سوطًا، أو شبكًا، ويلبس صندلًا.. أما في الهيلينية فإنه أصبح يُمَثـلُ بطفل صغير يحمل قوسًا وسهامًا، ويحمل أجنحة على ظهره كدلالة على تقلب المشاعر، وإيـروس عند أفلاطون هي قوة عظمى تحرك النفس إلى الخير، وهي الوسط بين الجهل والمعرفة، لأن الإنسان الذي يشعر أنه ناقص لا يمكنه أن يحب بحكمـة.."

ثم رشف جرعة أخرى من كوب المـاء، وتابع الحديث مفسرًا، وهو يلمح نظرات عدم الفهم في عينيها:

ـ "سوف أشرح لك فلسفتي الخاصة عن إيـروس.. السعادة على مدى التاريخ ربطت بإله الحب، كاسم ومعنى مقتصر بالكامل بين الحب، والرغبة الجنسية، المفضية للجنس، ولكن فلسفتي عنها أعمق وأشمل بكثيـر.."

ـ "كيف؟ لقد أثرت فضـولي.."

ـ "(بالحب تكتـمل الأشيـاء)، وحتى يكتمل ذلك لابد من الحب كبراءة الأطفال، لأن الحب المكتمل لابد أن يكون نقـيًا، وهذا لا يمنع أن يكون هناك تقلبـات في جو الحب، حتى لا تسير الحياة على جنـاح ووتيرة واحـدة، وفي نفس الوقت لابد أن يحرك هذا الحب الشخص إلى الخير فيصبح محبًا لكل ما حوله.. حـبّهُ، وأهـلهُ، وحياتـه، ووطنـه.. لابد أن يحتوي على الشراسة في التمسك بالآخر واصطياده في شباك الحب النقي المتينة.. لابد أن يحمل لنا الرغبة في الحياة

بصدق وبلا خديعة، وأن يحمل لنا التفاؤل والأمل والنجاح.. ولابد أن يحتضن كل هذا وسط، أسميه أنا الوطن، يزيد كل هذه العوامل حياة.."

ـ "تمامًا كإيـــروس.."

هكذا قالت (تاتيـانا)، وهي تغمض عينيها في رومانسية حالمـة..

ـ "بالضبط، لهذا فأنا أبعث عن إيروس التي ستغلق دائرتي، بلا أي ذيول جانبية وإلى الأبـد، لأنضم إلى مملكة تحمل كل من أصبحوا سعداء بدوائر مغلقة، والتي أسميتها مملكة إيروس.."

نظرت (تاتيـانا) لعيني (رامـز)، وهي تتأملهما بعمق قائلة في دلال وغنج:

ـ "ولم لا تمنحني فرصة أن أكون أنا إيــروس!؟"

ـ "لأنني محاط بألف طوق وطوق يا (تاتيـانا).."

ـ "أتقصد خطيبتـك؟"

تنهد من جديد وهو ينظر لها، وهو يمسك دبلتـه ويديرها حول إصبعـه بحركة لاإراديـة..

تذكر كيف خطبـها، لأنه أراد أن لا يبتعد عن وطنـه، ويبقى مغتربـًا..

تحبه بصدق.. يعلم هذا، لكنه لم يأخذ وقته الكافي أو تجمعه مواقف كثيرة معها كخطيبة ليقع في حبها، وفي نفس الوقت لا يريد أن يجرحها، لأنها لا تستحق ذلك.. ولكنـه يخـاف فعلًا..

من قال بأنه جرئ أو مغامر؟ إنه بحكم ما مر به يتحكم به الخوف، والخوف لم يكن ضعفًا أو عيبًا في يوم من الأيام..

ـ "أين ذَهَبْـــــت؟"

أيقظته (تاتيانـا) من حيرته في أفكاره، ليقول لها مبتسمًا:

ـ "أنا هنـا.."

ثم مال إلى صدرها الحاني، وأراح رأسه عليه، تاركًا نسمات عطرها يداعب أنفه وروحـه، وهو يقول:

ـ "سأشرح لكِ ما أقصـد.."

ثم قال لها وهو يداعب تلك الندبة بيده، والتي تبدو بالنسبة لها ناتجة عن جرح قديـم:

ـ "لقد وضعت خط النهاية لحياة الرومانسية مع أي فتاة في مصر، وفتحت باب الارتباط التقليدي والتفكير بالعقل فقط في ذلك منذ الانفجـار.."

ـ "أي انفجـار!؟"

تنهد بمرارة، وهو يتذكر تلك اللحظـة الفارقة التي غيرت حياتـه..

لحظـة الانفجـار..

■■■■■■■■■

ودوى الانفجار مقاطعًا هذا الحديث!

انفجرت السيارة في دوي عنيف بلغ صداه المناطق المحيطة، والقريبة منها، والبعيدة، مصحوبًا بكمية ضخمة من الشظايا والدخان..

■■■■■■■■■

ظـــــــلام..

نـــــــور..

ظـــــــلام..

■■■■■■■■■

"اسمي (رامـز أيمـن) ضحية لتفجير إرهابي في نظر الجميع..

وضحية الثورتين رغم أني كنت من أفرادها في نظر أمي..

فاقد للأمل في الأفضل الذي كنا كشباب ندافع عنه ونؤمن به..

ومشوه الوجه واليد والنفس..

بلا أصدقـاء..

بلا حـب..

وبكامل رأيي الشخصي الحر بعد أن انتهى حديث الحرية هنا ..

بلا وطـن.."

"علمني هذا الانفجـار مرارة الفقد، سيطر علي الغضب وقتها حتى علمني كيف أكـره.."

ارتسمت ملامح الألـم على وجه (رامـز)، وهو يكمل حكايتـه بعد أن حدثها عن الانفجـار، وكيف حدث.. ثم استطرد قائلًا:

ـ "كنت وقتها قد اتخذت قرارًا بأن أتـرك (داليـا)، وتأكدت يقينًا بأن لا حب لي في وطنـي، ولكن حين حدث الانفجـار أنهى كل ما بداخلي من مشاعر إيجابية، كنت وقتها مشوهًا، وأمر بحالة نفسية سيئة للغاية حين أدركت ما حدث.. كنت معذورًا فلست ضابط جيش، أو ضابط شرطة الموت جزءًا من نشاطهم اليومي، ولست صحابيًا حتى أبلغ درجة الإيمان التي تجعلني أعتبر هذا الانفجار شهادة وأتقبله بصدر رحب.."

ثم مسح بأصابعه دمعة حاولت التسلل من عينه، وهو يتذكر أصدقاءه، وأردف قائلًا:

ـ "هنا تدخل أهلي لإنقاذي، وتكفلت أمي بإنهاء إرتباطي مع (داليـا) بعد أن كنت قد أسررت لها بنيتي فيما سبق، ولم أكن أملك طول البال الكافي لأعرف الكيفية.. وقرر والدي أن يرسلني إلى خارج البلاد لاستكمال العلاج مستغلًا إقامته وعمله في السعودية، ولأنه أيضًا لمس حاجتي الماسة للهروب من كل ما حدث.. وبعد سلسلة من عمليات التجميل والعلاج النفسي قررت أن أهجر مصر إلى الأبد، وأن أبقى في دبـي لمتابعة علاجي، ومحاولة استئناف حياتي من جديد.."

ثم نظر لعيني (تاتيانـا) الساحرتين، وهو يضمها إليه أكثر قائلًا في حـب:

ـ "حتـى قابلتُـكِ.."

■■■■■■■■■

يُحِبنِـــــي..

يذوب كما تذوب شفتاه على شط شفتاي الساخنة بوهج حرارة حبي ومشاعري له..

لديه الكثير.. قلبه ممتلأ كمركب محمل بالمهاجرين غير الشرعيين، الباحثين عن الأمل في عيون أوروبا الفاتنة الساحرة..

أمـــائُهُ لـــدي..

أشعر به، وأثق بذلك تمامًا، بخبرة أنثى تصدق إحساس قلبها المحب الصادق العاشق..

■■■■■■■■■

ـ "أنت لي ذلك الحب المستحيل الذي عشت أتمناه، كل تناقضاتي وحياتي توقفني عن خوض التجربة معك يا (تاتيـانا).. أنت قلب طاهر تعذب كثيرًا، ولا أريد أن أضيف له جرحًا جديدًا يحمل اسمي مهما كان الثمن.. كفاني كل من جَرَحت وجُرِحت بسببه خلال حياتي.."

ـ "ولم لا تعطني الفرصة لنحوله إلى واقع جميـل؟"

ـ "ببساطة لأنني مصـري، وملئ بالتجارب والعُقَـد، كما أنني لا أدري هل سأظل أتحمل بعدي عن أهلي وخصوصًا أمي وبلدي أم لا؟ ولا أدري أيضًا هل زواجي من أجنبية أصلًا هو فكرة صائبة أم لا؟ ثم ماذا أفعل في خطيبتي؟ أنا لن أتركها أبدًا ولن أتسبب بجرح لها.."

ـ "ولكن يا (رامـز) حياتك تثبت بأن سعادتك ليست هناك! قل لي ما الموقف المميز الذي سيجعلها تسعدك أيضًا إذا كانت تحمل نفس الصفات المجتمعية التي تهدم المشاعر ولا تبنيها؟"

نظر لها (رامـز) مفكرًا، وحسم أمره قائلًا:

ـ "لا ضمانات.. أعتقد أنها مميزة، وتحمل أفكارًا مختلفة، وتحترمني، وتحبني، وربما فقط أحتاج إلى مواقف تجمعنا معًا لا أكثر، ولا أدري حقًا كيف سأحقق ذلك، طالما كل منا يعيش في قارة بعيدة عن الآخر.."

ـ "ثم ماذا؟ ألست أيضًا كنت تحب (لميس)، وجمعتكما مواقف كثيرة، ومجنونة، ومميزة!؟ هل استفدت من ذلك شيئًا في النهاية؟"

زفر (رامـز) في حنق، وهو يحاول أن يصفي ذهنـه، قبل أن تمنحه (تاتيـانا) قبلة حانية، وهي تكمل قائلة:

ـ "ابحث عن الاختلاف في عقلية الحب والتقبل يا صغيري، كل العالم يحب لكن ليس كل من أحب أصبح سعيدًا، أنا أحبك، وسأتقبلك مهما كان، حتى لو قررت أن تكمل حياتك مع خطيبتك، وتتزوجها، وتحتفظ بحياتي، وزواجي بك -إن قبلت- في السر.."

ثم وضعت يدها على يده اليمنـى، وشبكت أصابعها بها، وهي تقول مكملة:

ـ "ليست مشكلتك في هذه الدبلة، أو في صاحبتها، ولكنها بالنسبة لعقلك تحمل اختصارًا لكل ماضيك المتشابه المُحَمـــل بنفس الثقافة التي أعلم يقينًا أنها تخيفك يا (رومـي).. ابحث عن الاختلاف، وتخلص من أفكارك البالية، وتعال لأضمك إلى اختلافـي.."

ثم احتضنت يده من جديد، وضمتها إلى صدرها ذو الجزء العاري، لتجعله يشعر بنبض قلبها، وهي تقول له متسائـلة:

ـ "لكنك لم تقل لي ما اسم خطيبتك الحالية؟ وما الذي تعمله؟"

أجابها باقتضاب حمل حيرة روحه وعقله:

ـ "إنها تعمل مذيعة في إذاعة خاصة، واسمها (عتـاب)!"

■■■■■■■■■

رد عليها بضحكة ساخرة:

"ماشي يا (عتـاب) لما أشوفك، معلش بقي اعصري على نفسك لمونة ما إنتي عارفة إني قدرك.."

■■■■■■■■■

" البنت بتفضل مستنية اللي حييجي يخليها سعيدة في حياتها، بتحلم بيوم فرحها وهي لابسة الفستان الأبيض ومعاها حبيبها، بس بتبدأ تبص على الواقع تحس إنها متحاصرة ما بين حاجات كتيرة.. "

■■■■■■■■■■

أتراه نتيجة صلاة الاستخارة التي صلتها بالأمس، حتى تضع حدًا لحيرتها في هذا العزيز الذي تقدم لخطبتها من والدها بشكل مفاجئ!؟

■■■■■■■■■■

الفصل الخامس عشر

الحيـرة تتحدث وتُقـــرر

إنها محقــة..

هل من الممكن أن تتواجـد إيروس في مصـر؟

في بلد يستحي الرجل فيها من أن يجاهر بحب زوجتـه، ولكنه يتباهي ببطولاته السابقة مع أخريات! في بلد يخجل الجميع فيه من الحب، فقط يجاهرون بالكراهيـة القميئة.. وتخشى الزوجة أن تختلف، فتصنف كفتاة سيئة السمعة والخلق!

كيف سيجد الاختلاف في الحب في مجتمع يحاربه بشراسة؟ ماضيه نفسـه خير شاهد على ذلك.. إنها محقـة بالتأكيد، ولكنه لا يريد أن يؤذي أحـدًا..

نظر (رامـز) لـ(تاتيانـا)، وهو يتأملها ببطء..

كانت وما زالت وستظل في عينه تجسيدًا للبراءة والجمـال والاختلاف.. قطعة من جمال الجنـة هـي.

ولكنه لا يريد أن يعيش عمره كله بالخارج.. ما زال يحمل الوطن بداخل عقل وقلب الثائر القديم الذي كان مستعدًا لبذل النفيس من أجل هذا الوطن..

يتمنى زوجة تحدثه بالعربية، وبنكهة مصرية محببة، تطبخ له المحشي والملوخـية والفتة والفول والطعمية، وتعرف قيمة شم النسيم المعبأ برائحة الفسيخ والرنجة والسردين والبصل الأخضر، وتصادق أمه لتحيك المؤامرات عليه معها.

ولكن ماذا يفعل بكل هذا في بيئة لا تضيف أي سعادة أو راحة بال لمن فيها، واقتصادها يضغط على الجميع حتى أن الشباب وغيرهم لا يستطيعون التخطيط لحياتهم بشكل واضح، وذلك بسبب الوضع الاقتصادي والمعيشي المتغير منذ الثورة الأولى حتى هذه اللحظة!؟

وأمـام عين (رامـز) مر شريط حياته وذكرياته سريعًا..

لابد أن يجعل حيرته تخرج من مكمنها معتمدة على الله، لتتحدث عما يعتريها.. وبنفسها تقرر.. ماذا استفاد من (عـلا) وطيبتها؟ لا شـيء!

كان رجلًا مع (مـلك) وما الذي حصل عليه بالمقابل؟ لا شيء!

بحث عن الاختلاف والجنون في الحب مع (لميـس)، ثم ماذا؟ انسحبت تاركة خلفها اللاشيء!

"لمـــــــاذا!؟"

هكذا صرخ (رامـز) بصوت عالٍ، مقاطعًا شرود (تاتيانـا) التي جلست على مقعدها، لترتشف فنجان قهوة طلبته في استمتاع.. ليعيد سؤاله من جديد:

ـ "لمـاذا يحبني الجميع، ثم بعدهـا لا شيء!؟"

ـ "لأنك رجل يحترم كلمته وحبه يا صغيري، أنت صادق وواضح ولا تخفي شيئًا عن أحد مهما كان عكس التيار أو منافيًا للواقع.. أما اللاشيء فهو لأنهن لا يصدقن براءتك وسط الذئاب في مجتمعك.."

ثم قامت واقتربت منه، وهي تتمختر في ثوبها الأحمر القصير مكملة في حنـان:

ـ "أما أنا فأصدق رجولتك يا مديري المثيـر.."

رائحة القهوة الممزوجة بالبندق التي يدمنها وصلت إلى أنفه، ليمد يده إلى فنجانه محاولًا تصفية عقلـه بهـا وبسحـرهـا..

جميعهن هو عامل مشترك بينهن إلى جانب شيء آخـر..

قهوتـــــه التي أدمنها الجميع..

لابد أن يقـــرر..

كـلا.. لن يجرح (عتـاب) بالتأكيد، رغم ما تحمله من أسرار لم تخبره عنها بعد.. ولكن من منا بلا أسرار؟ كلا لن يؤذيهـا..

ولكنه يخشى أن يفشل معها في مصر من جديد..

ولكن وبلا إرادة منه اقتحمت عقله كقطار اليابان السريع المزيد من الذكريات.. الانفجار وأصدقاؤه..

(هـاني)، مصري الجنسية، مسيحي الديانة..

(إسلام)، مصري الجنسية، إخواني الهوى..

(أحمد) مصري الجنسية، ذو الروح المرحة..

(حسام) مصري الجنسية، ضابط الشرطة المخلص..

(محمـود) مصري الجنسية، ضابط الجيش المتفاني..

كلهم حملوا نفس الجنسية.. والذكرى..

وفي عصبية بدأت أصابعه تدير الدبلـة، حول إصبعه في سرعة وعصبية، كما يفعل عادة..

مصـــر..

لا يريد أن يعيش بعيدًا عنها.. ولكن مصر تحمل فشلـه..

(عـلا) التي علمته أن الطيبة وحدها لا تكفي..

(ملك) التي قتلته، وقتلها بغرورهـــا..

(لميـس)، ثم (لميـس)، ثم (لميـس)..

(دالـيا) التي لا يدري ماذا حدث لها بعده..

الخـــوف..

الخـــوف ..

عدم الاستقرار الذي لازمه كثيراً هناك..

ثم (عتـاب)..

إنها بريئة في مجتمع معقد.. مجتمع مكبل لعادات وتقاليد بالية قادته إلى الفشـل..

وهو يخاف الفشل!

بلا إرادة منه انتقلت الدبـلة من إصبعـه الأيمن إلى راحـة يده..

كان مسحـوراً.. بالخـوف!

سيهرب من جحيم قيود العادات المترهـلة إياها.. وسيقف بتحدي..

لكن بعيدًا عن مصر وماضية.. فهو حقًا يخشى الماضي..

ووقف (رامـز) منتفضًا، أمام عيني (تاتيانـا) المتسائلة..

وبكل قوة ألقى ما بداخل يده، نحو أبعد نقطة في مياه الخليـج..

ألقى دبلـة (عتـاب).. أو كما قالت له (تاتيانا):

ـ "ليست مشكلتك في هذه الدبلة أو في صاحبتها، ولكنها بالنسبة لعقلك تحمل اختصاراً لكل ماضيك المتشابه المُحَمـل بنفس الثقافة التي أعلم يقينًا أنها تخيفك يا (رومـي)"

لا خوف بعد الآن.. حان وقت القرارات الشجاعة.. ووقت الهروب..

ثم التفت إلى (تاتيانـا) التي احتضنته من ظهره في حب، وهو يتأمل عينيها الساحرتين قائلًا في هيـام:

ـ "هل تتزوجينني يا شمس روحي العاصفة؟"

نظرت له (تاتيانـا) غير مصدقة..

أخيراً.. هل فعلًا نطقـها؟

ليفاجئها (رامـز) قائلًا بهمس رقص لها قلبها طربًا:

ـ "أحبــك.. أحبــكِ أكثر من أي شيء.. أحبــكِ كما لم أحب أحدًا من قبل.. أحبـــكِ وأحب اختلافكِ وحريتي معكِ.."

يا لها من لحظـة ستسجلها بالذهب في تاريخها، وحاضرها، ومستقبلها!

لم تصدق (تاتيانـا) عينيها وأذنيها، وهي تنتفض ودموع الفرحة تهطل من سحب عينيها الزرقاوين..

واحتضنـها.. بكل حب..

وتوحدت دقات قلبيهما بكل صدق..

لقد اقتنصته، وانتصرت.. كلا لم تنتصر، لأن الحب الحقيقي ليس صراعًا للظفر بمن تحب.. ولكنه قدر..

وقبلها (رامـز)، وحمرة الخجل تصبغ خديها..

قبلة خاطفة حملت حبه الخجول الذي بدأ يزدهـر كوردة أعلنت عن نفسها بعد طول انتظار..

ومن بين عبراتـها قالت له في سعادة غامـرة:

ـ "بالتأكيد أقبل أن أتزوج بك يا زهرة الياسمين التي تشبه قلبك الرقيق، وسأظل معك مهما كانت التغيرات التي ستمر بك، أو القرارات التي تتخذها في حياتك صعبة علي أو قاسية.."

ثم اقتربت منه، وهي تنوي أن تقتنص لحظـة طويلة من شفتيه، محملة هذه المرة بطعم الفرح على شاطئ خليـج دبـــي..

وبمنتهى الحب والشراسة، فعلت ما تعشقه كالعادة..

قَـبّلَـتْـــه..

■■■■■■■■■

" أعرف اليوم بأن المرأة هي طريق الرجل إلى الحرية، وحدها المرأة قادرة على أن تحررنا من عبوديتنا.. على الرغم من أنها وحدها أيضًا من يقدر على استعبادنا.. هذه هي معادلة الحياة المعقدة التي لن يقدر أحد على حلها.. المرأة هي لغز الحياة، سرها.. ومأزقها الأصعب الذي لا يفهم "

#أثير_النشمي

#رواية_في_ديسمبر_تنتهي_كل_الأحلام

■■■■■■■■■■

اقترب معي يا صديقي..

لماذا أنت خائف ترتجف هكذا؟ لا تخف.. سوف أجعلك سعيدًا..

قل لي.. ما رأيك في سهرة ماجنة..

لا تقلق.. أنا أعرف أنك ستكون سعيدًا، فأنا لم أحصل على اسمي من فراغ..

إنه اسم أطلقه علي رب العالمين وخالق الكون، ولابد أن تستخدمه لأنني استحققته عن جدارة..

أنا الشيطان بنفسه، ومجازًا بشحمه ولحمه!

أعرف كيف أوسوس للجميع، وأخترق القلوب من نقاط ضعفهم.. وأنت لك نقطة ضعف واضحة رائعة..

الهـــوى.. أنت تعشق التفكير بنصفك السفلي!

تعال هنا معي لتستمتع بملمس البنات والفتيات اللاتي يردن النسيان..

كل فتاة هنا لها سببها الكافي للانغماس في عائلتي.. واسمح لي فأنت ستلعب بقواعدي أنا..

ما بين مفتقدة لحنان الأم والأب، بعضهن في مماتهن وبعض آخر أسوأ.. لأنهن يفتقدون أهلهن وهم على قيد الحياة بكامل طبعهم وإرادتهم.. وهناك المجروحات من قصص حب فاشلة يحاولن الانتقام من من جرحوهن في صورتك أنت!

انظر معي، وتأمل جمال هذا المنظر وروعته، اندمج من فضلك، وكن جزءًا منه..

دخان الشيشة المعبأ برائحة الفواكه المختلفة يخرج من أنوفهن كما المحترفات، رغم أن بعضهن حديثات العهد بذلك.. فأنا أعرفهن جميعًا واحدة واحدة..

ولا مانع من بعض نسمات الحشيش الذي يمحو الآلام والأحزان، ويعبر بشاربه القارات والمحيطات.. يقولون عنه أنه اكسير الحياة..

لقد ابتعدوا عن طريق الإيمان والرضا بقضائهم وقدرهم.. فضلوا الطريق بين دهاليز الغضب والاعتراض..

حتى أتيت أنا ونصبت نفسي الشيطان الأب، واحتضنتهم جميعًا بيدي الحانية..

تعال معي لأعرفك بأحدثهن انضمامًا لصفوف الانحراف.. ولكن احذر منها فإذا كنت تنوي أن تقترب من طاولتها لتتحدث معها، وتجعلها تشاركك ليلتك فاعلم أنها بكر، ولابد أن تفعل ما ترغبه بدون أن تقترب من هذا الشق، لأنها لم تنضج في الانحراف بعد، ولهذا فهي لن تسمح لك بأخذ ما لا ترغب أن تعطيك إياه.. هذا هو شرطي يا عزيزي..

ماذا تقول؟ تقول أنك قبلت الشرط ومستعد لإنفاق المال من أجلها؟ إذن هيا بنا لأعرفك إياها دون إضاعة المزيد من وقت الشهوة الثمين..

فتاة من أسرة متوسطة هي رغم ملابسها الباهظة الثمن والتي تحمل اسم أشهر الماركات.. تخفي أكثر مما تظهر..

أعرف هذا الصنف، وأشعر بهذا القلب جيدًا.. قلب ذاق مرارة الهوى وانغمس في الاعتراض على القدر.. أتعرف ماذا يفعل هذا المزيج؟ يخلق -كما هي الآن- المادة الخام للشر المجسم..

وفي عقل هذه الفتاة وجدت لحياتها هدفًا لاقتناص متعة جديدة!!

أن تجعل الرجال يتعلقوا بها حتى الإدمان.. ثم تكسرهم جميعًا..

تنفثهم كما تنفث دخان شيشتها الممزوج ببعض الحشيش من أنفها.. تجعلهم دخانًا!

إنها ترس رائع وجديد، بدأ عمله للتو في آلة هذا المجتمع الذي استطعت بمجهوداتي وأفكاري، وبمساعدة زبانيتي ورجالي على الأرض أن أجعله هشًا نَخِرًا!

إنها تحفة حقيقية من الشر المتحرك بأذرعة الانتقام تمشي على قدمين.. حتى نظرتها أصبحت رائعة.. تحولت نظرتها السابقة الطيبة، إلى نظرة خبيثة لعوب، يبحث عنها الرجال على اختلافهم دائمًا.

لقد أصبحت شيطانة صغيرة رائعة، تأتمر بأوامري وتحاط برعايتي الشيطانية..

ماذا؟ هل أعجبتك؟ تريد أن تعرف اسمها لتبدأ معها الحديث!؟

يا صديقي في عالم الشر بكل فئاته لا تهم الأسماء أو الألقاب.. فقط الأهم هو أن نضيف لمعسكر الساقطات والمنحرفات شخصية جديدة.. ناقمة ومنتقمة..

شخصية تزيد من انحلال جزء من المجتمع المصري المذهل الذي كان نموذجيًا في الماضي السحيق،

قبل أن يتحول إلى مجتمع سهل، متناقض، راقد في بحر من الغفلة، يذهب فيه بعض الناس للصلاة دون تركيز، وهو يتحادثون، ويتشاورون معي أثناء صلاتهم، آخذين رأيي في أمور حياتهم.. ثم يخرجون ليعزموني على بعض الحشيش أثناء مشاهدتهم للأفلام الجنسية على الإنترنت، ما جعلهم يحصلون على مرتبة متقدمة

في أكثر الدول التي تبحث عن كلمة جنس عبر محركات البحث العالمية في هوس يسعدني، ويدلل على نجاحي!

لكنني يا صديقي سأريحك وأخبرك باسمهـا..

اسمهـا (دالـيـا)!

■■■■■■■■■■

استمرت أسئلة أمها للشيخة (عـفاف)، وهي شاردة في أفكارها، وكل ما سيطر عليها في تلك اللحظة قـرار..

أنها ستقتنصه..

مهما كانت التضحيـات لهذا..

حتى لو كانت التضحية جسدًا تقدمه له راضية على طبق من ذهب..

■■■■■■■■■■

" الطبيعي بأة إني لما أعوز أدور في ماضي حد أروح لدجالة وأسميها شيخة!؟ قوليلي أنا أثق فيكي إزاي بعد كل ده!؟ الضعف اللي إنتي فيه ده إنتي اللي حطيتي نفسك فيه، لإنك عايزة تلبسي توب مش بتاعك بدل ما تقنعيني وتوريني جمال توبك! "

■■■■■■■■■■

تعلم أنها خاسرة لا محالة، لكنها فقط روح التحدي بداخلها تنادي، وهي تعلم أن هذه الروح تنتظر منه خيارًا من بين اختيارين لا ثالث لهما..

إما أن يخضع لإرادتها، ويذوب بها عشقًا، كما ترى في عيونه حين تتحدث عنها معه.. وكل ما

يهمها، وتتمنى حدوثه هو هذا..

وإما أن يطلق على روحها المتحدية رصاصة واحدة أخيرة..

رصاصة النهاية..

والرحمة..

■■■■■■■■■■

"في سعيك للانتقام احفر قبرين.. أحدهما لنفسك"

#دوج_هورتون

■■■■■■■■■■

"أعرف أنني أمضي إلى ما لست أعرف"

#محمود_درويش

■■■■■■■■■■

الفصل الخامس عشر

روايـــــتـــــــــي

أغلقت (عتـاب) آخر صفحات الرواية بعد أن انتهت منها، وجلست تتأمل كلمة (إيروس) المكتوبة بخط عريض على الورقة الأولى التي تحمل عنوان الرواية في سكون، وهي تعيش حالة اندماج مع الرواية، قادتها للذهول.. ولم يكن مصدر ذهـولها هو ما حدث للشخصيات فحسب، صحيح أنها قد تفاعلت، وأحبت (تاتيانـا) كثيرًا، وحزنت حتى الكمد لموت (عـلا)، وتعاطفت للغاية مع كل ما حدث لـ (دالـيا)، وحاولت استيعاب (لميـس)، ولم تفهم بعد كيف ستسير الحياة بـ(ملـك) خلال بحثها عن (رامـز).. ولكن ما أثار ذهولـها بشكل أكبر، هو أن زوجها (رمـزي) هو من كتب هذا الكيان الشيق المتماسك!

(رمـزي الحلفـاوي).. زوجها الذي جاء من دبـي فجأة لظروف عائلية، وأتمّا زواجهـما بقرار مفاجئ منها، وقال لها أنه يريد أن يعود للعيش في مصـر رغم كل السلب بها.. قبل أن يقرر أن يعود إلى دبي مرة أخرى، مكتفيًا بأجازة سنوية، وهو يحدثني عن الانتقال للعيش هناك في دبـي، والهجرة إلى الأبد!

وقتها حاولت أن تفهم سبب تغير شخصيته الجذري، وكثرة قراراته المُفَاجِأة التي اتخذها منذ جاء من هناك.. لكنه حين كانت تسأله كان يجيبها نفس إجابته المعتادة التي لم تتغير مع تغير شخصيته!

الغمــوض.. والصمــت!

ولهذا تفاجأت بهذه الرواية، خصوصًا أنها روايته الأولى، وتساءلت في قرارة نفسها لماذا كتب هذه الرواية في الأساس!؟

بحس الأنثى تعلم بأن هذه الرواية تحمل حقيقة ما تختفي بين سطور الرواية البريئة..

(رامـز) هـو وجه العملة الآخـر لـ(رمـزي).. نفس العقلية والتصرفات..

حتى شخصية (عتـاب) بأحداث حياتها في الرواية، هي نفس الاسم، والشخصية، والخلفية الاجتماعية، ببعض أحداث حياتها الهامة التي حكت بعضًا منها لـ(رمـزي) بعد الزواج، وأخفت عنه جزءًا آخر من حياتها، وجدته مكتوبًا بتفاصيله الكاملة في الرواية بشكل مريب، ما جعلها تتساءل من أين عرف ذلك؟ أم أن هذا من قبيل التشابه المريب فقط لا أكثر!؟

حتى مكالمة الراديو المكتوبة في الرواية تتذكر أنها أجرتها قديمًا، نفس التفاصيل ونفس السيناريو مع اختلاف اسم المتصلة! ونفس الحلم الذي روته لأمها فقط وجدته مكتوبًا بحذافيره!

أيعقل أن يكون كل هذا حقيقيًا، وأن لها يد في موت (عـلا) حقيقية في مكان ما؟

هل يا ترى وقع في الحب حين كان في دبي وقت أن كان خطيبها؟ وهل كان في حياته كل تلك العلاقات حقًا!؟

حين تزوجته احترمت حفاظه على أسرار ماضيه وعلاقاته، حتى ونحن أصدقاء مقربين.. كل ماضيه بالنسبة لي غامضًا مبهمًا.. وحين كنت أسأله كان يقول لي بغموض:

ـ "متستعجليش، كل حاجة في الحياة ليها طريقة ووقت مناسب يتقال بيها الحقيقة، علشان تبقى سهلة البلع ساعتها!"

حقًا لقد أثارت هذه الرواية الكثير من علامات الاستفهام التي شغلت تفكيرها، ولكن الحق يقال أنها استمتعت بها كثيراً، وتتمنى أن تراها منشورة، ولها مكان مميز في أفضل المبيعات لعالم الكتب المثير الذي تحبه ويستهويها.

لم لا!؟ كل كاتب كبير بدأ حياته وروايته الأولى دون أن يخطط لأن تنشر وتنتشر، حتى وجد من يتحمس لها، ويصدقها، ويمشي على طريق تحقيق أمنية نشرها حتى تصبح حقيقة.. وهي صدقت هذه الرواية، وستستغل علاقاتها المنتشرة بحكم عملها مذيعة راديو لها ثقلـها، لنشرها، وإيصالها لكل الناس.

ـ "سرحانة في إيه يا مـزتي؟"

انتفضت (عـتاب) في رعب، وأسقطت الرواية على الأرض حين قطع سؤال زوجها حبل أفكارها وخواطرها.

ـ "يااااااه! إيه الخضة دي!؟ يبقى خلصتي الرواية طالما اتنفضتي كده.."

نظرت (عتـاب) لزوجها، وهو يبتسم لها بغمازتين أضافت لوجهه وسامة طاغية، ثم لم تستطع كبح جماح فضولها الأنثوي، لتسأله قائلة في فضول:

ـ "هو (رامـز) ده هو انت!؟"

انطلقت ضحكة (رمـزي) كمدفع رمضان، لتزيد ضحكته من حيرتها، وهو يقول لها في غموض معتاد:

ـ "وحتفرق معاكي في إيه إذا كنا نفس الشخص ولا لأ؟ ثم إيه اللي مخليكي حاسة إننا نفس الشخص أساسًا؟"

ـ "انتو زي ما تكونوا فولة واتقسمت نصين، نفس الشخصية ونفس الفلسفة، أصلًا أنت عمرك ما حكيتلي عن ماضيك، أو علاقاتك، وتجاربك اللي فاتت، حتى فترة دبـي بالنسبالي غامضة، ومبهمة رغم إني كنت خطيبتك!"

ثم نظرت ليده وهي تتأمل تلك الندبة التي يخفيها بقميصه، وهي تكمل قائلة في استغراب:

ـ "وعندك مثلًا الجرح اللي في إيدك ده اللي معرفش سببه، غير إنها حادثة قديمة حصلتلك، ومش عايز تتكلم عليها، أو تفتكرها، وخلاص.."

ثم أطرقت برأسها مفكرة، وهي تتأمل ابتسامته الغامضة كالعادة، وهي تتابع الحديث بصوت خافت، وكأنها تدير الموضوع في رأسها:

ـ "حتى (عتـاب) هي هي أنا.. نفس ظروف ما اتقابلنا، ونفس أفكاري، ومشاكلي، وعُقَدِي، ومواقف حياتي الحقيقية، وحتى حاجات أنا ما حكيتهالكش انت كاتبها بتفاصيلها، طب إزاي!؟"

ثم توقفت فجأة دون أن تتابع حديثها، وهي تنظر له في استغراب..

وفي هدوء خلع (رمـزي) جاكت بدلته، لتنتبه (عتـاب) وقتها فقط بأنها كانت تكلم زوجها وهو لم يخلع ملابسه بعد.. فقامت تتناول منه الجاكت لتعلقه في خزانة ملابسه، وهي تنتظر منه أي تعليق.

ولم يبخل عليها (رمـزي) بدوره، الذي استرخى على الأريكة، وهو يفك ربطة عنقه الحمراء قائلًا:

ـ "هو إنتي ليه عايزة تفرغي الرواية من محتواها، وتركبيها عليا أو عليكي؟ ما تجربي تقريها وتحسيها كحالة استثنائية وقوليلي رأيك فيها.."

ثم بخطوات هادئة توجه (رمـزي) إلى المطبخ الأمريكي الطراز والمفتوح بشكل أنيق على الصالة، وبدأ يحضر لنفسه فنجانًا من القهوة المنكهة بالبندق، حين جاءه صوت (عتـاب) قائلة:

ـ "ماشي، أنا معاك على إنها حالة مليان لخبطة مشاعر كتير، حبيت (تاتيانـا) جدًا، وزعلت أوي أوي على (عـلا) كأني كنت هناك، وحاولت أفهم (لميـس)، وإذا كان (رامـز) اتعالج من حبها بجوازه من (تاتيانا) ولا لأ؟ صعبت عليا (داليـا) الصراحة، رغم أنها كان لازم توصل لده بسبب دماغها، ومش عارفة (ملك)

حتعمل إيه بعد كده.. بس وسط كل ده أنا عارفة دماغ جوزي كويس، انت عايز توصل لحاجة أعمق من كده بكتير.."

جلس (رمـزي) على الأريكة بعد عودته من المطبخ، ثم ارتشف فنجان قهوته في استمتاع، قبل أن يجيبها ساهمًا:

ـ "هي رواية فيها لسان حال شباب كتير غيروا مجرى حياتهم، والمقتدر منهم سافر من مصر لبرة مصر بسبب قصص حب كسرتهم، وخلتهم يكرهوا نفسهم، ووسط محيط مليان ظروف كرهتهم في بلدهم.. الفكرة بأة إننا قبل ما ندخل في أي علاقة لازم نبقى مسؤولين، وعارفين إحنا بنعمل إيه، لإن العلاقات دي لو خلصت للسلب، فممكن تبدأ دايرة جديدة من الجرح الموجع اللي بيتنقل بسرعة، ومبيحطلهاش نهاية غير حد صادق، وناضج، وعايز يعيش، ويحب بجد.."

ـ "آه عارفه الفكرة دي.. عيب يا ابني ده أنا صاحبة نظرية دايرة الفقد والتمـسك إياهـا.."

رشف (رمـزي) رشفة ثانية من الفنجان، وهو يكمل قائلًا في تفكير:

ـ "الفكرة بأة إن المفاهيم اللي سايدة في مصر عمرها ما تساعد في نجاح أي علاقة، لأن الخوف دايمًا هو الشيطان المسيطر.. على الرغم من إن التفكير العاقل والرؤية المستقبلية ممكن يحلوا حاجات كتير، علشان كده إحنا أوقات بنحتاج الجرأة والشراسة فعلًا في الحب والحياة.. والأهم من كل ده بأة إننا نبقى مختلفين، وندور دايمًا عن الاختلاف، أحيانًا المشي عكس التيار، واللي اتعودنا واتربينا عليه بيبقى صحي، ومفيد جـدًا.."

ـ "قصدك بنحتاج إيـروس؟"

هكذا غمغمت (عتـاب) في خفوت، ليرد عليها (رمـزي) بعينين لامعتين:

ـ "بالضبـط.."

ثم ارتشف رشفة أخرى من الفنجان، لتقاطع شروده زوجتـه، وهي تقول في انفعال أنثوي:

ـ "بس برضه أرجع أقولك إن القصة دي حقيقية.. إحساسي بيقولي كده.."

ضحك (رمـزي) وهو ينظر إلى تعبيرات وجهها الجميلة، قبل أن يرد في غموض:

ـ "الفرق بين الخيال والحقيقة شَـعْرَهْ الكاتب بس هو اللي يقدر يعرفها، ودايمًا كل الكُتابْ بيحطوا أثـر منهم في قصصهم، وكتاباتهم سواء بأة شخصيتهم، أو أفكارهم، أو فلسفتهم، أو أحداث من حياتهم الشخصية.. وبعدين افتكري جملتي دايمًا.."

ثم أغمض عينه في غموض، وهو يتابع مبتسمًا قائلًا:

ـ "متستعجليش على حاجة، كل حاجة في الحياة ليها طريقة، ووقت مناسب يتقال بيها الحقيقة، علشان تبقى سهلة البلع ساعتها!"

هنا ارتفع رنين جرس هاتفه برنة قصيرة مباغته، فأخرجه من جيبه، وهو ينظر للشاشة مبتسمًا..

ـ "ميــن؟"

هكذا سـألته (عتـاب) في ترقب، ليرد عليها قائلًا في مرح:

ـ "لأ، عادي ده حد عزيز عليا من دبـي بيرنلي.. بقولك إيه ما تقومي تلبسي، وتعالي نخرج ناكل في أي حتة يا مـزتي.."

قفزت (عتـاب) من مكانها في فرح، وهي تطبع قبلة على خده، وهي تقول له:

ـ "حبيبي يا (رمـزي).. حأقوم أجهز نفسي هــوا.."

ثم اندفعت إلى غرفتها، لتبدأ رحلتها الشخصية مع الملابس والمكياج، تاركة رمزي في الصالة وحيدًا، والذي أمسك هاتفه وهو يبحث عن اسم من اتصل به أثناء

وجود (عتـاب) معه، ثم ضغط زر الاتصـال، وهو ينظر إلى الاسم الظاهر، والابتسامة تملأ وجهه..

ابتسامة عامرة بالذكريـات..

والحنيــن..

وبلمسة حانية اتجه إبهامه إلى الاسم، وهو يمرره على حروفه الظاهرة التي مزجت الماضي بالحاضر، والخيال بالحقيقـة..

اسم (تيـــــنا)!

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

روايتـــي..

وقهوتـــي..

وسرحـان في أحلامـــي..

وأفكار تفوح محملـة بأقلامي..

تسطـر كل لحظـاتي..

وآمالـــي..

وآلامـــي..

◘◘◘◘◘◘◘◘◘

وقفت (عتـاب) أمام دولاب ملابسها، وهي تجرب العديد من الملابس في خطوة تعرف حيرتها كل فتاة، لتستعد للخروج مع زوجها (رمـزي)، وهي تحاور نفسها في حوار هامس، وما زالت أحداث الرواية، وشخصياتها عالقة بذهنها..

أنا (عتــاب سعيـد) تمامًا كما في الرواية..

مذيعة برنامج حكاوينا على إذاعة طنطاوية أونلاين..

وأنا الحقيقـة..

حين قرأت رواية زوجــي (رمـزي) تفاجـأت حقًا.. تفاجأت من تحول علاقتي معه، من صديق حميم مقرب، يحترم هذه العلاقة بيننا، ويتبادلان الحديث والنصائح، غامضين فيما يتعلق بالحديث عن ماضيهما معًا، دون أن يحاول أحدهما الضغط على الآخر لمعرفة ما ليس له، وفي نفس الوقت يحترم خطيبته في ذلك الوقت، إلى خطيبي الذي أتى من دبـي بعد أن اختفى فجأة دون سابق إنذار، ولم أجرؤ على الاتصال بأهله لمعرفة السبب، رغم أن القلق كاد يقتلني وقتها، وحين سألته عن سبب ذلك الاختفاء قال لي وقتها أنه اضطر للسفر دون إبلاغ أحد بذلك! ثم إلى زوجـي، وحفل زواجنـا الذي حدث في ظروف استثنائية، وكنت أنا من اقترحت التعجيل بوقته مبكرًا للغاية عن الوقت المخطط له، إلى تلك الروايـة التي جعلت منـي شخصية تطابق واقعي دون أن يغير حتى اسمي وخلفيتي في روايته.

إنها رواية كاللغـز بالنسبة لـي.. كالسـم في العسـل..

أعرف بأن تسعين في المائة منها، ومن أحداثها حقيقيـة.. بحس الأنثى أشعر بذلك..

ولكنني رغم ذلك أشعر بالسعادة.. فبافتراض أن هذه الرواية حقيقية، وأن كل الشخصيات التي عايشها في السابق لم تكمل قصتها معه بنجاح.. فأنا اقتنصتـه..

(رامــز) كما في الروايـة..

(رمـزي) كما في الحقيقة..

لا يهم الاسم فهما وجهان لعملة واحدة..

وسأكون أنا الاختـلاف في حياته..

سأحيي معه دائمًا رسالة الحب، تلك الرسالة السامية التي لا تكتمل الأشياء في حياتنا إلا بها.. فبالحب تكتمل الأشياء كما يقول دائمًا..

صحيح أنني مازال يطاردني ذلك الحلم، وذلك الهاجس بأن السرطان سوف يعود من جديد يتملك حياتي، خصوصًا بأن الجزء الأول من الحلم قد تحقق بالفعل!

(رمـزي) المسكين لا أدري كيف سيعيش بعدي إن حدث هذا!

أعلم بأنه يحبني.. بقلب الأنثى أشعر بهذا..

لا أدري، ولكنني أشعر بأن الأيام القادمة، بل وربما هذا العشاء الذي سوف نذهب إليه الآن، ستكشف لي الكثير من الحقائق التي ستغير لي حياتي للأبد..

وستفسر لي سر روايته الأولى..

إيـــــروس..

■■■■■■■■■■

صحيح أنني ما زلت خاضعة لعلاج وقائي طويل المدى، وأن احتمال رجوع السرطان لي واردة بشكل كبير، لكنهم قالوا لي بأن ذلك يختلف بين شخص وآخر، وقد يكون حظي أفضل من الجميع..

■■■■■■■■■■

لا تعرف لماذا هي هنا، ولكنها تُسْحَبُ رغما عنها إلى هناك.. تلقي نظرة لتكتشف أنها في مسجد آخر! صلاة جنازة تقام هنا بعدد أقل من الصفوف.. يصلون خلف جثمان تعرفه جيدًا هذه المرة.. تشعر به.. لأنه وبمنتهى البساطة جثمانها هي!

■■■■■■■■■■

ما زلت أنتظر أن أتحرر منه كما تحررت من السرطان رغم قسوته..

وأن أشفى منه.. من شـــادي..

■■■■■■■■■■

#ويك_إند_إستاتس

من يستحقني هو رجل لا ينتظر فرصة مني..

بل سوف يخلق فرصة بنفسه..

سيفعل المستحيل لأجلي..

سيرسم لي ما تبقى من حياتي.. معه..

وسيجعلني من أولوياتـــه..

وسيخطط لحياة تجمعنا سويًا..

#عتاب_سعيد

#برنامج_حكاوينا

#طنطاوية_أونلاين

■■■■■■■■■

الفصل السابع عشر

أصل الحكـــــــايـــة

جلس (رمـزي) وحيدًا في استرخاء على مقعده الوثير في الصفوف الأمامية بأوبرا دبـي العالمية، ذلك المبنى الرائع المصمم على شكل سفينة مستقرة على الأرض، والمطل على نافورة دبـي الراقصة ذلك النموذج العربي الوحيد في الشرق الأوسط لنوافير لاس فيجاس الراقصة الشهيرة، والذان يجاوران برج خليفة الشامخ عنوان دبـي في عقول وأذهان العالم أجمع.

وبنفس عميق وعين مغمضة، حلق عاليًا مع أنغام موسيقى عمر خيرت المصرية الأصيلة، والذي يعزف أمامه هو والأوركيسترا المصاحبة له بعض من أشهر مقطوعاته الموسيقية في حفلته السنوية التي اعتاد (عمر خيرت) إحياءها في دبـي، واعتاد (رمـزي) أيضًا حضورها وحيدًا ليغسل روحه ويراجع أحداث حياته، مفكرًا ومتأملًا على هذه الخلفية الموسيقية المذهـلة المحببة، وليقترب من وطنه الذي يبعد عنه قارة بأكملها.

(إيــروس) الرواية كانت أهم محطات فترة حياته القريبة السابقة..

حسنـًا.. إنها رواية حقيقية بالكامل بشخصياتها وأحداثهـا.. رواية كتبها خصيصًا لقارئ واحد فقط!

واستعاد ذهنه أحداث حياته منذ أن كان مع (تيــنا) في فندق أطلانتس الشهير عارضًا عليها الزواج في نهاية الرواية، وفي وقت ليس بالبعيد من الحقيقة وعالم الواقع..

أجل لقد تزوجهـــا..

تزوجها بعد ذلك في حفل زفاف أوروبي نهاري بسيط، كانت فيه فاتنة رائعة الجمال بفستان زفاف أبيض مبهر، ساهم مع دلالـها وقوامها الرشيق المبهر، ومكياجها البسيط الملفت في نفس الوقت في جعلها أشبه بالأميرة كما نتخيلها جميعًا منذ الصغر.. بينما اشترك هو و(ستيبان) في نفس لون البدلة الرصاصية اللون مع بابيون بنفس الدرجة، وبنطلون أسود مشابه للون ياقة جاكت البدلة، وحذاء فيرنيه لامع أسود أنيق.

وانتقلت (تيـنا) للعيش معه مع ابنها الذي أضحى ابنًا له أيضًا في شقة بسيطة استأجرها، وبدأ حياته بالمضي قدمًا، وفي ذهنه شخصان لا يدري كيف سيخبرهما بقراراته التي اتخذها مؤخرًا..

أمـــــه..

و(عتــاب)..

أجـل.. فهو لم يقطع علاقته بها بعد، لم يجد الشجاعة والجرأة بعد ليفعل ذلك.. ماضيه وعلاقاته جعلاه يخاف من أن يجرح مجددًا، ويبدأ دائرة جديدة من الألـم لشخص جديد.

كان يحكي لـ(تيـنا)، ويصارحها بكل شيء، حتى بخوفه من أن يقطع علاقته بـ(عتـاب)، والحق يقال أنها كانت ناضجة للغاية، وأعادت على مسامعه نفس ما قالته له في السابق مرارًا وتكرارًا:

ـ "أنا أحبك، وسأتقبلك مهما كان ومهما فعلت، حتى لو قررت أن تكمل حياتك مع خطيبتك، وتتزوجها، وتحتفظ بحياتي، وزواجي بك -إن قبلت- في السر.."

كان هذا بالنسبة لي لغزًا جديدًا، لماذا تقبل هذا الوضع رغم أنها هي الزوجة الأولى، وحين سألتها كانت تقول لي أن هذا سرها الوحيد الذي تريد أن تحتفظ به بعيدا عني، وطالبتني بأن أحترم هذا من أجلها.

وهو ما فعلته بالفعـل..

ولكنني أيضًا لا أعلم كيف سأخبر أمي بذلك، ناسفًا حلمهـا بأن ترى ابنها بالبدلة في يوم زفافه؟ خصوصًا بأنها قاست معي في كل تجاربي السابقة، وكانت هي ظهري، وسندي، في كل الارتباطات السابقة، حتى أنها كلمت (لميـس)، وترجتها بأن تعود لي، في موقف أغضبني حين علمت به فيما بعد.

■■■■■■■■■

حتى أمه حدثتني هاتفيًا، وقد كنت أعزها، وأحترمها كثيرًا، وترجتني وقتها أن أعيد الروح له برجوعي إليه.

■■■■■■■■■

كانت أمي صديقتي الصدوقة، أول حب حقيقي صادق صافٍ في حياتي، علمتني أن أكون واضحًا صادقًا فالحياة قصيرة لا مجال فيها للف والدوران، كانت تقول لي حين تأخذ أي قرار في حياتك، كن رجلًا وواجه تبعاته كاملة بالسلب أو الإيجاب.

كانت سري طوال حياتي، كنا نفكر سويًا في أمور حياتنا منذ صغري في حوار ثقافي راقٍ نادرًا ما تجده بين الأم وابنها، منها تعلمت أن القراءة كنز يفتح لك عقول البشر في العالم، وحين كبرت كنت أشتري الكتب، ونتشاجر دائمًا شجارًا مرحًا في من يبدأ قراءة الكتب والروايات التي اشتريتها أولًا.. لقد صنعت مني أنا وإخوتي رجالًا بحق، ناضجين، ومسؤولين، ونتحمل نتاج تصرفاتنا دون خوف، هي من قالت لنا أن المشي عكس التيار مفيد، وأن الشخص المختلف عملة نادرة في الحياة، لكنه كالمغناطيس يشد حوله المختلف دائمًا، وهو ما حدث لي في حياتي حرفيًا فيما بعد.

كانت هي من ساندتني بقوة، ورفعت من روحي المعنوية بعد الانفجار.. كما شاركتني في رحلة العلاج بصبر وإيمان، أصبت بالعدوى بهما منها.

صادَقَتْ الكثير من أصدقائي البنات دون أن تشعر، أو يشعرن أنها مختلفة عنهن، رغم فرق السن، أمًا حنونًا للجميع، وصديقة وفية مخلصة لي ولهن.. وهي تحب (عتـاب) كثيرًا..

هل تتخيل تعقد موقفي الآن كيف كان؟

من جهة كنت أشعر بالحاجة الماسة لأخبرها بما فعلت من زواجي بـ(تيـنا)، حتى أحصل على رضاها وبركة دعائها، كما أفعل دومًا.. ومن جهة أخرى موقفي ضبابي مع (عتـاب) التي تحبها أمي.. (عتـاب) التي يجمعني بها الكثير من المواقف كأصدقاء، وتندر المواقف بيننا كمخطوبين..

وندرة المواقف هو شيء طبيعي لمن خطب ثم تغرب، فالعلاقات في البُعـد تتحول إلى حب إليكتروني عبر الكمبيوتر والإنترنت.. لمسة اليد عبارة عن لايك على بوست في الفيسبوك، وكلمات الحب التي تقال وجها لوجه في المعتاد، تصل في الغربة باتصال صوتي، أو مكالمة فيديـو متقطعة نتيجة شبكات الإنترنت ذات الاتصال البطيء العقيم.

الكثير من العلاقات بين المغتربين قتلها البعد، من مبدأ (البعيد عن العين بعيد عن القلب) إياه، ولكن رغم ذلك هناك عدد لا بأس به من العلاقات التي تنجح أيضًا، ولا يمكن إنكارها.

وعلاقتي بـ(عـتـاب) كانت تدل على حبها وأصالتها بالفعل، وصداقتها لأمي ومؤامراتهما علي كانت شيئًا مبهجًا لي بحق.

ولكن كل هذا تغير، وألقى بي إلى منطقة أخرى في حياتي، حين أتاني هاتف مفاجئ من أخي يطالبني بالعودة على وجه السرعة دون أن يقول لي الأسباب على التليفون.. استطاع صوته بالفعل أن يملأ روحي وقلبي بالرعب والجزع.

هكذا تجدني أُقَـبِّلُ (تيـنا) و(ستيـبان)، وأنا أنزل مهرولًا مسرعًا في طريقي إلى مطار دبـي، ومتجهًا إلى مطار القاهرة الدولي حاملًا حقيبة صغيرة، ومفعم بقلق حاولت (تيـنا) أن تخفف من حدته قليلًا، وهي تقول لي:

ـ "لا تقلق يا صغيري، كل شيء سيكون على ما يرام، ومهما يحدث اعلم دائمًا أن لديك زوجة تقف

بظهرك، وتساندك كظلك، وستكون معك دائمًا مهما حدث"

كانت أطول رحلة سفر في حياتي.. حتى قابلت أخي، وقال لي الحقيقة الصادمة!

مهلًا.. نسيت أن أقول لكم أن أمي متعافية قديمًا من سرطان الثدي!

■■■■■■■■■

السرطان ليس مبهجًا كما صوره الإعلام والإعلانات فيما بعد، إعلامنا رائع ككل شيء في مصر، اختزل السرطان، وقدمه للناس كمرض رمضاني يطل برأسه بحثًا عن التبرعات أثناء تناولهم لطعام الإفطار، وإظهار مريضه بأنه يستحق الشفقة مدمرين بذلك الإرادة النفسية التي يلزمها هذا المرض كي يقهر.. ألا لعنة الله على من تسبب باكتساح مرض السرطان لمصر كبارًا وصغارًا، سواء كان بقمح أو بأسمدة مسرطنة جعلتنا نتبوأ منزلة متقدمة وسط الأمم في انتشار السرطان على خريطة أمراض العالم..

■■■■■■■■■

لن يشعر بألم مريض السرطان إلا مريض مثله.. ولن يشعر بألم فقدان الحبيب إلا من مر بذلك..

■■■■■■■■■

سرطان الثدي.. ذلك الرفيق الذي لازم أمي في رحلتها، ورحلتنا معها رغمًا عنها وعنا أثناء العلاج حتى الشفاء.. اكتشفته أمي مبكرًا في المرحلة الأولى، هي من قالت لي بأن السرطان هو أربعة مراحل، الاكتشاف المبكر يجعل نسب الشفاء تصل إلى ٩٨% في المرحلة الأولى، لتقل إلى ٩٣% في المرحلة الثانية، ثم ٧٣% في المرحلة الثالثة و٢٢% في المرحلة الرابعة.

اختارت أمي بنفسها مكان علاجها..

وتابعنا رحلة العلاج الراقية النظيفة هناك، ونحن نرى التفاؤل بين عيون المريضات والممرضات على السواء.

الكل.. وظلت أمي رغم قسوة العلاج، وتساقط شعرها في نظرنا قوية رائعة.. وبهية..

حتى شفيت تمامًا من هذا الكابوس اللعين..

كل هذا مر أمامي كشريط سينما، حين ألقى أخي علي الخبر كالصاعقة..

لقد عاد السرطان لها من جـديد.. عاد فجأة، وفي المرحلة الرابعة، والمرحلة الرابعة لمن لا يعلم هي مرحلة متقدمة للغاية من مراحل المرض..

قال لي بأنه قد عاد في الرحم، واستأصلوه بعملية جراحية، فشلت بسبب خطأ طبي رآه الطبيب بسيطًا، هربت منه خلية سرطانية أثناء الاستئصال ضربت في عمودها الفقري، ثم في الكبد والرئـة!

المشكلة أنهم أخفوا عني كل هذه التطورات، وحين لمتهم على ذلك قالوا بأنها كانت رغبة أمي التي لم ترد أن تقلقني!

قالوا لي فقط حين أخبرهم الطبيب بالكارثة بعد فوات الأوان..

أنها لم يعد لديها في الحياة إلا بضعة أشهر لا يعلمها إلا الله!

المشكلة أنهم لم يخبروها بأي شيء من هذا.. قل لي بالله عليك كيف تخبر جزءًا من روحك بأنه سينطفئ قريبًا جدًا!؟ غضبت، وصرخت في وجوههم بالطبع، وبكيت كثيرًا يوميًا لأنهم لم يخبروني بحكم أنني أخوهم الأكبر، لكنهم كانوا في نفس الصدمة تقريبًا.

وهكذا كان لابد لي أن أكذب أنا أيضًا عليها، كان مكتوبًا علي أن أراها كل يوم تتألم وعلى وجهها ابتسامة مؤمنة راضية.. ثم أخبرها أن كل شيء على ما يرام، وأن أبث روح الأمل فيها دائمًا.

وبدأنا رحلة جديدة بين المستشفيات، ما بين مستشفى الأورام بطنطا، ومستشفى الكبد بالمنصورة، وعدة أطباء متخصصين في القاهرة والإسكندرية، بحثًا عن أمل ما هنا أو هناك.

وبدأت حالتها الصحية تتدهور يومًا بعد يوم، والغريب والملفت وقتها أن إخوتها أو أخوالي وخالاتي لم يكونوا متواجدين للعناية بها بحجة انشغالهم في حياتهم، حتى بعد أن علموا بحقيقة وضعها الصحي.

كانت (عتاب) هي ظهرها، وعكازها، وسندها خلال هذه الرحلة، ابنتها التي لم تنجبها كما قالت لها أمامي.

وبدأت المواقف بيننا تفرض نفسها، كمخطوبين حاليين، وصديقين قديمين.. كانت تشبه أمي كثيرًا، مميزة، وتحب عائلتي، وأمي بحق.. أصيلة، ومختلفة، نتيجة تربيتها، وتجارب حياتها..

حتى جاء ذلك اليوم!

كنت جالسًا بجوار أمي في منزلنا ذات يوم، منتظرًا زيارة بعد عدة ساعات لـ(عتاب) كعادتها اليومية، كان عندي شغف لأن أعرف في ماذا تفكر، أردت أن أعطيها إشارة بقرب أوانها لتستعد للقاء رب العالمين، وانطلق شغفي إلى لساني سائلًا إياها:

ـ "ماما، هو إنتي مش خايفة من الموت؟ نفسي أعرف إنتي حاسة بإيه دلوقت؟"

نظرت لي، وابتسمت، ثم أمرتني أن أحضر ذلك الدفتر الذي تكتب فيه مواقف، ومقتطفات، وكلمات تعجبها، بين الوقت والآخر.. قالت لي بأن أفتح آخر صفحة،

وأن أقرأ ما بها بصوت عال، قلبت الصفحات في سرعة، ثم قرأت بصوت عال، وببطء، وكأنني أهضم هذه الكلمات:

«إنني أثبت على أرضية الأمل، وزلزال السرطان يضربني في قسوة، كيف تتبدل مواقف، وتسقط أقنعة، وأتلقى الدعم الصحيح من أناس لم أتوقع منهم ذلك أبدًا، حقًا إنه اختبار قاس لمريض السرطان، والمحيطين به.. كيف يلعب معي السرطان، وكيف تتبدل نتائج التحليلات، لتقذف بي من قمة الأمل، لقاع الإحباط، والعكس دون هوادة، إما بسبب السرطان أو بسبب فساد الأدوية في الصيدليات (السيتوزار الهندي)، أو كيف يطلب منك أن تكون في قمة القوة، وجسدك في نهاية منحدر الانهيار، كيف يمكنك التعامل مع جراحات، وأدوية، وعلاجات مؤلمة وقاتلة، بدون يقين حقيقي بأنك ستنال الشفاء، كيف تمر الأيام، وأنت لا تدرك هل ستلتقي في نهاية طريق الجراحات، والإشاعات، والتحاليل، والآلام بالشفاء أم بالموت.. الموت الذي لم يعد يخيفك.. قدر الألم اليومي المبرح، ونظرات المحيطين السلبية التي لا تحمل تعاطفًا صادقًا، قدر ما تحمل من شفقة على أنفسهم من أن يصابوا بنفس الكارثة، هي أفعال تدين إنسانيتنا الضيقة جدًا، وأنانيتنا وضعفنا أمام وحش السرطان.. ولكن في النهاية هناك من هو أقوى من السرطان.. إنه الله القادر على كل شيء، وليس لنا سواه كي نصبر ونرابط، ونحارب للنهاية السعيدة، وهي الجنـة..»

إمضاء: أحمد شبل، مريض محارب بسرطان الدم بالإسكندرية.

سكتّ قليلًا، وقد أغرورقت عيناي بالدموع، قبل أن تكمل أمي الكلام قائلة:

ـ "ده بطل اسمه أحمد شبل، شاب أدك كده دخل قلبي وقت حياته، ووجع قلبي بمماته، وحسيت إنه زيك.. كان كاتب الكلام ده على صفحة الفيسبوك بتاعته اللي بيتابعها عدد كبير جدًا من البشر، وأنا منهم، بيديني تفاؤل، والصراحة بيقول كتير عن لساني علشان كده أنا بكتب كلامه، وبحتفظ بيه دايمًا.. وأظن كلامه ده فيه إجابة على سؤالك.."

احتضنتها كثيراً ذلك اليوم.. كانت أقوى مني بمراحل، قبل أن تقول لي والابتسامة على شفتيها كالبدر المنير:

ـ "قوم يلا يا (رمـزي)، البس هدومك علشان زمان (عتـاب) جاية، خلي بالك من البت دي، وقرب منها، البنت دي فعلًا من دهب، ولو زعلتها تبقى كإنك زعلتني بالضبط.."

نزلت علي الكلمة كالصاعقة.. كيف سأخرج من هذا المأزق!؟

الحقيقة أنني بدأت أتعلق بها فعلًا يوما بعد يوم، كل هذا دون أن أفقد ارتباطي بـ(تيـنا) وابنها، أو يقل حبي لهما، ولو بمقدار بسيط، محافظًا، رغم الظروف على اتصالي الدائم بها، وجعلها معي في قلب الأحداث لحظة بلحظة.

ولكن الصاعقة الثانية في ذلك اليوم حدثت حين أتت (عتــاب)..

كنا جالسين مع أمي، وأبي، وإخوتي، نتناول طعام العشاء سويًا، قبل أن تقول أمي لنا فجأة:

ـ "عارفة يا (عتـاب) نفسي في إيه؟ كل أملي في الدنيا إن ربنا يمد في عمري لغاية ما أشوفك بالفستان الأبيض في إيد (رمـزي)، ومقفول عليكم باب واحد.."

اغرورقت عيناي بالدموع، قبل أن ترد (عتـاب) على أمي قائلة، والدموع متحجرة في عينيها:

ـ "ما هو ده الخبر اللي كنت جاية أقولهولك وأفاجئك بيه أنا و(رمـزي)، إحنا حنحجز للفرح الإسبوع الجاي إن شاء الله!"

اتسعت عيناي في دهشة، وأمام عيني أمي، وفرحتها، لم أستطع النطق، أو الاستفسار عن الكيفية حتى.

وتم كل شيء بسرعة، وبعلم من (تيـنا)، التي قالت أنها ستظل معي، وستنتظرني على أحر من الجمر.. كنت قد قررت أن أظل في مصر، وأن أحاول أن آتي بـ(تيـنا)

إلى هنا، كيف؟ لا أدري.. ولكن كل حساباتي اختلفت بعد ذلك، وبدأت أعيش مرحلة جديدة.

أغرمت بـ(عتـاب) الزوجة كثيراً، وفرحت يوم فرحي بفرحة أمي التي كانت تتمناها منذ وقت طويل.

■■■■■■■■■

ثم إلى زوجـي، وحفل زواجنـا الذي حدث في ظروف استثنائية، وكنت أنا من اقترحت التعجيل بوقته مبكرًا للغاية عن الوقت المخطط له.

■■■■■■■■■

اكتشفت بعد زواجي من (عتـاب) أن إيروس ليست فكرة مقتصرة حتى وقت الزواج فحسب، ولكنها فكرة لابد أن تستمر بعد الزواج أيضًا، فالكل يهتم بالعثور على الشريك دون أن يفكر في كيفية الاستمرار في ذلك بعد الزواج.. ربما زواجي بـ (تيـنا) لم يقلقني وقتها لأنها أجنبية، والأجانب في الحقيقة يجيدون فنون إبقاء الرجل سعيدًا بعد الزواج، ولكن أن أجد ذلك في مصـر كان مفاجأة بالنسبة لي.

بدأ إحساس الذنب يطفو على سطح سلامي الداخلي مع (عتـاب)، من حقها أن تعرف زواجي الآخر، وومن حقها أن تختار، ولكن الحقيقة هي أنني لن أترك لها مجالًا للتراجع أو البعد.. وهكذا بدأت بالغوص بهدوء في ماضيها وأسرارها، مستعينًا بكل من حولها.. أمها، وإخوتها، وأصدقائها.. وبدأت تتكشف لي الحقائق!

حقيقة مرضها هي الأخرى بالسرطان.. لهذا فقط عرفت لماذا هي قريبة من أمي بهذا القدر، ببساطة لأنها عانت من ذات الشيء، ولربما تواجه نفس الخطر من جديد!

عرفت قصة شادي.. ومحاولاتها العديدة للارتباط، وزواجها السابق، بل وحتى كابوسها الذي يطاردها منذ فترة طويلة!

بعض هذه المعلومات حكتها لي (عتـاب) شخصيًا.. والباقي أمسكت بأطرافه من مصادر أخرى.. ومرت الأيام، وصحة أمي تتدهور بعد نقلها إلى العناية المركزة في المنصورة بمركز الكبد، قبل أن نحضرها إلى طنطا بعربة إسعاف حين وجدنا أن الأطباء يستنزفون أموالنا دون أن يضيفوا أي جديد لخطة العلاج، ونفسيتي يومًا بعد يوم تزداد سوءًا. حتى أيقظني أخي (أحمد) ذات يوم، وهو يقول لي بلهجة باكية، وبلا مقدمات:

ـ "(رمـزي).. ماما مااااتت!"

■■■■■■■■■

يتألم وهو يرى أمه، المباركية الهوى، تعاني حتى تأمن لهم وجبة يومية هنية، وهو يسمع دعاءها الحار على كل من ثار، وغير الحال..

■■■■■■■■■

اسمي (رامـز أيمـن) ضحية لتفجير إرهابي في نظر الجميع..
وضحية لثورتين رغم أني كنت من أفرادها في نظر أمي..

■■■■■■■■■

صحيح أنني مازال يطاردني ذلك الحلم، وذلك الهاجس بأن السرطان سوف يعود من جديد يتملك حياتي، خصوصًا بأن الجزء الأول من الحلم قد تحقق بالفعل!

■■■■■■■■■

تجد مَن خلف الجثمان قد بدأ بالوقوف، وعلى وجهه الوسيم ملامح الحزن.. وجهه ضبابي بالنسبة لها لكنها تدرك أنه وسيم.. تشعر بحزنه تمامًا كما لو أنها قريبة منه.. يمد يده اليسرى نحو الجثمان ليحمله، فتتقدم لتقف بجواره مسرعة دون أن تدري لذلك سببًا، ووسط رغبتها في البكاء تسمرت عينها على تلك الدبلة الفضية التي تحتضن إصبعه، وعليها كتابات، ونقوش باللون الأسود.. مهلًا، فهذه النقوش هي حروف اسمها هي دون سواها!

■■■■■■■■■

«مساء الخير على كل اللي بيسمعوني في برنامج حكاوينا، أنا (عتاب سعيد) على طنطاوية أونلاين، الحقيقة أنا طالعة النهاردة علشان أعتذرلكم بنفسي عن استكمال حلقة النهاردة.. من يومين بالضبط انتقلت إلى رحمة الله حماتي عن سن مش كبير.. حماتي دي كانت إنسانة وصديقة، علمتني الحب والاحترام.. القوة في اتخاذ القرار، والعفو عند المقدرة.. حماتي كان عندها سرطان، بس الحقيقة هيا مماتتش بالسرطان، هيا ماتت بسبب الإهمال الطبي اللي مستشفياتنا غرقانة فيه.. ماتت بسبب أخطاء طبية كتير، وتأخر في التشخيص، ولفة طويلة على دكاترة كانوا بيتعاملوا معاها، ومع غيرها على إنها بيزنس لازم ناخد منها فلوس كتير طالما المريض وأهله قادرين يدفعوا!

مين يحط حد للإهمال الطبي في مصر، اللي بياخد روح جديدة من وسط أهلها كل يوم من غير تمييز!؟ ولحد إمتى بيزنس الدكاترة يستمر، وهما بيتسببوا في ألم لأسر كتير ما قدمهاش غير أنها تكمل معاهم بحكم العلاقة المقدسة ما بين المريض والطبيب اللي المفروض إنه ملاك الرحمة!؟

ده غير طبعًا الأدوية، وارتفاع أسعارها اللي بيزيد يوم عن يوم، من غير ما حد يبص على الناس الغلبانة اللي حيجيلها يوم وتموت يا من الجوع يا من المرض، لأنها مش قادرة تشتري أكل ولا علاج!

عايزين تعرفوا حجم الألم اللي ممكن يسببه الإهمال الطبي؟ اسمحولي أقرالكم حاجة كتبها جوزي (رمزي) على صفحة الفيسبوك بتاعته النهاردة، يمكن تقدروا تفهموا إننا وأسرتنا حاسين بإيه على فقدان الست دي، وأكيد في ألف أسرة عاشوا نفس السبب والإحساس..»

« قعدت أشوف شريط فرحي في يوم موتك..
حيوحشني دفى صوتك..
حتوحشني كمان لمتنا حواليكي..
حيوحشني الحنان ناطق بيتكلم بأفعالك وبعنيكي..

ووسط الناس، وفي الزحمة..

يـــوم الـــدفـنـة..

وكل العيلة مصدومة وبتنهنه وبتدمع..

وسيرتك كلها بالخير صداها للسما مسمع..

بقيت أحضن في إخواتي وأصبرهم..

قوليلي يا أمي مين غيرك يصبرني..

وكله يقولي اجمد، انت البكري وأكبرهم..

وأنا جوايا نار فقدك بتحرقني..

من اللحظادي ظهري خلاص بقى مكسور..

يا سندي يا أملي يا سنيني أنا معذور..

ما هو إنتي نبض في قلبي وبعدك كل شيء بيموت..

وكان نفسي تكوني جنبي كلامي كله همس سكوت..

أكيد سامعاني يا أمي أنا بحبك وواحشاني..

وبدري أوي إنتي سايباني..

وداعًا ست الكل يا غالية..

حتفضلي في القلوب عالية..

وخيرك عاش..

افخري بينا في الجنة تعبك ده ما راحش بلاش..

وادعيلنا كما كنتي يا ساكنة قلبي وعنيه..

وحتى نلتقي تعيشي في صدفة قلبي..

لوليـــة.. »

اعذروني يا جماعة لو كنت انفعلت شوية، أتمنالكم السلامة وربنا ينجيكم من الإهمال في بلد الروتين والإهمال، كان معكم (عتاب سعيد)، وبرنامج حكاوينا على طنطاوية أونلاين.. تصبحوا على ألف خير..

ماتت أمي.. ومات معها كل شيء..

قررت أن الوقت قد حان للهجرة بشكل نهائي، فحملت حقيبتي، وأحزاني، وذهبت إلى دبـــي على أول طائرة، بعد انتهاء الدفن بهزته، والعزاء برهبته، وأجلت مصارحتي لـ (عتـاب) حتى إشعار آخر..

وحين وصلت إلى البيت بكيت في حضن (تيـنا) كثيراً، كانت حنونة للغاية في أضعف فتراتي..

وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياتي!

فقدي لأمي جعلني دائم الصمت، لا مبالي وفاقدًا لإتخاذ القرار الصحيح، أحسست بأن وفاة أمي دفنت معها ثباتي الإنفعالي، وحزني، ولساني!

وبدأت رحلة طويلة مع الطب النفسي شاركتني بها (تيـنا) لمعالجتي من آثار ذلك.. تميزك هذه المرحلة بالكثير من الأدوية المهدئة بعد أن شخص الطبيب حالتي باسم غريب..

حالة تصحر وجداني نتيجة اكتئاب حاد !

■■■■■■■■■■

"وعلى فكرة الكلام ده كمـان بيسري على كل شخص فقد حد عزيز عليه سواء كانوا أصدقاء أو مقربين في الأسرة، وبالتأكيد الحبيب أو الحبيبة"

ثم نظر لها نظرة طويلة متأنية متأملة، وهو يقول:

ـ "بس ذكـاء منك اللي عملتيه ده رغم إنه اتهرس في خمسميت فيلم قبل كده، هو ده اللي هيا محتاجاه دلوقت فعلًا. حد يحبـها بجد"

■■■■■■■■■■

قطع صوت الدكتور (حسـام) استرسال حبل أفكارها، وهو يقول:

ـ "المشكلة إن شخصية صاحبتك، وظروفها المحيطة، وسط سيئ، ومرهق نفسيًا، وعمره ما حيساعدها أبدًا"

■■■■■■■■■■

قل حديثي مع (عتـاب) جدًا، وتفهمت هي موقفي بعد أن جعلتها في تفاصيل حياتي لحظة بلحظة، ومشكلة مصارحتها بالحقيقة تقض مضجعي، حتى اقترح علي طبيبي النفسي فكرة وجدتها عبقرية للغاية..

لقد اقترح علي بما أن (عتـاب) تحب القراءة، وأنا بحاجة لشيء ما يخرجني مما أنا فيه، فلم لا أجرب أن أكتب كل ما لم أقله لها في رواية محكمة، أهديها لها بعد انتهائها، وفي نفس الوقت تحرر نفسي من كل العقد، والآثار النفسية التي تركتها علاقاتي في السابق. هكذا بدأت في مساء ذلك اليوم الكتابة بعد أن أخذت حبوبي المهدئة، وأنا أبحث عن الحبكة المناسبة حتى جاءتني الحبكة من الله على صيغة رسالة على الفيسبوك من آخر شخص من الممكن أن أتخيله.

من (لميــس)!

■■■■■■■■■

وبأصابع يد رقيقة مرتعشة، وجدت نفسها تكتب برغم إرادتها رسالة واحدة في برنامج الماسينجر الشهير، تحتوي على ما يعتريها، وتشعر به:

«وحشتني يا (هِسهس) يا أطيب حد عرفته، سامحني على كل اللي اتسببت فيه ليك، حقك دلوقت ربنا جابهولك، ودلوقت بس عرفت، واتأكدت إني إزاي كنت غبية، وضيعتك مني»

ثم ضغطت زر الإرسال، وهي تعرف يقينًا الإجابة التي ستستقبلها..

الصمـــــــت!

■■■■■■■■■

هكذا تحدثت معها، وحكت لي على كل ما مرت به، وأنا عيني تزداد اتساعًا في ذهول.. لله في خلقه شؤون، ومن المؤكد أن الرسالة جاءت لخير.. وهكذا بدأت خطوط روايتي بالتكون.. قررت أن أغير أسماء الشخصيات لأجعلها متماثلة في الحرف الأخير، وليس الحرف الأول كما هي العادة، ما عدا شخصيتي (عتـاب) و(تاتيـانا) استخدمت الأسماء الحقيقية، واخترت لنفسي اسم (رامـز)..

وبدأت إيروس تتكون شيئًا فشيئًا، ومرحلة علاجي النفسية تكتمل ببطء وبنجاح..

إنها رواية كتبتها، وخططت حروفها لشخص واحد فقط، هي (عتـاب)..

حاولت أن أتحرر بها من كل مخاوفي، كتبت فيها فلسفتي، وآرائي، وأفكار جيلي من الجنسين، شرحت فيها كل ما كرهني في البلد، واعترفت فيها بأخطائي بمنتهى الحرية، وشرحت لرفيقة حياتي المصرية كل ما مررت به، فلربما تكتمل دائرتي بقرارها، وتنعم علي بالسلام النفسي من جديد.

وقررت أن لا أستخدم الأسماء الحقيقية لأحد من قريب أو من بعيد حتى أحتفظ -كعادتي- بأسرارهن.. الكل يقرأ القصص دون أن يفكر ما إذا كانت حقيقية أم لا، تمامًا كما ستفعل (عتـاب).. ولكن استخدامي لاسمها، وكل ما عرفته عنها سيثير فضولها، وتفكيرها بالتأكيد.

وحتى حين أعترف لها، وأحكي لها على كل شيء، فسأجعلها تقتنع بان كل أحداث الرواية خيالية ما عدا قصتها هي و(تاتيانـا) بالتأكيد.. ربما أحكي لها بعض الأحداث، ولكن دون أسماء إطلاقًا.

أخذ (رمزي) نفسًا عميقا من جديد، وهو يعدل جلسته في مبنى الأوبرا بدبـي، وموسيقى عمر خيرت ما زالت تطرب روحه.

لقد قرأت (عتـاب) الرواية، وابتلعت الطعم!

وحين قال لها الحقيقة ذلك اليوم، هاجت، وماجت، وبكت كثيراً، وقالت له أنها تكرهه، ثم طلبت منه أن يسافر، وهي سوف تبلغه بقرارها.

أخبرها بأنها لو قبلت هذا الوضع، فسوف يرسل لها تأشيرة للعيش معه، والإقامة في دبـي، والهجرة معه إلى الأبد.

اليوم بالذات طلب من أخيه أن يرسل لها باقة ضخمة من الورد على باب المنزل ممهورة باسمه.. وكتب لها رسالة أملاها لأخيه على الكارت!

«حبيبتي (عتـاب)، اعلمي بأن لك حرية القرار في القبول أو الرفض، لكنني أحتاج لك في حياتي، ولن أقبل أبدًا أن تكوني خارجها.. أحبك، وسأظل أسعى خلفكِ إلى الأبد»

سيسافر غدًا إلى القاهرة، ثم إلى طنطا، سيفاجئها، ويعرف قرارها وجها لوجه..

نفث (رمـزي) أنفاسه، ثم قال لنفسه بصوت منخفض:

"ربنا يستر!"

واستمر يستمع إلى الموسيقى، وذهنه في حضرة شخص آخر في قارة أخرى..

زوجتـه (عتـاب)..

■■■■■■■■■■

"نحن في الحياة كعرائس الماريونيت مرتبطة بخيوط القدر، يحركها الله سبحانه وتعالى بمقدار، وله في كل شيء حكمة لا نكتشفها إلا في الوقت المناسب الذي يقدره الله لنا.."

■■■■■■■■■■

الفصل الثامن عشر

فيـــــــليـــــا

المكـان: على متن قارب صيد أسماك في مياه الخليج العربي بالقرب من شاطئ دولة الكويـت.

الزمـان: بعد مرور سنة على كتابة إيـروس..

ـ "إيش هذا اللي في شبكة الصيد مع السيماتش يا ريس (جابر)!؟"

ـ "والله ما أدري يا (علي)، شكلها كنها قارورة فيها رسايل.. خلني أشوف ويش فيها.."

فترة من الصمت خلال فتح الزجاجة التي علقت في شبكة الصيد.

ـ "هذي ثلاث ورقات، واحدة فيهم بالإنجليزي وثنتين بالعربي.. شكلهم كنهم رسايل! ناديلي وليدي (طـلال) يقراهم لنا.. تراه يعرف يتكلم إنجليزي.. خلنا نعرف ويش قصتهم!"

ـ "أبشر يا شيخ.. دقايق وأجيبه وياي.."

■■■■■■■■■■

الرسالة الأولى

رسالة مكتوبة باللغة الإنجليزية

عزيزي (فيكتور):

لا تستغرب كلمة عزيزي، ففي عنقي دين لابد أن أرده لك..

شكرًا لك على حفلة الاغتصاب التي أقحمتني فيها دون إرادة مني! لقد أقحمتني في طريق مظلم، بدأته مع طليقي، وعنفه الزوجي.. كنتما الظلام لي ولحياتي.. ولكننا من غير الظلام لا نستطيع تمييز الضوء، ومعرفة فائدته، فالظلام ما هو إلا بداية أخرى للضوء، مهما طال الفجر حتمًا ستشرق الشمس منيرة أرجاء الحياة، لتعزف مع الوجود لحنًا جميلًا يطرب الروح.

وقد كان (رمـزي) لحني الجميل.. من دونك عزيزي (فيكتور) لم أكن لأميزه.. ولهذا قبلت كل شيء معه، كنت أبحث عن حبيب لي ووأب لابني، يحترمني ويقدرني دون تعنيف لفظي أو جسدي.. فالاحترام عزيزي (فيكتور) هو أساس الحياة قبل الزواج وبعده، والحب هنا لا يلام بل شخصياتنا وخلفياتنا هي التي تقحمنا في الوحل.

كنت أبحث عن حب مليء بالعلامات اللازمة لاستمراره.. كأن نتصرف على طبيعتنا دون أن نحتاج أن نكون شيئًا آخر لنعجب بعضنا البعض.. وأن تكون الحياة معًا مطلب كل منا قبل النوم سويًا.. لابد أن يطفئ الفراش هذه الأشواق، ولا يخلق بعده الملل والضجر.. أريده أن يحترم جسدي، بعد كل ما رأيته منك، كما يحترم خصوصيتي وعقلي، بعلاقة دائمة عاقلة دون تشنج، أو عصبية، أو عناد وكبرياء فارغ، أو غيرة قاتلة وشك أحمق، ورغبة في فرض السيطرة والتسلط.. لا أريد حبًا أنانيًا، بل أريد حبًا راقيًا متسامحًا، كما هو أصل معنى الحب، وغايته الذي تشوه بسببنا لا بسببه!

الحق يقال أن نظريته بخصوص إيروس التي حدثني عنها جعلت شغفي للبحث ينهض من غفوته، فبدأت البحث في الدهاليز اليونانية القديمة مستخدمة الإنترنت والكتب المقروءة عن الحب وعن إيروس.

تتفرد اللغة اليونانية عن غيرها من لغات الأرض بأنها تحمل ثلاثة مصطلحات أو رموز مفسرة للحب من نواحي مختلفة أولهم هو مصطلح (إيروس)، والذي ارتبط دائمًا بالافتقاد والرغبة في التملك في ذات الوقت كما قال أفلاطون، فنحن نحب ما ليس لدينا وما نفتقد له، وبهذا طبقًا لتلك الكلمة ترتبط كلمة (أحبك) بكلمة (أنا أريدك).

أما أكثر تلك المصطلحات رقيًا وشغفًا هي كلمة (أغابـي)، وهي تصف أعلى مستويات الحب التي عرفتها الإنسانية وهو الحب الإيثاري، ذلك الحب الذي يرتبط بقوة بإسعاد الآخر بغض النظر عن مكنونات غيره سواء كانت حاملة للخير أو للشر، وتذكرنا الكلمة بأن الحب لا يقتصر على الإعجاب بالفضائل فحسب، بل يتعلق أيضًا بالتعاطف والتقبل تجاه ما هو هش وغير كامل فينا أو في من نحب.

ولهذا حين قال لي بأنه سيتزوج احترمت ظروفه وصراحته، والحق يقال كنت أمام اختيار من خيارين بحكم خلفيتي. إما أن أقبل بنموذج روسي جديد بأن أكون زوجة له، وأنا أعلم أن ربما يتخذ خليلة له كما هي العادة، وإما أن أختار النموذج الأوزباكستاني بزوجة أخرى نتشارك الحياة سويًا!

ولأنني ،والحق يقال، من أسرة مفككة، فقد أردت أختًا لي تحنو علي، وتعوضني قسوة أمي وبُعْدَها، وأردت أسرة متماسكة كبيرة راقية تنظر للحياة فقط من نصف الكوب الممتلئ.. فمن أجل كل هذا اخترت الخيار الثاني.

ولكن هذا ليس هو السبب الوحيد لموافقتي، الحقيقة أنني قررت أن أكون له (أغابي) ومن شدة إقتناعي بالفكرة قررت أن أوشم رمزها اليوناني الأنيق علي كتفي لأتذكرها دائما .. لست أدري لماذا اخترت تلك المرحلة فقط لأمثلها متجاوزة المرحلة الثانية، ولكنني وجدت أنها تشبهني كثيراً وتختصر قصتي مع حبيبي بعبقرية يونانية في كلمة واحدة.

قررت أن أعمل على ترقية فكره، وتحريره من حب الإيروس الأناني ليحلق بمعنى الحب في سماء أكثر رحابة.

لا أرى عيبًا أو مشكلة في أن أكون زوجة أولى أو ثانية بحكم ثقافتي.. فهذه ليست حرب على رجل بين فتاتين، ولكنه اختيار رجل احترم من معه، وصارحها بكل شيء تاركًا لها مشاركته في اتخاذ القرار معه.

لهذا قبلت، ووقفت معه في أزمته النفسية بكل حب، وشغف راق، كما وعدته من قبل، وكما سأظل دائمًا.. آن الأوان لأن نترك فكرة التصارع على الرجل، وجعلها كحرب تزول من الوجود، فلنأخذ الأمور ببساطة، ولنمسح حرف الراء من كلمة الحرب، لنسمح للحب الراقي أن يسود الأرجاء.

أعلم أنني عزيزي (فيكتور) اتخذت القرار الصائب، وتحررت منك ومن آثام الماضي ولعل صوت ضحكة (ستيبان)، وهو يلعب مع أختـه الصغيرة الجديدة، يصنع لي أمازيج رائعة وعذبة تؤكد لي صحة قراري.

إنها تلك الأمازيج الجميلة التي تجمع بين الطمأنينة والسعادة التي أشعر أنها سكنت قلبي بعد أن التقيت بـ(رمـزي)، والتي تسود الأرجاء هنا على شاطئ الخليج بـدبـي.

مرة أخرى سأنهي رسالتي بشكرك قبل أن أضع هذه الرسالة في الزجاجة التي سنلقيها في الخليج، لا أدري من سيقرؤها، ولكنني أريد أن أقول فقط بأنني سعيدة.

اليوم هو عيد الحب.. وبكل الحب، شكرًا لك يا (فيكتور) من كل أعماق قلبي..

ضحيتك المتحررة من أذاك، بطاقة حب (رمـزي) الصريح الراقي

تـاتـيـانـا خامراكولوفـــــا

■■■■■■■■■

وحاولت أفهم (لميـس)، وإذا كان (رامـز) اتعالج من حبها بجوازه من (تاتيانا) ولا لأ؟

■■■■■■■■■

الرسالة الثانية

رسالة مكتوبة باللغة العربية بخط منمق جميل

عزيزتي (لميس).. واسمحي لي أن أستخدم هذا الاسم، وليس الاسم الأصلي، لأنني تعلقت بهذا الاسم..

كيفك يا وَجَعي!؟

أبدع وائل كفوري حين غنى هذه الأغنية، لا أدري إذا كنتي استمعتي لها من قبل أم لا ولكن لابد أن تطربي أذنك منها لأنها والحق يقال قد اختصر كل ما أريد قوله لك في خمس دقائق هي مدة الأغنية بامتياز!

مازلت أحبك، ولكن حبي الآن مختلف المعالم والطقوس، فأنت لي طيف جميل مر في حياتي وما زال يرق له قلبي حتى هذه اللحظة.

أجل أنا ذلك الشخص عديم الطموح كما اتهمني والدك بذلك.. أتعلمين أين أنا الآن؟ أنا في دبي، متجاوزًا آلامي ومحني النفسي، ومتغلبا على عُقَدي التي وضعت كل قصة من قصصي ندبة لا تمحى، أنتظر صدور روايتي الأولى (فيليا)، والتي كانت طوق النجاة لي في كل شيء.. بها تحررت من ذنب (علا) مع صديقتك (ملك)، بل ومررت بنفس مرضها النفسي بعدالة إلهية أتقبلها بصدر رحب.. من يدري ربما تقرأ (ملك) الرواية فتعرف الحقيقة، وتكف عن البحث عني لأنه سيكون بلا فائدة، فأنا أعلم أنها ستعثر على صفحتي الشخصية على الفيسبوك، كما ظللت أتابع أخباركم على صفحاتكم الشخصية جميعًا.. أو على الأقل ستراها عندك لتمنحيها بنفسك فضيلة الفهم بعد أن اختفيتِ من جديد كعادتك دومًا.

أنا ذلك الشخص الذي تخيلت أنني سأعايرك يومًا بما كان بيننا في فكر بالٍ شديد التخلف -رغم ذكائك المفرط- دون أن تلقي بالًا لكل لحظات الاحترام، والجنون التي مررنا بها معًا.

أنا الآن في عيد الحب، أكتب لكِ لأخبركِ أنني أحتفل بقلبي ذو الأربع حجرات بمشاعر مختلطة بتلك المناسبة.. إذا دخلتي الحجرات الأربعة في قلبي، ستجدين أمي منفردة بالحجرة الأولى في الأذين الأيمن، أمي الحبيبة التي ذهبت إلى الدار الأخرى، تاركة حزنًا لن تمحوه الأيام، وأعتقد أنك بالذات تعلمين مكانة تلك الحجرة جيدًا.

بينما في الحجرة الثانية (تاتيانـا) زوجتي الأجنبية التي عوضت شق الجنون الذي كنت أعشقه في شخصيتك وميز علاقتنا، إنها ذلك الحب الجارف الجامح السابح عكس التيار، التي قدرت احترامي لماضيها، وأنني خاطبت روح المرأة فيها لا الجسد كما كنت أفعل معك دومًا، لتكتب هي نهاية مغايرة عن ما فعله سوء تقديرك السابق.

أما الحجرة الثالثة، فتتواجد بها (عتـاب) زوجتي المصرية الأصيلة، تلك الرائعة التي وافقت على أن تكمل حياتها معي، صدقتني، بعد أن كسرت تابوهات كثيرة في نفسها وسط المجتمع، وهي من ظلت وراء الرواية حتى تصبح منشورة للجميع، ولقد تركت لها حرية القرار في أن تفعل بها ما تشاء فهذه الرواية روايتها، كتبت لها لأنال رضاها، ولأحتفظ بها في حياتي للأبد.. زوجة معبئة برضا أمي، وحاملة شخصية أفضل بكثير مما كنت تتمتعين به.. زوجه بطعم الوطن الذي هاجرت منه حاملًا مشعر حب جارف له معي لن تنضب أو تنتهي.

ولو ذهبتي إلى الغرفة الرابعة فأرجوك لا تتفاجئي بصورتك داخلها، أجل إنها لك، فلا أحد ينسى حبه الأول، وأول قبلة صادقة في حياته.. ولكنك ستكونين فقط طيفًا جميلا أحمله في قلبي وليس في حياتي، ربما إذا قابلتك في الحياة قد أمسك يدك، أقبلها، أسمعك حكاياتك وأبتسم في حب، ربما أضمك إلى حضني، ولكنني بالتأكيد لن أتزوجك كما كنت أتمنى سابقًا، فمن يترك شخصًا بكى من أجلك يومًا لا يستحق العيش معه أبدًا.

أجل أنا محظوظ للغاية بوجود هاتين الزهرتين في حياتي، لست بطلًا في رواية يريد قراءها أن تنتهي بالنهاية التقليدية التي تعودوا عليها بأن أترك (تاتيانـا)، وأن أعود لـ(عتـاب) راضيًا صاغرًا متخليًا عن وعدي لها لمجرد أنها مصرية، ودائمًا بنت البلد هي من تنتصر، وتأبى كرامتها أن تصبح في أسرة بها زوجتين، ولكني بطل روايتي أنا التي اختار الله أحداثها، ونهايتها، بمشيئته، وإرادته عز وجل. ربما كان الله يعوضني عما فات، لهذا منحني سعة في الرزق وعائلة كبيرة تحوي زوجتين وطفلًا وطفلة، نتشارك الحياة بحلوها ومرها، وسبب الأسباب لينقلني إلى وسط ناضج يسمح بهذه الفكرة.. وليصبح شغلي الشاغل هو إسعادهم ما دام في جسدي نفس يخرج وقلب ينبض.

شكرًا لكل اللحظات الرائعة التي جمعتنا معًا، وما زالت وستظل عالقة في ذهني، وستظلين للأبد عالقة في قلبي.

الآن أعلن اكتفائي بأسرتي، وتحرري من أن أظل تابعًا لماضينا، أنت إيروس التي كانت وما زالت معي.. أتمنى لك كل الخير والسعادة دائمًا وأبدًا.

المتحرر من وجعـك حديثًا

رمـزي الحلفـــاوي

■■■■■■■■■

جاءه صوت (عتـاب) قائلة:

- "ماشي أنا معاك على إنها حالة مليان لخبطة مشاعر كتير، حبيت (تاتيانـا) جدًا"

■■■■■■■■■

أتراها رسالة من الله، وإنذار رباني بأنه لا وقت كاف لديها، حتى تنهي تناقضاتها الشخصية المرهقة!؟

أم هو إنذار باقتراب انتقالها لحياة أخرى لا تعلم إذا كانت في حياة أم ممات!؟

■■■■■■■■■

"(رمـزي) المسكين لا أدري كيف سيعيش بعدي إن حدث هذا!

■■■■■■■■■

قررت أن أعيش بفكر جديد، وأن أستمر في اكتساب الخبرات، مهما كانت التناقضات.. علمني شادي بعد هروبه الجبان ألا أسلم نفسي إلا لمن أتأكد أنه يستحقني والأهم من هذا أن يحترم ما أقدمه له، أن أحترم الصراحة حتى لو لم تكن على هوى نفسي، فالكذب بلا أقدام ولا يقيم حبًا، علمني أن أبحث عن النضج أينما كان ومهما كانت التضحيات..

■■■■■■■■■

□

الرسالة الثالثة

رسالة مكتوبة باللغة العربية بخط واضح بالكاد

عزيزي شادي:

اسمح لي أن أصحبك في رحلة سريعة في حياتي بعد أن هربت منها، وتركتني أواجه الحياة والسرطان وحيدة، بعد أن استغليتني كما تعرف كيف فعلت ذلك بالتأكيد.

أصحبك بصفتي (عتاب سعيد) جديدة، ناضجة، مختلفة ومميزة، وليس كما تعرفها يا عزيزي..

هل تعلم وأنت تقتحم جسدي، بأن معظم الشباب يمنحون أنفسهم ضوءًا أخضر ليستمتعوا بأجساد رفيقاتهن، ثم يتزوجون فتاه أخرى يتحققون منها طويلًا، حتى يتأكدوا بأنهم أول من يضعون راياتهم على قلاع جسدهن في تناقض مجتمعي غريب!

المشكلة هنا أن ذلك يربي الكذب لدى الفتاة، فتخفي ذلك عن الجميع.. ولكنني لم أكن يومًا كاذبة وقد قررت أن أرتبط بمن يقبل تلك الحقيقة.. ولكنني جبنت أن أقول لطليقي ذلك، ولعل الله انتقم مني بفشل ذلك الزواج فشلًا ذريعًا.

أنا لست ملاكًا كما كنت تتخيل، فقد هدمت بيوتًا عديدة، لأنني كنت أرتبط بمتزوجين، كانوا يعاملونني كعشيقة دون أن أسمح لهم أن يقربوا مني، وكل ذنبي وقتها أنني أبحث عن النضج لأصل لحياة زوجية مستقرة.. ذلك النضج الذي لم يكن أبدًا صفة من صفاتك.

ولقد توقعت أن يضعني الله في حياتي من أجل ذلك في اختبار يغير شخصيتي للأبد..

حتى تقدم صديقي (رمزي) لخطبتي..

قررت أن أقول له كل شيء عن حياتي، وأن أجعله يختار بنفسه، فلن أبني معه حياة أساسها الكذب.

ولكن هذا الحلم اللعين ظل يطاردني، وآلام السرطان يطارد ذكراها حياتي نازعًا منها طعم الحياة.. وزاد الطين بلة وفاة حماتي -رحمها الله- بذات المرض، ما أيقظ مخاوفي التي لم تنم أصلًا..

وهكذا كانت المواجهة.. وجاء لي بـإيروس!

أتعرف.. إنها فكرة شديدة الرومانسية أن يكتب لك شخص ما رواية كاملة، فقط ليخبرك أنه تزوج أخرى، وأنه لا يريد أن يكمل حياة كاذبة معك.. وأنـه يحبك!

لقد كان جريئًا وذكيًا في عرض حبه لي بينما خفت أنا من إخباره عن حياتي، التي جمع تفاصيلها السابقة بنفسه، آخذًا بزمام المبادرة ليفتح لي كتاب أسراره.. وأنا والحق يقال قارئة محترفة.. وكأي فتاة طبيعية، ذات تقاليد مصرية هجت، ومجت، وصرخت، وبكيت، وعشت دور المظلومة والمغدورة، وطلبت الطلاق، وحين رفض هددته بالخلع.. خلال كل هذا لم يغضب، ولم يعاقبني على إخفائي حقائق كتلك التي فعلتها بي مثلًا.. ولكنه قال لي أن أقرأ الرواية جيدًا، وأنه سيسافر إلى دبـي فترة، ثم سيعود منتظرًا قراري.

وقبل سفره علق صورة كبيرة لحفل زفافنا أمامي تجمعنا معًا، وبرفقتنا حماتي -طيب الله ثراها- وبدون قصد ضغط على جرح جديد لي.

وهكذا بدأت أقرأ الرواية مرة أخرى وأتمعن بها.. وأهضم كلماتها الظاهرة، والرسائل المختفية بين السطور، حتى أعطاني الله هدية من عنده.

اكتشفت بأنني حـامل!

لم أخبره، وبدأت أعيد التفكير في هدوء، وقد ظهر إلى سطح عقلي سؤال جديد..

لــم لا!؟ يكفي أنه واجه الحقيقة بشجاعة ونضج.. وأنا والحق يقال لدي ضعف شديد للرجل الناضج.

ثم ماذا لو عاد السرطان ليزورني من جديد كما يصل الحلم بأن ينذرني، وكما حدث لحماتي من قبل؟ من سيربي هذا الضيف الجديد؟ وماذا سيفعل (رمـزي) من بعدي لو طلقها وبقي معي؟

رويدًا رويدًا بدأت أنظر لنصف الكوب الممتلئ، خصوصًا أنه حفظ لي كرامتي، وحريتي في اتخاذ القرار كاملة.

حسنًا يا عزيزي (شادي).. لن أطيل عليك لقد وافقت أن أكمل حياتي معه في النهاية.. قررت أن أغلق الدائرة لتكتمل بدائرة تمسك كبيرة بلا أي أنانية تضمنا معًا.

أنا الآن أمضي حياتي سعيدة بأسرة كبيرة، نتشارك فيها كل شيء حتى الفراش!

أصبحت مذيعة في راديو دبــي، وبدأت أنظر للحياة بتفاؤل وأسمح لنفسي بأن أنساك، وأتنفس السعادة، ونسمات الحب التي ينثرها (رمـزي) بإيجابية وبعدل كامل حوله.

صدقت بتجربة عملية أنا و(تاتيانـا) بما كان يؤمن به (رمـزي) وورثّه من شباب ٢٥ يناير العظام. بالحب تكتـمل الأشيـاء.

أتعلم يا عزيزي؟ الحب موجود حولنا بأشكال مختلفه ابتداءًا من حب العشيقة والحبيبة، مرورًا بحب الوالدين المغروز فينا منذ الولادة بالفطرة، حب الأصدقاء وحب الأبناء، حب الوطن والذود عنه. بل وحتى حب أنفسنا الذي يصنف للأسف كغرور. كلها أنواع موجودة حولنا بذات الإحساس النقي الأصلي، ولكننا للأسف وسط مجتمعنا المليء بالشوائب في العقل بأفكاره وفي النفس بطباعها، لم نعد نجيد فن الاستمتاع به أو التعبير عنه وإظهاره بالكلمات والأقوال خلف قناع من الخجل الاجتماعي الموجود لدينا كمصريين فقط! بل وحتى لا نستطيع تمييزه

إلا بعد ضياعه، بالتأكيد إلا من رحم ربي، ثم في النهاية نلوم الحب، وننظم القصائد والقصص ونسمع الأغاني التي تلوم الحب وقسوته، دون أن نلقي بالًا لأننا نحن من نجعل منه شيئًا صالحًا، أو جرحًا طالحًا.

الحب يحب اليقظة والتميز، والرؤية المستقبلية بتفاؤل ممزوج بحقيقة الواقع. تمامًا كما يؤمن حبيبي (رمـزي).. وكما تمثله أسرتنا كحالة استثنائية نادرة في الوقت الحالي.

حكت لي (تاتيانـا) ذات مرة عن مراحل الحب اليونانية الثلاث، ملئني الفضول لكي أستزيد وأفهم عن هذا أكثر، والحق يقال لقد وجدت نفسي كثيراً في المرحلة الثانية، والتي تحمل مصطلح (فيليـــا)!

تترجم (فيليـــا) عادة على أنها صداقة، على الرغم من أن الكلمة اليونانية أكثر دفئًا، وتحمل مغزى أعمق، فهي تستخدم للتعبير عن أعمق عواطف المحبة والتقدير، وتعرف في علم التأثيل اليوناني على أنها الحب الممزوج بالشغف، سواء للأشخاص، أو الأشياء، أو المعاني، فكلمة فلسفة أو (فيلوسوفي) تعني حب الحكمة، وكلمة (البيبليوفيليا) تعني حب الكتب، وهكذا.

وقد أوصى أرسطو بأن نتجاوز حب الإيروس في علاقاتنا خاصة بعد الزواج، ومن ثم نبنيها على فلسفة الفيليـا، فهي تضيف فارقًا كبيراً في تعريفنا للحب وفهمنا له، إذ تسمح لنا أن نرى أننا ما زلنا قادرين على الحب بشغف، واهتمام بعيدًا عن حوار الجسد المقاد من الرغبة والشهوة فقط رغم أهميتهما، وتبعًا لأرسطو فإن هذا الحب يتسم بالسعادة والراحة النفسية، لأننا نتمتع بما يوجد أمامنا، وما نتشاركه مع الطرف الآخر، ليصبح معنى كلمة (أحبك) عبارة (أنا سعيد بوجودك معي). وتشترك (الفيلـيا) مع (الأغابـي) في الاهتمام بالآخر، والتقدير، والاحترام، والعطاء، وهي دائمًا مرحلتان لاحقتان لمرحلة حب (إيروس) المجنون، والمندفع رغم صدقه، والتي تميز بداية العلاقات غالبًا.

علاقتي بـ(رمـزي) بدأت بصداقة.. ولولا إيروس التي كان البحث عنها يسيطر عليه لما كان نال إعجابي.. لك أن تتخيل يا عزيزي (شادي) سعادة بيت مكون من ثلاثة أفراد يمثلون (إيروس-فيلـيا- أغابي) بالترتيب، أسرة تجمعت بإرادة من الله على معاني الحب اليوناني الثلاث، لتجعلني أعيش حلمًا أسطوريًا تحول لواقع رائع وملموس.

أنا (فيـليا)، سأكون لـ(رمـزي) زوجة وأمـَا، رغم أن الأم لا يعوضها أحد، وأختًا، وحبيبة، وعشيقة.

وسأكون له آخر شعرة تربطه بمـصر التي أشعر أنه يمثل كرهها فقط لا غير.

سأحب ما يحب كما يفعل هو، وأكره ما يكره..

سأكون أهلاوية حتى النخاع كما يعشق ويلون حياته بلون فانلته الحمراء..

وسأكون له وطـنًا..

كما قر رت أن أكون لـ(تاتيـانـا) أختًا، وأكون لـ(ستيبـان)، والذي أحبه كابنتي، أمًا ثانية!

والأهم أنني أردت لصغيرتي أمًا بديلة إن حان أجلي بعد وقت لا أعلمه، ،ولزوجي زوجة أتأكد من مناسبتها له بنفسي، فلقد رأيت تشتت إخوة (رمـزي) ووالده بعد وفاة أمهم، ولا أريد لابنتي ولزوجي شيئًا كهذا.

كلا لن أكون ضعيفة إن جاء وزارني ثانية.. فسأظل أقوى منه كما كنت وكانت حماتي.. لن أكون له لقمة سائغة أبدًا مع كل هذا الحب الذي يحيط بي.

إن ترقب السرطان يجعل الروح أسمى، يهذبها ويفهمها جيدًا بأن الحياة لحظات قصيرة مهما طالت. يقترب الشخص من الله أكثر، ويبدأ بتذوق كل شيء في الحياة الدنيا بطعم مختلف حتى ولو كانت كأس ماء.. الحياة قصيرة زائلة لنمضيها في تناحر وتعقيد لا طائل من ورائه، ومن قال كفى بالموت واعظًا لم يكذب أبدًا!

شكرًا لك يا (شادي) لكل ما فعلته، فمن رحم المعاناة يولد الفرح.. وقد كان لابد أن أتحرر منك ومن معاناتك لكي أكمل حياتي.

أتريد أن تعرف من حررني منك بخلاف زوجي العزيز (رمـزي) بالطبع..

إنها صغيرتنا الجميلة.. فتاة حملت ملامحنا معا بالأخص طابع حسن الذقن وغمازتي (رمـزي) التي عشقهما كل من مر به في حياته، كما حملت أيضًا الكثير من طباعه بالوراثة.. صغيرتي التي حين ولدت خطر في بالنا سوية نفس الاسم بذات اللحظة فأسميناها به دون تفكير..

اسم واحد أصبح اسم إبنتي إلي الأبد.. ولقبي الذي حصلت عليه حديثًا.. واسم الرواية التي كتبت لي والذي غيرته وظللت وراء (رمـزي) حتى أكملها وأنهاها وظللت أنا أسعى حتى تصبح مطبوعة تحمل رائحة الورق الزكية..

اسم (فيلـــيا)..

تمت بحمد الله

دبـي ـ طنطـا

سبتمبر ٢٠١٧

شكر خاص

ـ **العراب د. أحمد خالد توفيق**: بعيدًا عن تاريخك الروائي الذي لا يختلف عليه أحد، أنت من شجعني على الكتابة فقط لأكون مثلك يوما ما.. كنت عنوانًا لجيلي بسيرك عكس التيار وستظل هكذا دائما..

ـ **الكاتب أحمد مراد**: أعجبني للغاية حين حضرت ندوة من ندواتك بطنطا تصديقك لحلمك حتى جعلته مكتوبًا ومرئيًا على شاشات السينما، أحمل بسببك هذا الشغف لأن أرى (فيليا) يوما ما كعمل سينمائي..

ـ **صديقتي العزيزة رانيا جرادة**: نقدك اللاذع كان أمامي دائمًا وأنا أعدل الرواية مرات عديدة، شكرا لنصائحكِ الثمينة ولكلمتك التي شجعتني كثيرا بعد أن قرأتي الرواية: بس برنس يا رامي..

ـ أشكر أصدقائي وأقاربي الذين أبدوا رأيهم لي إيجابا أو سلبًا وشجعوني أن أنشر روايتي يوما ما: (**سمر عبد العزيز** ، **عبدالله خالد الأعصر**، **مريم خالد الأعصر**، **نيرة حجازي**)..

ـ **صديقتي العزيزة وقارئتي الأولى هبة خليل** : بكِ بدأ الحلم بالتشكل رويداً رويداً حتى بات واقعاً ملموساً ،عذرا لكِ فلا شكر يغطي مجهوداتك وإيمانكِ بي .. أدام الله المودة والروايات بيننا ..

ـ شكرا لكل من ساعدني حتى يرى هذا العمل النور ناشرتي الراقية المثقفة **رباب فؤاد**، وكل من كان له يد مباشرة أو غير مباشرة في ايصال هذا العمل إلى قارئه العزيز.. بكم طموحي لن يتوقف وسوف أشكركم جميعا مرة أخرى يوما قريبا ما بعد أن تتحول إلى عمل على شاشة السينما بإذن الله ونعيش لحظة أن نرى فيلما يصور في طنطا وشوارعها ..

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/ramihamdiofficial/
https://www.facebook.com/rami.hamdi.73

@ramihamdiofficial

الفؤاد
للنشر و التوزيع